

المحتويات:

الموضوع:	الصفحة:
الإهداء	٤
الشكر والتقدير	١٠
التقديم	١٤
خطة البحث	١٨
المقدمة	٢٠
أسباب اختيار الموضوع	٢٦
أهمية الدراسة	٢٧
مشكلة الدراسة	٢٨
حدود الدراسة	٢٩
مصطلحات الدراسة	٢٩
الدراسات السابقة	٤٠
منهج الدراسة	٤١
أهداف الدراسة	٤١

٤٣ الفصل الأول: لمحة عن حياة الشيخ محمد المنصور سي <small>رحمته الله</small>
٤٣ المبحث الأول: مولده ونسبه
٤٨ المبحث الثاني: تكوينه الشخصي والعلمي
٤٩ المبحث الثالث: مكانته العلمية وانشغاله بالتربية والتعليم
٩٧ الفصل الثاني: دراسة تحليلية للمضامين التربوية في كتاب الشيخ: المحجة البيضاء في إقناذ الأمة الغراء
٩٧ المبحث الأول: عرض موجز للكتاب
١١٠ المبحث الثاني: المضامين التربوية المتعلقة بجانب الأسرة والمجتمع
١٨٨ المبحث الثالث: المضامين التربوية المتعلقة بجانب التوجيه والإرشاد
٢٢٠ الخاتمة
٢٢٠ النتائج
٢٢٤ التوصيات
٢٢٥ التقاريط
٢٣٤ فهرس المصادر والمراجع
٢٣٩ الملخص باللغة الفرنسية

الإهداء:

إلى درّتيّ اليتيمتين الغاليتين، وجنّتيّ النضرتين النيرتين، اللذين انقطعا عن الدنيا، وتبتّلا إلى الله وَعَجَّلَ تبتيلا، وعاشا من أجل سعادة أسرّتهم، فأخلصا ووفيا، وتصدّقا وضحيّا بكل نفس ونفيس في حقول التربية والتعليم، وغرسا في القلوب روح المودّة والمحبة للعلم والعلماء، والأولياء والصالحين؛ بغية بناء أجيالٍ تربويّين ربّانيين. فجزاهما الرحمن خير ما جرى به والدا عن ولده وأمّا عن ابنها:

❖ أمي الحنون، القانّنة الزكية، والحبّية الصالحة: السيدة الحاجة "يس انجاي" أمدّ الله في عمرها، وبيارك في حياتها، هي وجميع الأمّهات المؤمنات:

وأنتِ جنّانُ الخلدِ فينا تفضُّلاً	رياضُ مَنى تُهدى إلينا ثمارها
ففي حضنها أمنٌ وغنمٌ سعادةً	عطوفٌ بنا هديّ القرآنِ منارها
تجمّع أخلاقُ الأكارم عندها	فأضحى كريمًا ليلها ونهارها

❖ والدي المرحوم، الحبيب الشفيق، والكريم النصوح: السيد الشيخ "محمد جابي" قدّس الله روحه وطيب ثراه، هو وجميع موتى المسلمين:

يا أيّها الوالد المحمودُ سيرته	في الخير والحقِّ قد شاعت ولايته
ويا كريمًا نصوحا لا نظير له	ألبر والصُّلح قد كانت تجارتها
فالله يهديك رضوانا ومغفرةً	خير الجوارٍ لخير الخلق آيته

وإلى والدي الروحي، وأنيس غربتي ووحشتي، قرير عيني ومقلتي،
 دليل رحلتي ونزهتي، محطّ الورّاد والعفاة، محكّ بيت النبوة والولاية،
 رفيق الكتاب والسنة، أبي محمد وزينب: العلامة الشيخ "أحمد محمد
 الحافظ التجاني" المصري، إمام وشيخ الطريقة التجانية بجمهورية
 مصر العربية، لا زال في رحمة مولى البرية:

شيخ فضائله تُغيي مُحاولَهَا به الأحبّة يرجو كل أنوار
 قطب أتنا لإرشاد وتربية مُجدداً سنّة الهادي بأسفار
 نعم الشريف الذي قد حاز منزلة من التّبيّ حُصولاً كل أخطار

وإلى مربّي ومرشدي ومثلي الأعلى، إلى علم التربية والتعليم، إلى
 قائد التّركية والتدريب، إلى رائد التنمية والتنظيم، إلى البحر الزاخر،
 والقمر الباهر، إلى القلب المنير، والعقل النضير، إلى الفصل الربيع،
 والكهف المنيع، إلى من يرجع إليه الفضل في بُنوّي لكل والد
 صالح، أو عارف واصل، أو ناضل باسل:

أحبّ الصالحين ولست منهم وأرجو أن أنال بهم شفاعة^(١)
 إلى سيبويه زمانه وحاتم أوانه، إلى سفينتي الخير والبركة؛ في استخراج
 حلل المعرفة والعرفان، واستطلاع درر الحكمة والإحسان، كعبة
 العلوم والمعارف، منبع الفنون والفوارس، منهل الورد والغطارف،

(١) البيت للإمام الشافعي رحمته الله.

محطّ المضطرين والأرامل، أبي التجاني والزهراء، جد البشير والزهراء،
فقيه الأمة والشعوب، نموذج هذه الدراسة: العارف بالله العلامة
الشيخ "محمد المنصور سي بروم داري" رحمته الله:

فرح الزمان بطلعه وبعلمه وبجوده المدرار أكمل هيشة^(١)
إن جنته مستخللاً لمشاكل يُفتيك بسماً فهو بدر شريعة
أو زرتته مستمطراً لحوائج يُغنيك بشاً فهو رمز غنيمة

وإلى توأمه الأناس ونديمه البشاش، موسوعة القرآن وأعجوبة
الزمان، فيلسوف العصر وضرغام الأقران، رمز الحضارة والعرفان،
فقيه الثقافة والأديان، أبي المصطفى والمنصور، جد أم الخير وآسية:
الدراكة الفهامة الشيخ "أحمد التجاني سي المكتوم" رحمته الله:

خير نبيه يفخر الدهر مثله يُغاث به من كان في الفكر حائراً
خطيب حكيم والأساليب جمّة فكم مُقيل لولاه مازال نافراً
قد أحييت دين الحق بالحق داعياً إليه الأنام بالبصيرة ناصراً

إلى لسان الحضرة وترجمان الأسرة، إلى أمين الأجداد والآباء، جنة
الشريعة ومدفع الطريقة، مغنى الوراد والعاشقين، ومنزه الزوّار والدارسين،
مأوى الشباب والمضطرين، وزعيم الدعاة والمربين، أبي أحمد وفاطمة، فقيه
الطوائف والأسر، الحنان المحسان: الشيخ "عبد العزيز سي الأمين" رحمته الله:

(١) أكمل فرحة، من "هاش" بمعنى خفّ واضطرب.

هو العروة الوثقى لحضرة مالك يؤكّد حبّ الإلّ مع كلّ أمة
لسان طريق القطب مدفعٌ بعده أيّ غيورٌ بالثرات وملّة
فتى بأسه أعياء قوى كلّ فارسٍ فصاحته تعلو على كلّ نبرة
فعنكم رضى الرحمان في كلّ ساعة وأنواركم بين الزّوار كديمة

إلى جدّتي الغالية وقرة عيني الصافية، أم الأيتام والمساكين،
محطة الفقراء والمضطرين، أعجوبة زمانها، ونخبة عصرها، حليفة
بيتها ونسكها، الحيّة المحتشمة، أمّ أم كلثوم وصفية: السيدة
الفاضلة، والمربية الصالحة "الحاجة فاطمة سي منصور":

شهد الزمان بعزّها وفضالها ولدى الأنام فصاحةً بخصالها
والدين هلّ باسماء في وجهه وكذا الأمانة في حقيقة حالها
والذكر مؤرد قلبها وبريدها والأنس بالخلاق رهْنُ فعالها

إلى مُهجة قلبي ومرتع خلدي، إلى مُريح غربتي ودعيم وحشتي،
كهف البيت ورصيد الأسرة، روضة الجليل وزينة الأتراب، أبي محمد
والزهراء، نديمي وشقيقي المرحوم: "السيد أبو بكر جابي":

إلى والد المنصور أدمعتُ غربي وفي ذلك المحبوب أنهي هديتي
هو الظلّ عند الأهل حقاً ومرتعٌ وكهف منيع، في الرفاق كروضة
فتى عاش مستورا ومات مكلّلا بتاج وقارٍ في سلوك وحرفة
فتى خلّقه كالنور لنا وبهجةً وأعني أبا بكر شقيقي ومقلتي
عليه ضروب من سحاب رحمة وعنهم جميعاً مزنٌ عفو ونعمة

إلى من على يده الطاهرة احتضنتُ، وبطوئته الصافية اطفلتُ،
أخي العلم والعرفان، والبر والإحسان، أبي إبراهيم وفاطمة، العارف
بالله: السيد "محمد لُو الطائفي":

أكرم به روضة غناء في صغري قد جاءني منه بعد الحور أكوار^(١)
الله أكرمني منه وأنعمني حفظ الكتاب وذا فخر وأنوار
أبقاه ربي لتعمير الهدى أبدا ديناً ودنياً فزالت عنه أطار

إلى زعيم البيت وعمدته، ومحكّ النسل ومفخره، أخي الشجاعة
والدمائة، أبي محمد وياسين: السيد "عثمان جابي":

أخي الكبير الحليم المرتضى شيمًا غيث غياث مُريح في المشقات
ندب حمول شقوق باذل كرمًا سيف خذوم زعيم في الملّمات
وهُمّه دائماً تعمير أسرته تبشير آبائه من كل خيرات

إلى ليلاي وماء حياتي، ومُسكّنة قلبي وبريد عيني، ورمز ثقتي ومودّتي،
إلى من كانت تمدّ لي يد التفاهم، والصبر، والتضامن، والفكر، من أوّل
أهبة في هذه الرحلة لآخر محطة فيها؛ عرفانا لحناها وتقديرا لمساندتها...
حبيبتي: السيدة "أم الخير انغوم" حماها الله من كل مكروه ومسموم:

أمّ حنون وزوج لا نظير لها ديناً وخُلُقاً بلا أدنى ركيكات
وهي الجواد التي عمّت كرامتها ضيفاً، مُقيماً، بذولاً كل خيرات
كرامة أنت بالعرفان فاطرة يا أمّ منصور يا بحر الكرامات

إلى ریحانيّ القلب وقرّتيّ العين، إلى أُمليّ المنشودين، وظلّيّ
 الممدودين، وبُعْضيّ وكُلّيّ الملمومين، اللذين أشعراني بعظم الأبوة
 وخطرهما، وزاداني همّة للإمام بموضوعات التربية والتعليم، غلاميّ
 الغاليين: محمد المنصور، وأبي بكر، نصرّ الله حياتهما بالقرآن
 والإسلام، وبالعلم والإحسان، ويكلاهما من شرّ الإنس والجان.

إلى من يتحمّلون أمانة التربية والتوجيه، إلى من يهتمّهم صلاح
 النسل والجيل...
 إلى جميع الآباء والأمهات، والمعلمين والمربين، وزملاء التنشئة والتكوين...
 أهدي هذا الجهد التربوي.



الشكر والتقدير:

نتوجه لله وَعَلَيْكَ بِمَجَامِعِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ؛ لِمَا أَعَانِي وَسَيِّدِي وَمَدِّدِي بأوفر
عونه وتوفيقه على إنجاز هذا الجهد؛ حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده.

ثم نرفع آيات الشكر والتقدير لتلك الجامعة العامرة، والمؤسسة
السامية، كعبة العلم والعلماء، ومنبر الدين والخطباء، منهل الزُّرَادِ
والناهلين، ومحطّة البعوث والباحثين: الأزهر الشريف، الذي ما زال
في دربه ظريفا:

يَهْدِي الْعُقُولَ وَالْقُرْآنَ قَدْ سَعِدَا	هَدَى إِلَهَ الَّذِي يَهْدِي الْقُلُوبَ كَمَا
رَمَزُ الْعَدَالَةِ مَنْ فَازَتْ بِهِ السُّعْدَا	أُمُّ الْمَدَارِسِ وَالْإِسْلَامُ بَصُمْتُهُ
نُورُ الْأَحَادِيثِ وَالْأَعْلَامِ مَنْ رَشَدَا	لَهُ لِبَاسٌ مِنَ التَّقْوَى يُزَيِّنُهُ

كما أتقدّم بعظيم الشكر والامتنان، للأستاذة الدكتورة: نادية
يوسف كمال، مشرفة هذا السِّفَرِ، فالله يحفظها ويمدّ في عمرها كما
يبارك في حياتها:

تَجُوبُ لُجَاجَ الْبَحْرِ نَعْمَ مَنَاهَا	تَرَاهَا سَنَى بَيْنَ الْبَحُورِ سَفِينَةً
وَأَرَاؤُهَا فِي النُّظَرِيَّاتِ كَمَا هَا	تُنِيرُ رَمُوزَ الْفَلَسَفَاتِ بَدْلُوهَا
يُباهي بها الطُّلَّابُ عَزَّتْ مَثَاهَا	ثَقَافَتُهَا فَاقَتْ ثَقَافَاتٍ مِنْ مَضُوهَا

كما نخصّص جزيل الشكر والتحنان لكافة السادة الزملاء،
الذين فسحوا لي أثوابا طاهرة من أوقاتهم الثمينة، ومعلوماتهم المفيدة،

ومعارفهم النفيسة، وأفكارهم الحكيمة، وتوجيهاتهم السليمة، أمثال:

مُلّاح البيت ونبراس الأسرة: السيد / محمد الحبيب سي منصور:

مِعْطَاءُ أَقْرَانِهِ بِحُرِّ النَّدَى قَبَسٌ	لِلدِّينِ وَالْأَهْلِ وَالْأَيْتَامِ مَبْرَارُ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَفِيدٍ حَافِلٍ كَرَمًا	بِهِ انْجَلَى عَنْ مُحِبِّي الشَّيْخِ إِذْعَارُ
عِشْ سَالِمًا آمِنًا عِشْ حَارِسًا أَبَدًا	مَشَارِعَ الشَّيْخِ: أَفْكَارٌ وَأَذْكَارُ

أمين الشيخ وكاتبه: أ.د / عبد العزيز صار:

وَاهِبًا بِهِ مِنْ مُحِيطٍ فَائِضٍ عِلْمٍ	فِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْآدَابِ مَذْ عُرْفًا
وَاهِبًا بِهِ مِنْ رَشِيدٍ جَامِعٍ قِيمًا	مُجْتَبًى الْجِيلِ خَطْبَ الدَّهْرِ إِنْ هَتَفَا
لَا زِلْتُمْ فِي تَرَاثِ الشَّيْخِ مَنَهَلَنَا	بِحُرْمَةِ الشَّيْخِ بَابِ الْأَوْلِيَا الشُّرْفَا

أ. د / يوسف بطي:

أَبُو مُصْطَفَى بَدْرُ الزَّمَانِ مَعَارِفَا	فَصِيحٌ بَلِيغٌ يَقْتَفِيهِ الْفَرَائِدُ
فَتَى دُونَهُ فِي فَتَاهِ كُلِّ بَارِعٍ	يُنَالُ بِهِ قَطْرُ النَّدَى وَالْمَقَاصِدُ
حَكِيمٌ وَلَكِنْ نَاضِلٌ مُتَفَاوِضٌ	أَدِيبٌ وَلَكِنْ فِي الْبَلَاغَةِ رَائِدُ
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ عُلُومَهُ	لَوْ قَفَّ وَكُلُّ الدَّارِسِينَ يُشَاهِدُ

أ. د / عمر النجاي:

أَبُو أَحْمَدٍ فَخْرُ الرِّجَالِ دَرَايَةٌ	يُضِيءُ بِهِ صَدْرُ الرِّجَالِ وَمِزْهَبُ
أَدِيبٌ خَطِيبٌ مُوَضِّحٌ كُلِّ مُشْكِلٍ	فَقِيهٌ يَكْفُ الْجَهْلَ عَنَّا وَيُذْهِبُ
فَأَكْرَمَ بِهِ مَنْ نَاقِدٍ مُتَبَصِّرٍ	فَمَنْ جَاءَهُ يَظْفَرُ مِنْهُ وَيُرْحَبُ

أ/ الحاج مالك صو مشرف كتاب الشيخ:

فَوَاهَا لِسَخْبَانٍ لَوْ تَعَدَّدَ عَيْنُهُ تَبَرَّدَ أَكْبَادُ الْعَفَاةِ وَتَطَرَّبُ
بَلِيغٌ فَصِيحٌ عَنْ هُمَامٍ يُدَافِعُ سَرَّاجٌ مَنْيَرٌ فِي التَّرَاثِ يُرْغَبُ
فَأَبْقَاكَ رَبِّي كَوَكْبًا لِتَرَاثِهِ وَبَحْرًا فَيَاضًا دَائِمًا يَتَقَلَّبُ

أ. د/ مالك تن:

مُؤَرِّخُ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ مَذْهَبُهُ بَدْرٌ مَنْيَرٌ عَلَى أَفْقِ الْحَضَارَاتِ
سَمَّيْتَ الْحَاجَّ مَالِكَ شَمْسِ قَارِتِنَا عِلْمًا وَرُشْدًا عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَاتِ
نَعَمَ الْمَسْمَى وَنَعَمَ الْأَسْمُ مِنْ شُهْبِ أَنْ صَرَتْ نَجْمًا مُضِيًّا لِلدُّجَنَاتِ

كما نعلل الشكر والعرفان لبنات أخواتي ونسائم غربتي اللواتي
كنّ لي أراصد الأُنس والفكر، ودعائم السلم والصبر، أمثال:

عائشة مصطفى تمبو.

آسية عبد العزيز امبي.

عائشة إبراهيم انجاي.

عائشة مدُنْ سك.

عائشة أحمد غي.

جينب بابكر توري.

جَمَ ماگم سيس.

فاطمة إسماعيل لوح.

أنت الحاج عبد فاي.

مريم مختار انجاي.

حوى كُمبا صار.

أجا أم كلثوم بلّ انجاي

خديجة موريس سنغور:

هُنَّ نَجُومُ الثُّرَيَّا وَالْمَرِيخِ سَنَى	بَلْ هُنَّ كَالْمَزْنِ جُودًا ثُمَّ إِرَوَاءَ
مَأْوَى الْغَرِيبِ مَلَاذُ الدَّارِسِينَ مَعَا	رَمَزُ السَّخَاءِ وَفَوْقَ الْبَحْرِ إِعْطَاءَ
خُودٌ بَدَذَنَ جَمَالًا كُلَّ غَانِيَةٍ	يُظَلِّلُنَّ فِي حِرَفِ الْأَبْرَارِ خُنْسَاءَ
وَمَنْ يُرِدْ نَيْلَ مَا يَبْغِيهِ مِنْ قِيمٍ	يَرْحَلْ إِلَيْهِنَّ فَوْرًا فَقَنْ بَأَوَاءَ ^(١)

* * * * *

جَزَى الْإِلَهُ رَجَالًا نِسْوَةً كَرَمًا	كُلَّ السَّعَادَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالسَّلَامِ
أَكْرَمَ بِهِمْ مَنْ رَفَاقٍ لَا نَظِيرَ لَهُمْ	مَنْ الْمَعَارِفِ وَالْإِسْعَافِ فِي الْهَمِّ
تَوْفِيقُ رَبِّي عَلَيْهِمْ كُلَّ أَزْمَنَةٍ	مَادَامَ ذَا الْبَحْثِ مَعْرُوضًا لَدَى النَّسَمِ



(١) مَنْ بَأَى بَأَوًّا وَبَأَيًّا: الْعِظَمَ وَالسَّمَوَّ وَالرَّفْعَةَ.

التقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه،
نحمده سبحانه ونستعين به ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له
وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وهو على
كل شيء قدير، وأن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى
الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وفتح به أعينا غُميا،
وآذانا صُمًا، وقلوبا غُلُفا.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق،
ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق
قدره ومقداره العظيم.

أما بعد:

لقد تناول الباحث النجيب/ الشيخ عمر جابي السنغالي موضوعا
من أهم الموضوعات التي تُعين الأسرة المسلمة في هذا الزمان الذي
كثر فيه الانحراف - على تربية أبنائها التربية الحسنة، التي تَغرس

في النفوس الغيرة على الإسلام، والحرص على قيمه وتعاليمه المتميزة على جميع الأنظمة والتشريعات؛ بعمقها وشمولها وعدالتها، والداعية إلى وحدة الصف ولم الشمل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وذلك بأسلوب تربوي نابع من الفكر الصوفي الرفيع، في بحث جامعي متميز؛ لنيل درجة الدبلوم العالي من معهد البحوث والدراسات العربية - قسم: البحوث والدراسات التربوية - القاهرة. والبحث بعنوان:

المضامين التربوية الصوفية

عند الشيخ محمد المنصور سي (بروم دارجي) السنغالي

كتاب: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" نموذجاً

دراسة تحليلية

وتضمّن هذا البحث مضامين تربوية مهمة تستحق كل تقدير وتبجيل؛ لكونها تتعلق بأسلوب تربية صحيحة واجبة الاتباع من الأجيال الشابة الناشئة، إضافة إلى أنها تعرضُ تعاليم صوفية نقية، شاملة لكل من: "المضامين التربوية المتعلقة بجانب الأسرة والمجتمع"، و"المضامين التربوية المتعلقة بجانب التوجيه والإرشاد"؛ وبذلك يكون الأفضل اتباع وسائلها وتطبيق أدواتها، ويكون الأسرع تحقيق أهدافها والوصول إلى غاياتها، خاصة وأن الباحث اتخذ لبحثه نموذجاً

من أرقى النماذج في الفكر الصوفي، ألا وهو العالم الرباني فضيلة الشيخ محمد المنصور سي (بروم دارجي) السنغالي، من أكابر العارفين بالله تعالى، القائمين على تنقية القلوب والوجدان، قبل تربية الأجساد والأبدان، الذين أبدع الباحث في مدحهم وأجاد؛ حيث قال في المقدمة:

"فما من شيء إلا ولهم فيه فكرة، وما من فكرة إلا ولهم فيها عبرة، وما من عبرة إلا ولهم فيها عظة، وما من عظة إلا ولهم فيها حكمة، وما من حكمة إلا ولهم فيها معرفة، وما من معرفة إلا ولهم فيها تربية، وما من تربية إلا ولهم فيها تزكية، وما من تزكية إلا ولهم فيها ترقية، وما من ترقية إلا ولهم فيها شهادة، ألا إن الشهادة ذروة السير والعبادة".

وجاء عرض البحث في أسلوب إيماني رقيق، وصياغة أدبية رفيعة، بدون الخروج عن حقيقة المعنى، ولا إخلال بسلامة المبنى، مشيراً إلى غزارة علم الباحث، وبلغ حكمته ونقاء سريره، كما جمع بين نثر فائق الحسن في اختيار الكلمات، بديع الفكر في سبك العبارات، وأبيات شعرية صادقة المنابع، قد نظمت بموسيقى نورانية تطرب المسامع.

وإني لأدعو الله العلي القدير، أن يمنح هذا الباحث علما فائقا
ينفع به العباد، ويصلح به حال البلاد، وأن يجزل له العطاء ويكمل
مسيرته، ويزيده منة وفضلا ويضاعف مثوبته، وأن يكتب لهذا
العمل الجليل الانتشار الواسع والقبول الحسن، وأن يجازيه خيرا
بكل حرف ورد فيه، وبكل فرد قرأه وفهم معانيه، واتبع ما فيه من
مضامين إيمانية تربوية، وإشارات ربانية قرآنية، وتعاليم نبوية شريفة.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعلى الله فصد السبيل ،،،

محمد الحافظ أحمد محمد الحافظ التجاني المصري

تحرير في: ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ

الموافق: ١٠ فبراير ٢٠١٨ م.





خطة البحث:



بمشيئة الله ﷻ يشتمل هذا البحث على مقدمة وفصلين تحت كل منهما ثلاثة مباحث وتليها الخاتمة.



وفيما يلي بيان الخطة بالتفصيل:



المقدمة:

وتتناول: موضوع الدراسة وأسباب اختياره - أهمية الدراسة - مشكلة الدراسة وأسئلتها - حدود الدراسة - مصطلحات الدراسة - الدراسات السابقة - منهج الدراسة - أهداف الدراسة.

الفصل الأول:

وهو بعنوان: "لمحة عن حياة الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله" وتحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مولده ونسبه.

المبحث الثاني: تكوينه الشخصي والعلمي.

المبحث الثالث: مكانته العلمية وانشغاله بالتربية والتعليم.

الفصل الثاني:

وهو بعنوان: "دراسة تحليلية للمضامين التربوية في كتاب الشيخ رحمته الله:"

"المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" ويندرج تحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عرض موجز للكتاب.

المبحث الثاني: المضامين التربوية المتعلقة بجانب الأسرة والمجتمع.

المبحث الثالث: المضامين التربوية المتعلقة بجانب التوجيه والإرشاد.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة:



الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، والقائل: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا
عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا
بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٢). والصلاة والسلام على المبعوث معلما ومربيا القائل:
((إنما بعثت معلما))^(٣)، والقائل أيضا: ((العلماء ورثة الأنبياء))^(٤)؛
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين وبعد:

فإن دراسة شخصية علمية صوفية من الشخصيات الإسلامية،
لمهمة ذات منفعة عميقة، ومسعدة كبيرة، بل من أعلى وأعلى
غايات الأمة، وخاصة مثل هذه الشخصية الربانية التربوية:
شخصية الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله؛ ذلك لأن الأجيال المتلاحقة،

(١) سورة يوسف، الآية: (١١١).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٢٣).

(٣) قال العراقي: سنده ضعيف، ولا بأس به لحديث ابن عمر بلفظ: "إنما بعثت معلما"
الإحياء - ج: ١ - ص: ١١ .

(٤) سنن الترمذي - باب العلم - الرقم: ٢٦٨٢ موقع الإسلام: (www. al-islam.com).

بميسس الحاجة إلى مثل هذه الشخصيات كعبرة ونموذج في تربية أخلاقهم، وبناء حياتهم، بل وترشيد مستقبلهم وحضارتهم.

فمن الوراثة الربانية النبوية، تتولد التربية الإسلامية بروادها الأذكياء، وأعلامها الأجلاء، الذين تناولوا وتدارسوا تلك الوراثة المقدسة، تناولوا تعليميا ودراسة تحليلية؛ رعاية وترشيدا لهذا التراث القيم، تدعيما وتوعية لأبناء عصرهم وللأجيال القادمة، وهم خير سلف لخير خلف، الذين وفقني الله وَعَلَّكَ لأن أقول فيهم:

هُمُ الرِّجَالُ رِجَالُ الدِّينِ وَالْعُرُرِ	شُمُوسُ تَرْبِيَةٍ يُقْضَى بِهِمْ وَطَرُ
هَمُ الْوُعَاةُ تَرَاثَ الْمُصْطَفَى عِلْمًا	مِنْ الْهُدَايَةِ، وَالْإِرْشَادُ يَنْتَشِرُ
هَمُ الْأُسَاةُ أَسَاةُ الْعِلْمِ مَعَ خَلَدٍ	أَنْوَارِهِمْ سَاطِعَاتُ دَرْسِهِمْ دُرُرُ
هَمُ الرِّعَاةُ سِرَاةُ الْعَرَبِ مَعَ عَجَمٍ	لِلْعَالَمِينَ سِرَاجُ الْحَقِّ مَزْدَهَرُ
هَمُ الدَّعَاةُ دَعَاةُ الْحَقِّ مِنْ حَكَمٍ	وَالْوَاعِظُونَ بِوَعْظٍ كُلُّهُ ثَمَرُ
أَكْرَمُ بِهِمْ قَدَوَةُ أَخْلَاقِهِمْ ذَهَبُ	كَالْبَحْرِ جَوْدًا، بِهِمْ وَالنَّفْسُ تَطْهَرُ
أَفْعَالُهُمْ سَائِلِي كُلِّ مُتَرَجِّمَةٍ	أَقْوَالُهُمْ، طَبَّقُوا أَخْلَاقَ مَنْ طَهَّرُوا
هَذِي النَّبِيُّ كِتَابُ اللَّهِ مَذْهَبُهُمْ	مُسْتَرْشِدُونَ كَمَا تُسْتَرْشَدُ السُّورُ
هَدَى الْأَحْبَةَ طَرَا نُورُ حِكْمَتِهِمْ	إِلَّا الَّذِي مَالَهُ فَهْمٌ وَلَا بَصَرُ
أَلَيْسَ رِيٍّ فِي الْقُرَّاءِ أَنْ يَأْمُرُنَا	دَعَاؤُ الْخَلَائِقِ لَنَا حَيْثَمَا افْتَقَرُوا
قُوتُ الْقُلُوبِ صِلَاحُ الْعَقْلِ حَرْفَتُهُمْ	يَا حَبِذَا حَبِذَا مَا مِثْلُهُمْ مَطَرُ
ذَوُ الْبَصَائِرِ طَرَا مُدْعِنُونَ لَهُمْ	وَبِالْأَوَامِرِ مِنْهُمْ كُلُّ يَأْتُرُ
الشَّعْبُ وَالْجِيلُ وَالْأَحْزَابُ قَاطِبَةً	مِنْ فَيْضِ عَرَفَانِكُمْ يَنْمُو وَيَتَكَبَّرُ

لولاكم رؤساء الدهر ما فهموا حق القيادة بالإذعان ! نتصروا
 إني بكم واثق درسا وتربية فالحلم زينكم التيسير والفكر
 إن الهدايا التي أهدى لنا الكُبرا أهل الوسائل أهل العلم من نصروا
 هي الجواهر والياقوت من أدب ما مثلها هبة كالا ولا دُر
 هدية قال فيها المصطفى عجا من نالها نال غنما ليس ينحصر
 هذا ابن خلدون من أفكاره سطعت ذا المغربي ابن رشيد كلهم غرر
 وقبلهم حجة الإسلام ناصرهم والناس يتبعهم والحق ينتشر
 وبعدهم عمر ومالك وخديـم المصطفى بهم السنغال يفتخر
 وبو نعامة، عبد الله جس، وإما م لاي، أحمد سك أعلامنا البُدر^(١)
 كذا العباس وأحمد دم سحائبنا يحيا بهم كل قلب شُبهُه الحجر
 شكرًا لـ "نادية" دكتورتي الفهمه من أرشدني حتى أينع الثمر
 صلاة ربّي وتسليم بلا عدد على رسول الهدى من هديّه عبر
 والآل والصحب والأتباع كلّهم والشيخ منصور سي من فيضه غزر
 خليفة القرم حامي السر وارثه وحضرة الفاس في السنغال تنتشر
 أعني ابن عثمان شيخ المادحين لأحد مد الحبيب الذي يهدي به البشر
 كذا مشايخنا الأشراف قاطبة ما دام فيض إله الناس ينهمر

علاوة على ذلك، فما من شيء إلا ولهم فيه فكرة، وما من
 فكرة إلا ولهم فيها عبرة، وما من عبرة إلا ولهم فيها عظة، وما من
 عظة إلا ولهم فيها حكمة، وما من حكمة إلا ولهم فيها معرفة،

(١) يعني: الشيخ الحاج عمر الفتوي، الشيخ الحاج مالك سي، الشيخ بو كنتا القادري، الشيخ أحمد نداك سك، الشيخ عباس صال، الشيخ أحمد دم السوكوني، ﷺ جميعا.

وما من معرفة إلا وهم فيها تربية، وما من تربية إلا وهم فيها تزكية،
وما من تزكية إلا وهم فيها ترقية، وما من ترقية إلا وهم فيها
شهادة، ألا إن الشهادة ذروة السير والعبادة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

وقد مدح الله ﷻ القائمين بهذه العبادة (عبادة التفكر) في قوله
جَلَّالَهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)،
ويرحم الله العارف بالله ابن عطاء الله السكندري إذ يقول:
"ما نفع القلب شيءٌ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة"^(٣).

فالتربية عملية تعليم وتصحيح، ونقل للمعرفة، وترقية للمجتمع،
ومن ثم فلا يمكن أن تنبع أو تعمل من فراغ، ولا أن تقوم بلا رجال
ورواد، أو مصادر ومراجع تُثَبِّرُ درب المربين وتحفظ سيرهم من الميل،

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨).

(٢) سورة آل عمران، الآيات: (١٩٠-١٩١).

(٣) دليل العقلاء لفهم حكم ابن عطاء للدكتور علي عبد المقصود حسين أبو النجا-الجزء الأول-ص: ٥٠-٥١ بتصرف.

وتحدد لهم البوصلة، وتُعِينُهُم على أداء العملية التربوية على أكمل وجه، ففي التربية لا بد من عِلْم يُعَلِّم ومن نموذج صحيح يُصَحِّح على منواله، والتربية الإسلامية تستمد أصولها الثقافية والفكرية من المصدرين الأساسيين للإسلام والمسلمين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المحفوظان من التغيير والزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، فهما: الحجر الأساسي والمرتكز الرئيسي والميزة الحقيقية للتربية الإسلامية، فبهما ينطلق المسلمون للمجد والرقي والحضارة انطلاقة سليمة لا خلل فيها ولا عوج؛ لأنها تربية ربانية نبوية، فيتحقق بذلك المفهوم الإسلامي للتربية الذي يشتمل على كل العلوم والمكتسبات الفكرية والسلوكية المؤدية للفضائل ومكارم الأخلاق، وهذا هو هدف التربية الإسلامية وغايتها^(٢).

من هنا تعلق التربية الإسلامية على سائر أنواع التربية الأخرى التقليدية والحديثة، وتتميز عنها من حيث الأهداف والطبيعة والمحتوى والسماوات والأثر العلمي، وكونها تربية ربانية يجعلها تسير

(١) سورة الحجر، الآية: (٩).

(٢) المضامين التربوية في كتاب بستان العارفين للإمام النووي وتطبيقاتها في مجال الأسرة والمدرسة- رسالة الماجستير للطالب عبد الله بن محمد الإسماعيلي- العام الجامعي: ١٤٣٥-١٤٣٦هـ- شبكة الألوكة- ص: ٢ بتصرف.

في نفس الطريق الذي يرسمه الإسلام بمعناه الواسع كدينٍ للحياة الدنيا والآخرة؛ يشمل كل مسائل الحياة ويلبّي حاجات الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء، وبهذا يمكن القول إن التربية الإسلامية هي التي ترجمت مبادئ الإسلام إلى الواقع، ومعطياته إلى سلوك في الأفراد والمجتمع، وذلك بالاعتماد على القرآن الكريم والسنة المطهرة كمصدر أصلي يهدف إلى بناء شخصية المسلم وتوجيه كل طاقاته وفق منهج شامل متكامل؛ يسعى إلى تحريك طاقات الإنسان جميعاً في ترابط، ويدفعها إلى التعبير عن نفسها إلى الحد الأقصى المتاح من درجات التعبير، وهو ما يؤدي إلى هدفين أساسيين: أولهما: توحيد الإنسان وتوجيه نشاطه بما يخدم رتللك الوحدة النفسية. وثانيهما: تنويع الحضارة البشرية وتعميق معطياتها وجعلها أكثر انسجاماً من تكوين الإنسان وحاجاته النفسية والمعاشية ودوره في الأرض، وهي قمة التربية^(١).

وهنا ينسجم موضوعنا مع التربية وتتجلى علاقته بها؛ حيث تتناول مادته جانباً مهماً من جوانب الحياة، ألا وهو الأحوال الشخصية بما فيها الطلاق والميراث، هاتان القضيتان اللتان كثيراً

(١) دور التربية الإسلامية في تنمية المجتمع - ت: د/ منى علي أحمد السالوس - الطبعة الأولى - مكتبة دار القرآن - المحرم ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م - ص: ١٨ - ١٩ .

ما تثيران خلافات ومشكلات بين أفراد الأسر والمجتمع؛ وهذا ما جعل الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله كداعية إسلامي، وصوفي رباني، ورمز بارز مهم من رموز الوطن الذين لهم مكانة عظيمة، وتأثير فعال معتبر من قبل الحكومة والمجتمع - يقوم بدوره القيادي ومسئوليته الدعوية المتمثلة في مبادرته المباركة بتأليف كتابه القيم: "المحنة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" داعيًا الحكومة السنغالية إلى الاهتمام بالتوصيات المقدسة العادلة المحكمة من الكتاب والسنة، وتطبيقها في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، مؤكداً على مرونة تربية الإسلام وشمولية شريعته لجميع جوانب الحياة، وتمييزها بالتوازن والاعتدال قائلاً:

إن الشريعة كلها لعدالة ومريحة عند التزام جليته

أسباب اختيار الموضوع:

قد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها ما يلي:

١ - التراث العلمي القيم الذي تركه الشيخ، والذي يزخر بالمضامين والإشارات التربوية.

٢ - توجيه المجتمع السنغالي إلى ضرورة الاهتمام بدراسة تراث مشايخنا الأسلاف؛ للكشف عن كنوزه المليئة بالثروات العلمية والتربوية.

٣- قلة البحوث العلمية التي تناولت هذا الجانب من الموضوعات الهامة.

٤- كون الباحث شاهد عيان بالنسبة لما يحدث في هذه الحجرة الدراسية الفارقة، فأهل مكة أدرى بشعابها؛ فهو من الرواد الذين كانوا يسقون ويغرفون من بحار العلوم الفياضة لهذه الشخصية العظيمة رحمته الله.

لهذه كلها قام الباحث بإعداد هذه الدراسة رغبةً في إبراز ما تضمنته كتابات الشيخ رحمته الله من أساليب تربوية وأسرار ربانية، متخذاً من كتابه المبارك: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" نموذجاً؛ عسى أن ينتفع به أجيال هذه الأمة قاصيها ودانيها، وبغيةً في إظهار خدماته الاجتماعية وتنميته البشرية؛ لتكون نموذجاً يقتدى به في كل حين.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في عدة نقاط من أهمها ما يلي:

١- إن المضامين التربوية عند الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله من أعظم مقومات التربية الصوفية الإسلامية؛ حيث كانت أقرب إلى العقل وواقع حياة الناس والمجتمع، كما سيتجلى ذلك في كتابه:

"المحنة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" نموذج هذه الدراسة، فالإسلام عقيدة وشريعة غايتها الكبرى هداية البشر عبر العصور.

٢- لا شك أن الشيخ محمد المنصور رحمته الله علم ظاهر من أعلام أمتنا الغراء؛ فهو فيلسوف الإسلام، ورائد التصوف، وإغاثة الملهوفين، وأبو الأيتام والمساكين، محط شفاء المضطرين والأرامل، حتى قلت واصفا لفضيلته:

أرى بك يا منصور جوداً مكرماً بأعظم ما تسخو الرياحُ الشمائِلُ
فأنتم بلا أدنى من الشك ملجأ لأيتام والمساكين غداً الأراملُ^(١)

وهذه الأخلاق الربانية والشمائيل المحمدية جعلت الشيخ كهفا منيعا للفقراء والمساكين، ومفردا علما في إنقاذ البشر والاهتمام بشئونهم، وكتابه: "المحنة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" من أدل ما يتجسد فيه ذلك، والله در عمه الفاني الشيخ الرباني: الحاج عبد العزيز سي رحمته الله إذ يقول شاهدا بفضله:

أكرم بكم يا منصور يا سعد الوري كهف العشرة منبغ العرفان
مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تكمّن مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

(١) انكشاف الظلام والدياجي في لقاء بوروم دارجي، قصيدة للباحث (٢١/٠٧/٢٠١٠م).

- ١ - ما العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية الشيخ العلمية؟
- ٢ - ما أبرز الإنجازات العلمية والإسهامات التربوية التي حققها الشيخ رحمته الله؟
- ٣ - ما هي المضامين التربوية عند الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله في كتابه: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء"؟

حدود الدراسة:

البحث محدد حول شخصية الشيخ محمد المنصور سي المباركة، والمضامين التربوية في كتابه: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء".

مصطلحات الدراسة:

قد وردت في البحث أربعة مصطلحات: المضامين، التربية، الصوفية، بروم دارجي.

١ - المضامين:

المضامين لغة: من (ضمن) الشيء بالكسر (ضمانا): كفل به، فهو (ضامن) و(ضمنين). وفهمت ما تضمنه كتابك: اشتمل عليه وكان في ضمنه. وأنفذته (ضمن) كتابي: أي في طيّه.

واصطلاحاً: هي خلاصة الفكر التربوي الذي يشمل عليه كتاب معين، بغض النظر عن المجال الرئيسي الذي ألف فيه الكتاب، فقد يكون الكتاب فقهياً، أو أدبياً، أو تاريخياً^(١). ويقصد بالمضامين التربوية في هذه الدراسة: ما احتواه كتاب "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" للعارف بالله الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله، وما اشتمل عليه من مضامين وقيم ودروس تربوية، يمكن استنباطها ومدارستها والإفادة منها.

٢ - التربية:

التربية لغة: من الفعل (ربا يربو) أي: نما وزاد، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٢)، وعندما نتحدث عن نشأة فلان من الناس فنقول: رُبِّي في بيت أو قبيلة، أو بين أفراد عشيرة من العشائر، فإن المقصود بذلك أنه نشأ وترعرع ونما من كافة الجوانب: جسدياً وعقلياً وخلقياً، وفي مثل هذا جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(٣)،

(١) انظر المضامين التربوية في كتاب بستان العارفين للإمام النووي (مرجع سابق) ص: ٩ .

(٢) سورة الحج، الآية: (٥).

(٣) سورة الشعراء، الآية: (١٨).

والرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمرّي،
والقيّم، والمنعم^(١).

والراء والباء يدل -مما يدل عليه- على إصلاح الشيء والقيام
عليه، فالله -جل ثناؤه- الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه. والربية:
الحاضنة. والرابّ: الذي يقوم على أمر الربية^(٢).

واصطلاحاً: ليس هناك من مفهوم اصطلاحى مجمع عليه بالنسبة
لمعنى التربية، ويلاحظ عند التدقيق في تعريفات التربية الكثيرة، أنه يعوّل
على التربية قدرتها على إحداث تغييرٍ ما؛ لذا يمكن القول ببساطة:
إن التربية هي عملية إحداث تغييرٍ مرغوب فيه في سلوك الأفراد وفي
أحوال المجتمع.

ويمكن القول -أيضاً- بأنها: إعداد المرء ليحيا حياة كاملة،
ويعيش سعيداً، ومحبا لوطنه، قويا في جسمه، كاملاً في خلقه،
منظّماً في تفكيره، رقيقاً في شعوره، ماهراً في عمله، متعاوناً مع
غيره، يحسن التعبير بقلمه ولسانه، وجيّد العمل بيده.

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - العدد الأول - السنة الأولى - ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م -

ص: ١١٠ .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس - تح: عبد السلام محمد هارون - ج: ٢ - ط: دار الفكر - ص:
٣٨١-٣٨٢ بتصرف.

فلا يمكن للتربية أن يتحقق مدلولها ومعناها إلا إذا حدث التغيُّر المرغوب فيه؛ لأن التغير المرغوب فيه هو المعيار لحدوث التربية، وبهذا القيد تصبح عملية التربية مرادفة لعملية النمو؛ لأنه ليس للنمو أي معنى سوى التغيُّر المتَّجه إلى الأمام^(١).

فالتربية عملية اجتماعية وُجدت مع وجود الإنسان، وهي عملية إنسانية موضوعها الإنسان، ومن ثم تشتق أهدافها وطرائقها من المجتمع الذي توجد فيه وتعبّر عنه.

إنها عملية إيصال الشيء إلى كماله، والكمال يتوقف على طبيعة الشيء الذي يخضع لعملية التربية؛ لخير الفرد ولخير مجتمعه ولخير الإنسانية، فهي عملية مستمرة، ولكن وفقا لمرضاة الله ﷻ؛ استجابة لقوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(٢).

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية (مرجع سابق) ص: ١١٠-١١١ .

(٢) المعجم العصري في التربية - د/ سونيا هانم قزامل - كلية التربية بالعريش - معهد البحوث

والدراسات العربية - رقم السجل: ٩٢١٠١ - ص: ٤٢-٤٣ .

وقد يتبادر إلى الذهن: ما العلاقة بين التربية والتنشئة والتهذيب والتزكية والترقية؟
والجواب أن:

- التنشئة: هي الإنشاء والابتداء، يقال: نشأ الصبي فهو ناشئ: إذا كبر وشب ولم يتكامل، وأنشأ الله الخلق: أي ابتداء خلقهم، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾^(١)، أي: ابتدعها وابتداء خلقها، والنشئة: أول ما يعمل من الحوض، يقال: هو بادئ النشئة، إذا جف عنه الماء وظهرت أرضه. وقال ذو الرمة:

هَرَقْنَاهُ فِي بَادِي النَّشِيئَةِ دَائِرٍ قَدِيمٍ بَعْدَ الْمَاءِ بُقْعٍ نَصَائِبُهُ
روى ابن السكيت عن ابن عمرو: تَنَشَّأَ فلان لحاجته: نهض فيها ومشى^(٢).

- التهذيب: هو الإصلاح والتنقية، يقال: هذبه يهذه هذبا: قطعه، وهذبه: نقاه، وفي الصحاح: التهذيب كالتنقية: أخلصه، وقيل: أصلحه، وهذب النخلة: نقى عنه الليف، قال شيخنا نقلا

(١) سورة الأنعام، الآية: (٧٩)

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي - الطبعة الأولى: ١٣٠٦ هـ - ص: ١٢٧-١٢٨ .

عن أهل الاشتقاق: أصل التهذيب والهدب تنقية الأشجار بقطع الأطراف تزيد نموا وحسنا، ثم استعملوه في تنقية كل شيء وإصلاحه وتخليصه من الشوائب حتى صار حقيقة عرفية في ذلك، ثم استعملوه في تنقيح الشعر وتزيينه وتخليصه مما يشينه عند الفصحاء وأهل اللسان^(١).

- التزكية: هي التطهير والإصلاح، يقال: زكى الشيء: أزكاه وأصلحه وطهره. وزكى نفسه: مدحها، وفي التنزيل: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢)، ويقال أيضا: زكى الشهود: عدّهم. والزكاة: البركة والنماء والطهارة والإصلاح وصفوة الشيء. وأرض زكية: طيبة خصبة^(٣).

- الترقية: هي الرفع والإصعاد، يقال: رقا: رفعه وصعّده. ويقال: رقاك الله أعلى المراتب. ورقى العامل: رفعه درجة. ورقى في الحديث: زاد عليه^(٤)، وفي هذا المعنى يقول إمام المداحين محمد البوصيري رحمته الله في همزته مادحا النبي صلوات الله عليه:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

(١) المرجع السابق - ص: ٥١٣ .

(٢) سورة النجم، الآية: (٣٢).

(٣) المعجم الوسيط - ص: ٣٩٦-٣٩٧ .

(٤) الوسيط (مرجع سابق) ص: ٣٦٧ .

فالعلاقة هي: أن التربية أعم وأشمل وأعمق، والتنشئة والتهديب والتزكية والترقية مراحل ومراتب للتربية.

٣- الصوفية:

الصوفية لغة: قد اختلف في الأصل الاشتقاقي للتصوف، هل من الصفاء لأن مداره على التصفية، أم من الصفوة (الكاملين) لأنه اتصاف بالكمالات، أم من الصُّفَّة لأن الصوفية متشبهون بأهل الصفة في التوجه والانقطاع، أم من الصوف لأن جل لباسهم الصوف؛ تقللاً من الدنيا وزهداً فيها، أم من صوفيا التي تعني الحكمة باليونانية.

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه من الصوف، منهم العلامة القشيري - رحمه الله - حيث قال: والأظهر - إن قيل بالاشتقاق(*) - أنه من الصوف، والعلامة ابن عجيبة - رحمه الله - حيث قال: هذا الاشتقاق أليق لغة وأظهر نسبة؛ لأن لباس الصوف حكمٌ ظاهرٌ على الظاهر، ونسبتهم إلى غيره أمر باطن، والحكم بالظاهر أوفق وأقرب. بالإضافة إلى أن النسبة إذا كانت

(*) وسبب هذا القيد أنه ﷺ لا يرى لهذا الاسم اشتقاقاً من جهة العربية ولا قياساً، بل يرى أنه لقب.

إلى الصفاء، فإنه يقال صفائي، وإذا كانت إلى الصُّفة، فإنه يقال صُفِّي، وإذا كانت إلى الصِّف المقدم بين يدي الله تعالى، فإنه يقال صَفِّي، وإذا كانت إلى الصفوة من خلق الله، فإنه يقال صَفْوِيٌّ. والدليل على ارتباط التصوف بالصوف، قصة محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم الباهلي عامل خراسان: فقد دخل محمد على قتيبة وعليه مدرعة صوف خشنة وربما بالية، فقال له قتيبة: ما يدعوك على لباس هذه؟ فسكت، لم يُجِر جواباً، فقال له قتيبة فيما يشبه الغضب: أكَلِمَكَ فلا تجيبي؟ فأجاب محمد في خشوع وهدوء: أكره أن أقول زهداً؛ فأزكي نفسي، أو أقول فقراً؛ فأشكو ربي. لذا فالصوفية لم يلزموا أحداً بلباس الصوف - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - وإنما نسبوا إليه لأنه كان ظاهر حالهم.

أما الشيخ أبو الفتح البستي - رحمه الله - فقد رأى أن الصوفية من صفا صُوفي، وذلك حين أنشد قائلاً:

تنزع الناس في الصُّوفيِّ واختلفوا وظنُّهُ البعضُ مُشتقًّا من الصُّوفِ
ولستُ أَمْنَحُ هذا الإِسْمَ غَيْرَ فتي صَفًا فصُوفيٌّ حتَّى نَمِّي الصُّوفي
وعلى دربه سار الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله -
حيث قال: إنّ الصوفية من أصل صافي وصُوفيٍّ إليه، أي:
بإدله الإخاء والمودة، وتكون بتقرب العبد لربه بالحب والطاعة،

ويصافيه الله بقربه وكرامته، فنقول: الذي صُوفي من الله ^(١) جَلَّالَهُ.

وأرى أنه لا بأس بالجمع بين الرأيين (الصُوف، صَافٍ صُوفي) فيكون الأول حكما على الهيئة والشكل كما سبق، والثاني حكما على ما عُرف منهم من الخلق والسلوك. والله در من ركب من كل حرف من كلمة "صوفي" صفاتٍ من أبرز صفاتهم قائلا:

أوصاف صوفٍ فعلى ترتيب حروفه فهأكهأ حبيبي
فصبره وصدقه صفاؤه ووجدته ووؤده وفأؤه
وفقره وفقده فناؤه تمت صفات من بذا مناؤه^(*)

(١) انظر: - الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة - ت: الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي - الكويت - الطبعة الأولى - ٩١٤١ هـ - ١٩٩٩ م - ص: ١٩ - ٢٠
- منتدى سيدي الشيخ (sidicheikh.yoo7.com) الأربعاء ٢٥ يونيو ٢٠٠٨ م
- ملتقى أهل الحديث (ahlalhdeth.com)
- موقع نور الصوفية (sufislight.blogspot.com) الخميس ٢ أكتوبر ٢٠١٤ م.

(*) فالصبر عندهم: حبس النفس عن رؤية الغير. والصدق عندهم: التبري من الحول والقوة. والصفاء عندهم: خلّو شيمتهم من الكدورة البشرية. والوجد عندهم: تلّهب القلب للقاء المحبوب. والود عندهم: العمل بمقتضاه، وذلك ببذل النفس فيما يرضي المحبوب ^{وَعَبَّكَ} وكثرة اللهج بذكره. والوفاء عندهم: القيام بوظائف العبودية؛ إيفاءً بالعهد المأخوذ يوم أَلَسْتُ بربكم. والفقر عندهم: خلّو القلب من رؤية الكونين. والفقد عندهم: الفناء عن رؤية الأحوال عند غلبة التوحيد على قلب السالك. والفناء عندهم: عدم الشعور بشيء سوى المولى جل ثناؤه. انظر: تسهيل المطلوب من زجر القلوب - ت: العلامة عبد الله فال - ص: ١٤١-١٤٢ .

واصطلاحاً: تناول التصوف كثيراً من العلماء بالشرح والتحليل، وتكلم في معناه كثير من الأئمة، كلٌّ عبّر بما لديه، وسوف نعرضه بإيجاز شديد كمدخل لإبراز الدور الفعال الذي لعبه موضوع هذه الدراسة: الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله:

قال الإمام الجنيد رحمته الله: هو أن يُميتك الحق عنك ويُحييك به.

وقال أبو محمد الحريري رحمته الله: هو الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني ^(١).

وقال شيخنا أبو العباس أحمد التجاني رحمته الله: هو امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى ^(٢).

وقيل: الصوفي كالأرض، يطرح عليه كل قبيح، ولا يخرج منه إلا كل مליح، ويطؤه البر والفاجر ^(٣).

وقال الدكتور سعيد أبو الأسعاد: التصوف هو صدق الحال والمقال، وهو إصلاح الظاهر والباطن، وهو علم تعرف به أحوال

(١) دليل العقلاء لفهم حكم ابن عطاء - ت: د/ علي عبد المقصود حسين أبو النجا - الجزء الأول - ص: ١٢ .

(٢) جواهر المعاني - ت: الشيخ أبو العباس أحمد التجاني - ص: ٧٥ .

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم - الشيخ أحمد ابن عجيبة الحسني - ص: ١٠ .

تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر لنيل السعادة الدنيوية والأخروية^(١).

وبالجملة فقد أضافوا -رحمهم الله- في بيان معناه إلى أقوال كثيرة مرجعها جميعا إلى صدق التوجه إلى الله جلّالته وإخلاص العبودية له^(٢).

علمُ التصوفِ علمٌ ليس يدركه إلا أخو فطنة بالحق معروف وكيف يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف^(٣)

٤ - بُروم دَارَجِي: (Brom Daradji):

وهو مصطلح "وُلُوفِي" من إحدى اللغات المحلية السنغالية، ويعني (صاحب الكتاتيب) وقد لُقِبَ الشيخُ مُحَمَّدُ المنصور بهذا اللقب؛ لأنه كان يمارس التدريس في الكُتّاب منذ زمن مبكر، في حوالي الواحد والعشرين من عمره، والذي سماه به هو والده الكريم السيد الخليفة أبو بكر سي رحمته الله، وذلك في حوالي سنة ١٩٥٢م، حيث جاء إلى والده رحمته الله وفدٌ من ساحل العاج، يسأل عن مسألة فقهية

(١) البيان الجازم أن التصوف لتزكية الإنسان نهج لازم- د/ سعيد أبو الأسعاد- ط: شركة

الفتح للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة الثانية- ص: ٥ .

(٢) انظر دليل العقلاء (مرجع سابق) ص: ١٢-١٣ .

(٣) البيان الجازم (مرجع سابق) ص: ٢١٠ .

تتعلق بجواز الحج بواسطة الطائرة، فرافقهم رحمته الله إلى المجلس الذي كان الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله يدرس فيه طلاب العلم، فسلم عليه وخاطبه مناديا إياه بلفظ (بُروم دَارِجِي) ثم أمره بأن يستقبل الوفد الزائر ويجيب عن مسألتهم، ومنذ ذلك الحين ظل هذا اللقب ملازما للشيخ محمد المنصور رحمته الله، ثم تطور حتى إلى صيغة الجمع (بُروم دَارِي)؛ بفضل ما جعل الله تعالى على لسان أوليائه من البركة، وبفضل مواظبة الشيخ رحمته الله للتربية والتعليم زهاء ثلاثين سنة، وعدد الكتاتيب والمدارس التي أنشأها داخل مدينة تواوون المحروسة وفي مختلف أنحاء البلاد^(١).

الدراسات السابقة:

من الملاحظ قلة البحوث والدراسات في تراثنا رغم ثرائه ونفاسه؛ مما أسهم في قلة ما دارت منها حول هذه الشخصية العظيمة، خاصة التحليلية، ومن تلك الدراسات:

١ - "الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية" للباحث: غورم غاجو، نال به شهادة الكفاءة للتعليم الإعدادي

(١) انظر: الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية - بحث أعده السيد/ غورم غاجو في كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين - قسم اللغة العربية - جامعة شيخ أنت جوب بديكار؛ لنيل شهادة الكفاءة للتعليم الإعدادي - العام الجامعي: ٢٠١٢-٢٠١٣م - ص: ٢٣

في كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين - قسم اللغة العربية - جامعة
شيخ أنت جوب - دكار - سنغال.

٢ - "منور الصدور بحقائق المعرفة واليقين" للباحث: هادي جوف.

٣ - "دور الكتابات في بناء المجتمع: الشيخ محمد المنصور سي
نموذجاً" الإعداد: جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سي، بمناسبة
الدورة الأولى لليوم القرآني عام: ٢٠١٦م.

٤ - "شذى العطور من نفحات الشيخ محمد المنصور" الإعداد:
الحاج مؤد مال ك صو.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذا البحث: المنهج الوصفي التحليلي.

أهداف الدراسة:

وهي تصب في النقاط التالية:

- ١ - إبراز أهم إنجازات الشيخ العلمية وإسهاماته التربوية.
- ٢ - محاولة الكشف عن المضامين التربوية في كتاب الشيخ: "المحجة
البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء".
- ٣ - الإسهام في خدمة تراث الأولياء الذين منهم هذه الشخصية
العظيمة.



الفصل الأول:

لمحة عن حياة الشيخ محمد المنصور سي

رضي عنه

المبحث الأول: مولده ونسبه

المبحث الثاني: تكوينه الشخصي والعلمي

المبحث الثالث: مكانته العلمية وانشغاله
بالتربية والتعليم

الفصل الأول:

"لمحة عن حياة الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله"

لا يمكن دراسة شخصية الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله بمعزل عن تبحره في العلم والمعرفة، وشدة اهتمامه بالقضايا الإسلامية والاجتماعية فهذا هو خلاصة حياته المباركة؛ حيث كان شخصية علمية ربانية، ورجلا إنسانيا وتربويا؛ لذا يهدف هذا الفصل بمباحثه الثلاثة للوصول إلى أهم العوامل المحفزة وأبرز الشواهد المبرهنة على ذلك.

المبحث الأول: مولده ونسبه:

ولد الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله يوم السبت ١٥/٨/١٩٢٥م بمدينة توارون المحروسة، عاصمة العلم والثقافة الإسلامية، بين أبوين صالحين كريمين: الشيخ الخليفة أبي بكر سي، والسيدة عائشة سك رضي الله عنهما، ونسبه ينتهي إلى الشيخ شمس الدين يحيى القلقمي؛ فهو بن الخليفة الأكبر، والعالم الأشهر، والشيخ الأبر: الخليفة أبو بكر سي، بن العارف بالله، المربي في الله، والمرقي لله، حامل الطريقة التجانية في إفريقيا الغربية: مولانا الشيخ الحاج مالك سي، بن عثمان، بن معاذ، بن محمد، بن علي، بن يوسف الجلفي(*)، من أحفاد

(*) الجلفي نسبة لساكني جلف، منطقة معروفة من مناطق السنغال، انظر: "إفحام المنكر الجاني على طريق سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني" للعلامة: مولانا الشيخ الحاج مالك سي.

الشيخ شمس الدين يحيى القلقمي، رضوان الله عليهم أجمعين^(١).

وهذه الأسرة الكريمة تتميز بعراقتها الإسلامية وأصالتها العلمية والخلقية؛ فقد كان والده المرحوم الشيخ أبو بكر سي رحمته الله من أعلام عصره في العلم والزهد والتقوى، ذا شخصية قوية تتجلى في عفاه وورعه وصلاحه، فقد كان يقضي جل أوقاته في العبادة والتهجد وتلاوة القرآن والذكر ومراقبة المولى، شديد التمسك بالكتاب والسنة، لا يتعامل بالترخيص في الدين ولا يقبله بأي حال من الأحوال، ومن أبرز سجايه دفاعه عن الشريعة المحمدية والطريقة التجانية الأحمدية، والدليل على ذلك وصاياه الخمس التي كان كثيرا ما يوصي بها الأتباع والمريدين، وهي كالتالي:

١ - الدِّين (ويعني الالتزام بأحكام الشرع).

٢ - الطريقة الأحمدية التجانية (ويعني الاهتمام بالأوراد اللازمة للطريقة)، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾^(٢).

(١) انظر سلسلة النسب في: "الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية"

(مرجع سابق) ص: ١١ .

(٢) سورة غافر، الآية: (٥٥) .

٣- الحَرْف (ويعني تشجيع المريدين على كسب الحلال وسد باب التكفف والبطالة).

٤- الدوائر (ويعني اجتماع الإخوة لمذاكرة ومدارسة أمور دينهم ودنياهم).

٥- زيارة الشيوخ في مدينة تواوون المحروسة (وهي عبارة عن زيارة العلماء للاستفادة بمعرفتهم وثقافتهم الربانية).

وقد أكد لنا هذه الحقيقة نجله البار، الذي هو موضوع دراستنا: الشيخ محمد المنصور سي في قصيدته المشهورة "زُور الخليفة" مصوّراً لنا والده الصالح قائلاً:

شيخ هدى واهتدى بهديه زُمُرُ	من حيث ما اقتبسوا من نور فتواه
صافي الشَّمائل حاوي الفضائل بل	حُلُو المناهل بل بل طاب مرعاه
كُهفُ السَّماحة بل كنز الهداية بل	عَوْنُ البرِّية من مرضاة مولاه
أحيا طريقة قطب العارفين أَجَلْ	من بعد والده في حُسن مَسْعاه
صان الخلافة بل نال الوراثة بل	داوى الضلالة عَمَّن كان يَغشاه
أكرم به سندا قد كان يُرشدنا	سرّاً علانيةً مولاه يرضاه
أعني الخليفة نَجَل القطب مالِكنا	مَن قد هدى النَّاسَ لِلإله مَلْجَاه ^(١)

(١) الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية (مرجع سابق) ص: ١٥ - ١٦ بتصرف.

وكان جده العارف بالله السيد الحاج مالك سي رحمته الله من أئمة الفقه والحديث والتفسير، "وقد عاش عيشة مرضية في التعلم والتعليم والتقوى، وهو مصلح للطريقة التجانية وناشرها في السنغال، وكان تقيا نقياً مطيعاً لأوامر الله وسنة رسوله صلوات الله عليه، وكان صالحاً ومرشداً ومعلماً في "اندز" أو في "دكار" أو في "انجردي" أو في "تاون"، محظياً عند أهل العقد والحل، ومتمسكاً بسلامة الأمة المحمدية، وشاعراً دينياً مفلحاً"^(١).

وقد يجسد لنا تلك المعاني العلية أحد تلاميذه، الشاعر الكبير والعالم النحرير: الشيخ عليّ غي في داليتة المشهورة وهو يرثي شيخه قائلاً:

لقد نام ذو عرضٍ كريمٍ مهذب أيُّ عن الأدناس طهّارٌ محتد
دمٌ خالصٌ لا يقبلُ حملَ ذرّةٍ من الضّمّ عَوْنٌ للأحبّ وحسد
إلى أن قال:

وليّ رفيعُ الصّيتِ شرقاً ومغرباً فكم لغريبٍ منه خيرٌ تزود
صفيّ نصحٍ فاق علماً وسؤدداً وما لامه غيرُ اللّيمِ المُعرّد
وليّ شهيرٌ كاملٌ متكاملٌ وممرّاه مرمى سيّد القوم أحمد
جزيلٌ جزيلٌ ذو مقامٍ مُرفّعٍ فريدٌ طويلٌ الباع والرجل واليد

(١) الأدب السنغالي العربي - ت: د/ عامر صامب - ج: ٢ - ص: ١٢١ .

سليمان أمر موسى بنجدة خليلي دين سني لمحمد
إذا اجتمع الأشياخ فهو خطيبهم بوعظ بليغ من فصاحة مزود
إلى أن قال ﷺ:

ومن لي بإخراج الحقائق ناصحاً ومن لي بتدريس الكتاب ومُسند
ومن لي ببذل الفقه والتحو منطق بيان معانيها بديع بمسعد
ومن لي بنجم في النجوم وموصل أصولاً عروضاً سيرة البدر مقود^(١)
وأما والدته المرحومة فهي "السيدة عائشة سك، بنت دمب سك،
بن دوج سك، بن واصور من كبار مؤسس مدينة امباو"^(٢)، فنسبها
يرجع إلى قبيلة ليو (lebou) تلك القبيلة الأصيلة التي تسكن في
عاصمة السنغال (دكار) وضواحيها^(٣)، وقد كانت ﷺ سيدة فاضلة
ورعة، عابدة تقية نقية، معروفة بالكرم وكثرة الرماد والحفاوة.

في هذا الجو العلمي والرباني، فتح الشيخ عينيه، وفي هذا الكنف
التربوي والإنساني، نصب الشيخ رجله، ناشئاً مترعرعاً بفضل الله
وعنايته.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريئ المجامع^(٤)

(١) "شاعرية الشيخ الحاج مالك سي في مدح النبي ﷺ والدفاع عن الإسلام: دراسة تحليلية
فنية" رسالة ماجستير للباحث/ حسين فال- الجامعة الأمريكية المفتوحة- القاهرة- العام
الجامعي: ٢٠١٦-٢٠١٧م- ص: ٣٩ .

(٢) الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية (مرجع سابق) ص: ١١ .

(٣) منور الصدور بحقائق المعرفة واليقين - ت: الأستاذ هادي جوف - ص: ٤ بتصرف.

(٤) البيت للشاعر الأموي: الفرزدق.

المبحث الثاني: تكوينه الشخصي والعلمي:

لما بلغ الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله سن التمييز والتعداد، ووصل طور التكوين والإعداد، أبي والدّه الكريم العلامة الشيخ الخليفة أبو بكر سي رحمته الله إلا أن يسبق الزمان في صنع نجله وطبعه على طابع أجداده الأتقياء، ومنوال آبائه الأصفياء، فقد كان رحمته الله يقول: "لأسبقنّ الزمان فيكم قبل أن يسبقني في إعدادكم"^(١)، ومن ثمّ وضعه على يدي الشيخ ماما لوح -رضوان الله عليه- ليكون القرآن الكريم أول ما يُنقش على صفحة نجله البيضاء، وأفضل ما يُزرع في ثُربة قلبه الصفراء، وبعد أن حفظ الشيخ القرآن الكريم، شتمّ عن ساق الجد ليتدرع بالعلوم الشرعية والفنون العربية، فهضم ألفية ابن مالك ومبادئ اللغة العربية في حضرة الشيخ عليّ غي، وخضم علم الصرف والتجويد في مجلس الشيخ شيبه فال، ونهل من الشيخ مختار صال مختصر الخليل ومقامات الحريري، وعلّل من الشيخ بران صار الشعراء الستة، رضوان الله عليهم أجمعين، هذا بالإضافة إلى ما تفكّ به من إفادات والده الاحمرارية والبيانية، وإفاضات شيخه المنطقية والأصولية، وفتوحات مربّيه المعرفية والصوفية:

(١) دور الكتابات في بناء المجتمع: الشيخ محمد المنصور سي نموذجاً -الإعداد: جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سي، بمناسبة الدورة الأولى لليوم القرآني عام: ٢٠١٦م - ص: ٨ .

العلامة الفهامة الشيخ الخليفة أبي بكر سي رحمته الله ^(١).

هكذا تكوّن الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله وتربّى، وهكذا جال وصال في الميادين العلمية والأدبية، والساحات المعرفية والتربوية، حتى ترسّخ بعون الله وتوفيقه في العلوم والفنون وتغذّى، مكلّلاً بإكليل الحكمة والعرفان، ومتوّجاً بتاج التربية والتبيان.

المبحث الثالث: مكانته العلمية وانشغاله بالتربية والتعليم:

كان الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله علامة دراكة فهامة، منبع الحكم والأنوار، وكنز العلوم والأسرار، صاحب الإرشادات الربانية، والخدمات الإنسانية؛ مولعاً بالخير وفعله، محباً للعلم وأهله، فقد كان رحمته الله "يقضي جل أوقاته في التدريس، متفهّماً لظروف الدارسين المادية والاجتماعية، مُلمّاً إماماً تاماً بجميع الفنون التي كان يدرّسها: الفقه - النحو والصرف - البلاغة - الأدب العربي بشقيه: الجاهلي والحديث - الأصول - المنطق - التفسير - الحديث - السيرة النبوية، معتمداً بكتاب جده الحاج مالك: (خلاص الذهب في سيرة خير العرب) الذي يُعتَبَر مرجعاً أساسياً للمجتمع السنغالي في السيرة النبوية" ^(٢)، وقد دام على ذلك زهاء ثلاثين سنة، لا ينقطع عن المجلس

(١) الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية - ص: ١٨ بتصرف.

(٢) منوّر الصدور بحقائق المعرفة واليقين - ت: الأستاذ/هادي جوف - مارس ٢٠١٤م - ص: ٥

إلا لأداء صلاة أو استقبال زائرين^(١).

وإلى جانب التدريس والتعليم نرى الشيخ رحمته الله مربيًا صوفيا يربي المريدين ويرقي السالكين، ويرشدهم إلى التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، ويغرس فيهم حب العلم والعلماء والأولياء والصالحين، مفسرا لكتاب الله تعالى، وشارحا لكتابي جده العلامة الحاج مالك سي رحمته الله: "كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين"، و"إفحام المنكر الجاني على طريق سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني" وخاصة في شهر رمضان المبارك، وإلى هذا يشير عمه الفاني والشيخ الرباني العلامة الحاج عبد العزيز سي رحمته الله:
رمضان إن رمت الحقيقة شاهدًا لكم بنشر الذكر والقرآن^(٢)
وكان للشيخ رحمته الله أسلوب متميز في التدريس، يتجلى في جدّ استعداده وتأهّبه، وحسن مظهره وجمال ملبسه، وطيب عطره ورونق طلّعه، بالإضافة إلى إلقاءه الجذاب، وشرحه الأخاذ، ومراعاته للفروق الفردية بين التلاميذ، الأمر الذي كان يجعل الوُزاد في رِيّ متواصل، وتفاعل متناغم، فضلا عن أسئلته الحوارية والنقاشية التي كان يثير بها انتباه الدارسين (العصف الذهني)، ومكافئاته القيمة التي كان يشجع بها المجيئين والمشاركين من الطلبة؛ وذلك كله

(١) انظر الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية - ص: ٢٥

(٢) انظر المرجع السابق ص: ٢٥ .

اقتداء بسيد المعلمين، وقائد المفكرين: سيدنا محمد ﷺ، الذي كان من وسائله التربوية ومبادئه التعليمية: تكرار الحديث وإعادته، والتأني في الكلام والفصل بين الكلمات، والاعتدال وعدم الإملال واختيار الوقت المناسب، وضرب الأمثال، وطرح المسائل، واستعمال العبارات اللطيفة والرقيقة، وتشجيع المحسن والثناء عليه، والإشفاق على المخطئ وعدم تعنيفه، وعدم التصريح والاكتفاء بالتعريض فيما يُذم، وانتهاز بعض الوقائع لبيان وتعليم معانٍ مناسبة^(١).

هذا، وقد تخرج في حضرة الشيخ محمد المنصور سي رضي الله عنه كوكبة مميزة من العلماء الأجلاء، والأساتذة النبلاء، صاروا شموسا للأمة الإسلامية ونجومًا ساطعة في سماء القلوب، حصرهم يُعَي، ومثالهم يكفي، لذا فخذ منهم ما يُرضي:

(١) انظر السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث - ت: د/ علي محمد الصلابي - ط: مؤسسة زاد - ص: ٣١٣ وما بعدها.

الاسم:	المكان:	الاسم:	المكان:
الإمام الحاج إبراهيم جوب	تواوون	الأستاذ الحاج إبراهيم سي	تواوون
الإمام الحاج موسى جوب	تواوون	الأستاذ مصطفى سي	تواوون
الإمام الحاج حسن جوب	تواوون	الأستاذ مالك به	تواوون
الإمام الحاج مكت جوب	تواوون	الأستاذ مالك في	تواوون
الإمام الحاج حسين جين	تواوون	الأستاذ مالك جوب	تواوون
الإمام الحاج عمر انغران	تواوون	الأستاذ منصور جوب حسن	تواوون
الإمام الحاج موسى نيون	تواوون	الأستاذ منصور جوب موسى	تواوون
الإمام الحاج عبد سار	تواوون	الأستاذ جوب غانار	تواوون
الحاج عبد العزيز سار	تواوون	الأستاذ باب سار	تواوون
الحاج مصطفى سار	تواوون	الأستاذ روحان فال	تواوون
الحاج نوح باه	تواوون	الأستاذ صمب فال	تواوون
الحاج خليفة خولي	تواوون	الأستاذ مصطفى انيانغ	تواوون
الحاج غور انغوم	تواوون	الأستاذ الحاج علي انجاي	تواوون
الحاج مالك جوب	تواوون	الأستاذ مصطفى انجاي	تواوون
الحاج شيخ جوف	تواوون	الأستاذ أحمد انجاي	تواوون
سرنج منصور جوف	تواوون	الأستاذ عمر انجاي	تواوون
الحاج مودو مالك صو / المشرف	تواوون	الأستاذ شيخ عمر جاي	تواوون
الحاج باب في / سكرتير	تواوون	الحاج عبد الله اندير	تياس
الحاج جاسي غي / سكرتير	تواوون	الحاج حسين جيت	تياس
الحاج عثمان امبي / سكرتير	تواوون	الحاج عثمان مباح	امبورو
باب خليفة غاسما / سكرتير	تواوون	الأستاذ الحاج باب كان	امبورو
السيد منصور غاسما	تواوون	الأستاذ محمد سك	امبورو
السيد محمد المنصور باه	تواوون	الأستاذ عمر باه	امبورو
السيد خليفة انغوم	تواوون	الأستاذ امبي فال	امبورو
السيد الحسن سي	تواوون	جيرن علي تال	سالم

الحاج مصطفى توري/سكرتير	سالم	الأستاذ موسى لكاز	سالم
الحاج عمر باه	سالم	الأستاذ هارون انجاي	سالم
الحاج عثمان سار/سكرتير	سالم	الأستاذ أحمد ساج	سالم
الحاج شيخ تيجان درامي	سالم	الأستاذ منصور تياخ	سالم
الحاج عمر جوب/سكرتير	سالم	السيد بابكر اندو	سالم
الحاج مالك تيومبان	سالم/كرألف تيومبان	السيد حسين سال	سالم
الحاج مالك سال	سالم/اندوكمان	السيد لاسن فوفن	سالم
الحاج باي درامي	سالم/اندوفان	السيد بابكر لوم	سالم
الحاج عمر درامي	سالم/اندوفان	السيد إبراهيم جينغ	سالم
الحاج توري آج	سالم/كر أيب	السيد آدم جينغ	سالم
الحاج دام لوح	سالم/كفرين	الشيخ الحاج محمد جاي	سالم
سرنج عثمان غي	سالم/جوبين	السيد مصمب جاي	سالم
سرنج بمب صل	سالم/كنغيل	السيد عثمان جاي	سالم
سرنج إبراهيم جوب	سالم/كنغيل	السيد سليمان جاي	سالم
الأستاذ بابكر جوب	سالم/كنغيل	السيد أبو بكر جاي	سالم
الأستاذ مصطفى جوب	سالم/كنغيل	الإمام الحاج علي ساخو القاضي	غامبيا
سرج بكر جوف	سالم/فتيك	الأستاذ سعيد سجان	غامبيا
الأستاذ هادي جوف	سالم/فتيك	الأستاذ عبد الله سونكو	غامبيا
الأستاذ جبريل سين	سالم/فتيك	الأستاذ مالك سيس	غامبيا
الأستاذ حبيب اندو	سالم/جكلار	الأستاذ آدم لوح	غامبيا
الأستاذ علي جوب	سالم/كفرين	الأستاذ أحمد لوح	غامبيا
الأستاذ مورو جالو	سالم	الأستاذ مصمب لوح	غامبيا
الأستاذ باب غي	سالم	الأستاذ فضيل توري	غامبيا
الأستاذ محمد لمن غي	سالم	الأستاذ علي جاي	غامبيا
الأستاذ منصور سي	سالم	الأستاذ إبراهيم جاي	غامبيا
الأستاذ إبراهيم سي	سالم	الأستاذ محمد اندو جاي	غامبيا

الإمام الحاج مام غور توب	دكار	السيد داود امبينغ	جلف
الأستاذ الحاج خليفة غي	دكار / ريفيسك	الأستاذ بابكر فال	جلف
الأستاذ الحاج داود جينغ	دكار / يوف	السيد مصطفى تياو	قومبل
الأستاذ الحاج علي امبيك	دكار / جبل	الأستاذ الإمام تياو	قومبل
الأستاذ محمد اندور	دكار / برجى	الأستاذ موسى سي	قومبل
الأستاذ منصور انجاي	دكار / برجى	الأستاذ محمد منصور كانجي	جربيل
الأستاذ علي جينغ	دكار / برجى	الأستاذ الشيخ عمر لوم	جربيل
السيد يعقوب صمب	دكار / برجى	الأستاذ الحاج شيخ لكور	لنكير
الأستاذ محمد لوح	دكار / غولف	الأستاذ الحاج عبد لكور	لنكير
الحاج شيخ سك	دكار / غولف	الأستاذ خليفة انيانغ	سين لوي
الحاج عبد الله انيانغ	دكار / غولف	الحاج مكت دم	سين لوي
الحاج علي كان	دكار / بكين	السيد منصور موبج	سين لوي
الحاج شيخ فال	دكار / بكين	الإمام الحاج بشير ساجا	زغينشور
الحاج محمد غي خليل	دكار / بكين	الأستاذ الحاج مالك توري	داغانا
الحاج خليفة جوب	دكار / يميل	الحاج امبي سي	مدينة سي
الحاج إبراهيم سين	دكار / بووباب	الحاج مور غي	نيوي
الحاج دودو واد	دكار	سرنج مود فال	انغاي
الأستاذ بابكر باه	تواوون	السيد باب إبراهيم انجاي	دكار
الأستاذ محمد المنصور جفين	تياس	الإمام الحاج أماد كامر	دكار
الأستاذ علي باه	تياس	الحاج بايدي غي	دكار
أستاذ محمد المنصور كاه	تواوون	الأستاذ بابكر صل	دكار
الأستاذ محمد المنصور فال	تواوون	السيد محمد المنصور امبي	دكار
الأستاذ امبي فال	تواوون	السيد صمب فاي	دكار
الأستاذ مصطفى جوف	تواوون	الإمام الحاج أماد كامر	دكار
الأستاذ مختار انجاي	تواوون	الحاج بايدي غي	دكار

الحاج حسن جوب	كوديفوار	الحاج سليمان سيس	غامبيا/باته اندر
السيد الحاج فال	فرنسا	الحاج مد سيس	غامبيا/باته اندر
الحاج مالك امبي	دكار	الحاج علي سيس	غامبيا/باته جول
السيد محمد المنصور امبي	دكار	الحاج جول سيس	غامبيا/باته جول
السيد صمب فاي	دكار	السيد انغاند امبي	غامبيا/جارك
الإمام شريف خطاب	فرفج	الحاج عمر حو انجاي الإمام	غامبيا/انجايين
الحاج عثمان انجاي	فرفج	السيد مام لاي انجاي	غامبيا/انجايين
الأستاذ علي توري	فرفج	السيد الشيخ التجان انجاي	غامبيا/انجايين
السيد محمد جانح	فرفج	السيد باب انجاي	غامبيا/انجايين
السيد محمد الأمين سك	فرفج	السيد مور يام انجاي	غامبيا/انجايين
السيد منصور سيس	فرفج	السيد إبراهيم انجاي	غامبيا/انجايين
الإمام الحاج جبل توري	فرفج	السيد محمد انجاي	غامبيا/انجايين
السيد الحاج محمد سك	فرفج	الأستاذ مد سيس	غامبيا/بات اندر
السيد دام سك	فرفج	الأستاذ خلفه جينغ	سالم/امبوس
السيد مالك توري	فرفج	أستاذ محمد البشير جالو	سالم
السيد عثمان توري	فرفج	أستاذ محمد المنصور كاه	تواوون
الأستاذ الشيخ أحمد التجان سيس	بوست كر أيب	السيد مام غور لوح	غامبيا/كر بامبه
الأستاذ عبد جام	بوست كر أيب	السيد الحاج عمر كي	بوست كر أيب
السيد الحاج جم غي	بوست كر أيب	السيد مصطفى انيانغ	بوست كر أيب
السيد الحاج انيانغ	بوست كر أيب	السيد الحاج عبد توري	كر غاتن

الأستاذ سليمان صل	تواوون	الحاج مالك امبي	دكار
الأستاذ عبد الله انجاي	تواوون	السيد الحاج عمر غي	بوست كر أيب
السيد أمر جوب	لوغا	السيد الحاج موسى غي	بوست كر أيب
الحاج حسن جوب	كوديفوار	الحاج سليمان سيس	غامبيا/باته اندر
السيد الحاج فال	فرنسا	الحاج مد سيس	غامبيا/باته اندر
الأستاذ عثمان غي	تواوون	السيد باب إبراهيم انجاي	دكار
السيد إبراهيم انجاي	غامبيا/ انجايين	السيد الحاج انيانغ	بوست كر أيب
السيد محمد انجاي	غامبيا/از جايين	السيد الحاج موسى غي	بوست كر أيب
الأستاذ مد سيس	غامبيا/با ت اندر	السيد الحاج عمر كي	بوست كر أيب
السيد مام غور لوح	غامبيا/كر بامبه	السيد مصطفى انيانغ	بوست كر أيب
السيد إبراهيم جابو	جابو ساجال/ غامبيا	السيد الحاج عمر غي	بوست كر أيب
السيد محمد لوح	جابو ساجال/ غامبيا	أستاذ محمد البشير جالو	سالم
الحاج عثمان انجاي	فررج	الأستاذ بابكر سجان	سالم
الأستاذ علي توري	فررج	الأستاذ إبراهيم سجان	سالم
السيد محمد جانج	فررج	الأستاذ بشير كانتى	سالم
السيد محمد الأمين سك	فررج	الأستاذ خلفه جينغ	سالم/امبوس
السيد منصور سيس	فررج	السيد الحاج عبد توري	كر غاتن

الحاج علي سيس	غامبيا/ باته جول	السيد الحاج محمد سك	فرنج
الحاج جول سيس	غامبيا/ باته جول	السيد مالك توري	فرنج
السيد انغاند امبي	غامبيا/ جارك	السيد دام سك	فرنج
الحاج عمر حو انجاي الإمام	غامبيا/ انجايين	السيد عثمان توري	فرنج
السيد مام لاي انجاي	غامبيا/ انجايين	الإمام شريف خطاب	فرنج
السيد الشيخ التجان انجاي	غامبيا/ انجايين	الأستاذ الشيخ أحمد التجان سيس	بوست كر أيب
السيد باب انجاي	غامبيا/ انجايين	الأستاذ عبد جام	بوست كر أيب
السيد مور يام انجاي	غامبيا/ انجايين	السيد الحاج جم غي	بوست كر أيب
الإمام الحاج جبل توري	فرنج	السيد أمر جوب	لوغا

وقد وفق الله الشيخ -رحمه الله- أن تخرج في حضرته المباركة
-أيضا- أبناءه النجباء، ونخبة مرموقة من السيدات الفضليات،
أستعرض في الجدول التالي نبذة من أسمائهم:

السيد الشيخ أحمد تجان سي	تواوون	السيدة تبرا سي الحفيدة	تواوون
السيد مصطفى جميل سي	خومبل	السيدة مما جاتا	تواوون
السيد محمد الحبيب سي	تواوون	السيدة فاط سي جوف	تواوون
السيد الحاج مالك سي	تواوون	السيدة فاط سي اندو	تواوون
السيد عبد العزيز سي	خومبل	الحاجة عائشة تومبو	تواوون
السيد محمد البشير سي الحفيد	تواوون	السيدة أيد واد	تواوون
السيدة سُخْن فاطمة سي منصور	تواوون	السيدة جاخ سيس	تواوون
السيدة سُخْن مام قار سار	خومبل	السيدة فاطمة في	تواوون
السيدة سُخْن مت جو	تواوون	السيدة آمنة تومبو/الأم	تواوون
السيدة أم الخير سي	تواوون	السيدة أم الخير انغوم	تواوون
السيدة صفية سي	تواوون	السيدة فاطمة انجاي غاسما	تواوون
السيدة آسية سي	خومبل	السيدة أم الخير غاسما	تواوون
السيدة ياي أيد سي	تواوون	السيدة أيد غاسما	تواوون
السيدة أم كلثوم سي أميرا	تواوون	الحاجة متي توري	تواوون
السيدة اندي أست سي	تواوون	الحاجة فاطمة سك	تواوون
السيدة فاطمة انجاج سي	تواوون	الحاجة اندي روسلي انجاي	اندر
السيدة أست اندوي	تواوون	السيدة فاطمة باه	اندر
الحاجة فاطمة سي امينغ	دكار	الحاجة أيدا انجاي	اندر
الحاجة جال فال	تواوون	الحاجة أيد امينغ	اندر
السيدة خديجة اندوي	تواوون	الحاجة كود اندو	اندر
الحاجة أست دكوري	تواوون	الحاجة مريم لي	اندر
الحاجة أرم انجاي	تواوون	الحاجة جارية لي	اندر
السيدة فاطمة جا	تواوون	السيدة اندي أنت صل	تواوون
السيدة أست انجاي	تواوون	السيدة أست فال	تواوون
السيدة أست كن سيس	كوديفوار	السيدة ماد انجاي	تواوون
السيدة ياسين جوب	كوديفوار	السيدة آمنة انجاج	فرنسا
السيدة فاطمة فال	فرنسا	السيدة أيد فال	فرنسا

الحاجة رحمة الله غي	دكار / وكام	السيدة اندي تومبو	دكار / ريفسك
الحاجة حبيبة انجاج	دكار	السيدة أمينة تومبو تراوري	دكار / ريفسك
الحاجة ميمونة باه	دكار	السيدة اندي ليمو جل	دكار / ريفسك
الحاجة أجي انغي	دكار	السيدة اندي مور جل	دكار / ريفسك
الحاجة كن انجاي	دكار	السيدة أنت اندوي	دكار / ريفسك
الحاجة اندي آمنة انيانغ	دكار	السيدة حوكن	دكار / ريفسك
الحاجة أمينة انيانغ	دكار	السيدة فاطمة جانج	دكار / ريفسك
الحاجة أمينة جينغ	دكار	الحاجة أمينة امبينغ	تياس
الحاجة جاية امبينغ	دكار	السيدة أم الخير امبينغ	تياس
الحاجة أم جو	دكار	السيدة أيد امبينغ	تياس
الحاجة زينب فال	دكار	السيدة مام قار بوي	تياس
السيدة فاط سي فال	دكار	السيدة فاطمة سي اندير	تياس
السيدة فاط سي قومما	دكار	السيدة كني جوب	تياس
السيدة فاط سي دابو	دكار	السيدة دب جوب	امبورو
السيدة آمنة كن	دكار	السيدة أم كلثوم جوف	امبورو
السيدة آمنة انجاي	دكار	السيدة أم الخير جوب	تيوؤور
السيدة ميمونة جانج	دكار	الحاجة يس انجاي	سالم
السيدة حوا سك	دكار	الحاجة فاطمة جو	سالم
السيدة جاجا في	دكار	السيدة مكت غي	سالم
السيدة سلمة جانه	دكار	السيدة اندي جينغ	سالم
الحاجة سودا جينغ	شريف لو	الحاجة آدم جوب	انغاي
السيدة خوجا جاي	سالم	السيدة اندي جالو	دكار
السيدة بيكام انجاج	دكار	السيدة اندي فاري جوب	دكار
السيدة أرم صامب	دكار	السيدة فاطمة واد	دكار
السيدة مريم برو	دكار	السيدة فاطمة إيان سي	دكار
السيدة اندي كانج درام	فرفج	السيدة خديجة غي	دكار

وكما انتشر تلاميذ الشيخ في شتى ربوع العالم، تَوَزَّعَتْ كُتَاتِبُهُ على مختلف الأماكن والبلدان، فقد انتهج الشيخ نهج جده العلامة الحاج مالك سي رحمته الله في توسيع الكُتَاتِب ورفع المساجد في المدن والقرى؛ فقد كان من فكرته رحمته الله عدم حصر الطلاب بِرُمَّتِهِمْ في بقعة واحدة خوفا من نقص الإشراف اللازم عليهم؛ فنقل كُتَابَهُ إلى حي "فوجي"، ونصب في كلِّ من "مِدِنْ" و"عرفات" كُتَابًا مع شيخٍ مشرفٍ عليه، وهكذا توسَّعت الكُتَاتِبُ فيما بعد^(١). هذا بالإضافة إلى المدرسة التي أسسها في حي "عرفات" بتواوون، والتي ما زالت في قيد التنفيذ، يسر الله ووفق أسرته وذريته على إتمام هذا المشروع الرباني.

كما قام الشيخ رحمته الله ببناء جوامع ومساجد في مناطق شتى، تُعَمَّرُ بحلقاتٍ يذكر فيها اسم الله جلَّ جلاله، ويدرس فيها العلوم الشرعية والصوفية، وما ينفع في الحياة الدنيوية والأخروية، منها: جامع "عرفات" بتواوون، وجامع "المادي" وجامع "غُولْفُ نُورٍ" في دكار، ومنها مسجد "انجَارْدَه"، ومسجد "امْبُورُو"، ومسجد "دار قدوس" ومسجد "تُبَابُجَلَاو"^(٢).

(١) انظر الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية (مرجع سابق) ص: ٣٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص: ٢٨ .

هذا، وقد كان للشيخ رحمته الله رؤية بعيدة المدى في التربية؛ حيث إنها تعني عنده كل ما يمكن الإنسان من القيام بأداء رسالته العبودية أحسن أداء، وتَجْعَلُ عِلْمًا من قول مَنْ وَعَلَّمَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وتتخذ شعارا من قول من رحمته الله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٢)؛ ما جعل ميادينه التربوية تتسع لتشمل - إلى جانب إنشاء الكتاتيب والمدارس، وبناء المساجد والجوامع - مجالات اجتماعية وتنموية، وتكفل للعبد حياة متكاملة ومتوازنة؛ تلبي حاجاته الدنيوية، كما تعينه على الظفر بالنعم الأخروية، عملا بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)؛ لذا قطع رحمته الله أراضي وأنشأ حقولا متعددة ومزارع واسعة يُزْرَع فيها أنواع من المحصولات؛ بما فيها القمح، والفسق، والذرة، وأنواع أخرى من الثمرات، ومن تلك المزارع: مزرعة "امبورو" التي أنشأها سنة ١٩٥٨م، ومزرعة "جامغن" التي أنشأها جده العلامة الشيخ الحاج مالك سي رحمته الله، ومزرعة "مانكو"

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦) .

(٢) سورة هود، الآية: (٦١) .

(٣) سورة القصص، الآية: (٧٧) .

في "بُوت"، ومزرعة "نوتو غي جما"، ومزارع أخرى في "رساتول" و"بوتو" و"غانجول" و"كر ممر سار" و"روس بيجو" و"امبوجين" و"جوغو" و"غاجاغا" و"جكين" في "والو"^(١).

ومن تلك المجالات التنموية والاجتماعية سحائبه الهطّالة، ومزونه السيّالة، التي قد طالما حوّلت فقيرا يُرثى لحاله، ثريا يُغبط لماله، وأحيث له أرضا بعد موتها، وخضرت له شجرا بعد يُيسها، وصيرت مُدمن الرّجل والحفا، حليف الرّحل والبُرا، وأراحت من أنقض الإيجار ظهره، بسكنٍ شيقٍ يثلج صدره، ووسّعت على من كان عدم النفقة يضيّقه، وأرقدت من كان حج بيت الله الحرام يؤرّقه، حتى إنه ﷺ أحجّ في عام ٢٠٠٠م ما يقرب من مائة شخص أو يزيد؛ الشيء الذي جعل ملك المغرب محمد السادس -حفظه الله ورعاه- يُعرب عن مدى فرحه وإعجابه بهذا العمل الجليل، مُهديا له إحدى عشرة تذكرة؛ إسهاما في ذلك الجهد الميمون، وتوطيدا لأواصر المحبة والأخوة الدينية التي تربط بين المملكة المغربية، والأسرة المالكية بصفة خاصة، وبين المغرب العربي، والسنغال بصفة عامة، فأبى الشيخ محمد المنصور سي ﷺ إلا أن يُدرج في صفحات التاريخ هذه المبادرة الدينية؛ تنويهاً بهمة العليّة، ومكافأة جلاله الملك

(١) انظر المرجع السابق (الشيخ محمد المنصور سي الثاني) ص: ٢٧ .

بإحسانه إحسانا، بقصيدة مَصُوغَة بمداد الشكر والدعاء، مُعْنُونَة
ب: "الوفاء في ذكر مناقب صاحب الصفاء" وهاكم نص
القصيدة:

فجزى الأمير لنا إله الناس	أعني الشريف محمد المكناسي ^(١)
بل مغربي المثلث قاد بلاده	لبناء مجد الدين فوق أساس
أهدى لنا أغلى الهدية قاصدا	وجه الإله الخالق الأجناس
سَخِيتْ يدها تَكْرُما وتحسبا	من فضله كالغيث بعد الياس
فدعا الأحبة للحجاز حجة	وزيارة روض النبي الإلياسي
برُّ الأمير وبحره قد موجا	فجميعنا غرقى برِّ التاس
وجزى الوزير مُعِينَه "المَدَّغري"	ولوفده هم قدوة لسياسي
أبقاكم للدين دُخرا رثنا	ولشعبكم في الليل كالنبراس
وَأَنالَكُم كُلَّ الأمانِ رثنا	في ظلِّ عيشٍ بالتقْدُمِ واسٍ ^(٢)
فانعم بلطفك عرشه ولشعبه	ولكل من سند لمنع الباس
إنَّ الطريقة شَرِفتْ بقدمكم	ملكاً كوالده رفيع الراس
إني وقومي والأحبة جملة	هُدي التشكُّر والدُّعا لِلآسي ^(٣)
أعني الكريم ابن الكريم محمدا	السَّادس في المغرب الألماسي ^(٤)
ورعى الإله لشخصه ولشعبه	من كلِّ فِظٍّ مُعْتَدٍ عَبَّاس

(١) المكناس: مدينة من مدن المغرب.

(٢) واسٍ من واسٍ: آسى وعاون وعزّا، ولعل المقصود منه هنا: رغد العيش وتمكّنه.

(٣) الآسي: المُساعد والمُعاون.

(٤) الألماس: حجر من الأحجار الكريمة.

وسقى الإله لشخصه ولشعبه
ياربنا فاقبل دُعا حجاجنا
وتخص فضلك والعناية أرضه
وتعينه عند الشدائد كلها
أيده بالعمير الطويل مؤمنا
خلصه من بطش المصائب كلها
صن ربنا هذا الأمير وشعبه
خط المكائد كلها في خيبة
واسأثره سترك باركا أعماله
بل لا يرى إلا التقدم والرقى
أعني التجاني شيخنا وبجاه من
وبجاه شمس الدين جدي مالك
وبجملة الخلفاء ربي فاجزين
فعلى النبي جد الأمير شفيعنا
ولإله أولي المودة والصفا
ما دام شكر للجميل فريضة
ما أنشد المنصور يشكر مغربا
من فيضه المدار أعذب كاس
ودعانا للعاهل السنياس
يحيى معافي مصدر الإناس
آمنه من شر ومن وسواس
ولشعبه ينجون من إفلاس
ومن البلاء والخوف والإركاس^(١)
ولأهله من مفسد جساس
وطأه كالصخر المكين الراسي
ولشعبه في وحدة الأنفاس
نحو العلاء والعز بالعباس
هو جدّه المُسرى بدون نَعاس
مُبدِي المعالم فترة الأدراس^(٢)
عنا الأمير بسعيه المقياس
أركى الصلاة كذا السلام لَقاس
وصحابه بالحق والقسطاس
في ديننا للزبد والإحساس
فجزى الأمير لنا إله الناس

(١) الإركاس: الرد والقلب والنكس، يقال: أركس الله العدو. ويقال: أركست الثوب ونحوه في الصبغ: أعاده فيه. ولعل المقصود منه هنا: الدعاء له بالخلوص والانسلاخ من مشكلات الحياة وظروفها.

(٢) الأدراس: المحو والبلى.

هذا، وقد كانت علاقة الشيخ بالشرفاء علاقة متينة تسودها المحبة والاحترام، والأهمية والإكرام، وصلت بالشيخ رحمته الله أن خصّهم بمساكن يستضيفهم فيها، كما كان رحمته الله يُولي المولد النبوي الشريف عناية فائقة، ويُعدُّ له عدّة تامة، مستقبلاً إياه ببردة الشيخ محمد البوصيري المباركة، ومُحيّياً لياليه بجلسات علمية، "ومما خصه الله في إحياء المولد أنه قرأ البردة خمسا وخمسين سنة على مسامع الناس، كما كان يشرح في كل ليلة المولد من هذه السنين العديدة فصلا واحدا من كتاب خلاص الذهب في سيرة خير العرب"^(١)، بالإضافة إلى مساعداته القيمة، التي كانت تصل البيوت كلما هلّ شهر الربيع الأول؛ استعداداً لمولد نبي الإنسانية ورحمة الله المهداة صلواته على من لا ينقطع.

هكذا كانت التربية عند الشيخ محمد المنصور رحمته الله تربيةً تربط بين المادية والمعنوية، وتجمع بين الدين والدنيا، هادفة إلى لمّ الشمل ونبذ الفرقة، ورامية إلى ما ينفع الأمة في الدنيا والآخرة، وهذا ما يفسر انخراطه في سلك العسكرية لخدمة وطنه وشعبه رغم كونه من أسرة دينية وصوفية، فالعرقية والشيخية لم تحجباه عن أداء دوره الوطني، كما أن هذه الخدمة العسكرية لم تشغله عن مزاولة مهمته التربوية؛

(١) دور الكتاتيب في بناء المجتمع: الشيخ محمد المنصور سي نموذجاً "الإعداد: جمعية طلبة

الشيخ محمد المنصور سي، بمناسبة الدورة الأولى لليوم القرآني عام: ٢٠١٦م. ص: ١١ .

حيث انتهز هذه الفرصة لتعليم زملائه العسكريين ضروريات دينهم وتقوية روحانيات قلوبهم، وقد كان رحمته الله طيلة هذه الفترة العسكرية (عام ١٩٤٦م) في ضيافة خاله الغالي الفقيه الراسي والمقدم التجاني الفاني الحاج عثمان كن الكولخي -رحمة الله عليه- الذي بذل كل نفس ونفيس في ضيافة الشيخ وإكرامه آنذاك، مما دفع الشيخ إلى صياغة قصيدة بسيطة ليبسط فيها معاني حفاوته ومحاسن ضيافته له، داعيا الله وعجل أن يجازيه عنه كل خير، وأن يبارك له ولأهله، ويبقيه صرحا عاليا للإسلام قائلا:

جزاك ربك عثمان بن الحاج	عبد الحميد الذي إنصافه صاف
أغرقني بالعطايا البيض قد عجزت	نفسى بشكرك لكن ربنا وافي
سقيت أطعمتنا في كل آونة	وعم جودك فينا دون إخلاف
لا زال مغناك مرتادا لذي أرب	يؤممه الناس في عز وإيلاف
إني لأذكر حسن الفعل عند أبي	شيخي الخليفة أستاذي وكشافي
إني لأذكر (*) للإخوان جملتهم	بأنكم خير مغطاء ومضياف
تعبت مع أهلك من أجل راحتنا	أوليتمونا عنايات وذا كاف
تلك الأواني التي زفت لعسكرنا	تضم ألوان وجبات وأصناف
وبارك اللهم الأهلين أجمعهم	موفقين بنهج القوم أسلافي

(*) هذه الرواية في: منور الصدور بحقائق المعرفة واليقين (مرجع سابق) ص: ١٣، وقد وردت "كما وأذكر" في: شذى العطور من نفحات الشيخ محمد المنصور - الإعداد: الحاج مؤد مالك صو - الطبعة الأولى - ٢٠١٦م - مكتبة الشيخ محمد المنصور - تواون - ص: ١٤ .

وَحَقَّقَ اللهُ بِالْمَأْمُولِ بَيْنَكُمْ يَقِيكُمْ مِنْ أَدَى بَادٍ وَمِنْ خَافٍ
يُعْلِيكَ بِالرُّتْبَةِ الْعُلْيَا كَوَالِدَكُمْ شَمْسُ الظُّهْرِ تَنْفِي كُلَّ أَوْقَافٍ
تَسْمُو الْمَرَاتِبَ يَا عَثْمَانُ مُرْتَقِيَا ذُرَى الْمَجَادَةِ تَحْوِي كُلَّ أَوْصَافٍ
أَدَامَكَ اللهُ مُرْتَحَا عَلَى رَغْدٍ وَتَنْصُرُ الدِّينَ مِنْ غُلَاتِهِ شَافٍ
جَزَاكُمْ اللهُ عَنَّا الْخَيْرَ مُشْتَمِلًا لِكَافَّةِ الْأَهْلِ مُتَمَدًّا لِأَخْلَافٍ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمُ الْإِلَهِ عَلَى نَبِيِّنَا رَحْمَةً لِلْبَرِّ وَالْجَافِ
وَالِلهِ وَكَذَا الْأَصْحَابُ قَاطِبَةً وَمَنْ يَلِيهِمْ عَلَى اتِّحَادِ أَهْدَافٍ
مَا أَنْشَدَ أَحْمَدُ الْمَنْصُورُ مُرْتَجِلًا أَوْلَيْتُمُونَا عَنَايَاتٍ وَذَا كَافٍ

هذا، ولا يمكن دراسة مكانة الشيخ العلمية وانشغاله بالتربية والتعليم، دون التطرق إلى مؤلفاته التي تبرهن هي الأخرى على تكاملية تربيته وتوازنيته، وتمحورها في ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، فقد انبرى الشيخ محمد المنصور رحمته الله للتصنيف والتأليف كعادة العلماء والمشايخ، فأفاد وأجاد بمصنفات عديدة، تتعرض لقضايا إسلامية واجتماعية، وتُجسّد غيخته على الإسلام وانتصابه للدفاع عنه، ومن تلك المصنّفات:

- تنبيه المنهمك الجاحد لجواز تعدّد الجمعة في المصر الواحد.
- "الشؤمة على هامة البومة" في الرد على رسوم الدنمارك الكاريكاتيرية ضد رسول الإسلام صلوات الله عليه.
- "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" نموذج هذه الدراسة.

- مكانة المرأة في الإسلام.

علاوة على قصائده الرائعة التي تبين شدة تعلقه بربه من
توسلات وابتهالات، والتي منها:

- "التنزيل في أسرار التذليل على وسيلة المقربين إلى حضرة المتين"
قصيدته التذيلية على قصيدة جده العلامة الحاج مالك سي
ﷺ: "وسيلة المقربين إلى حضرة المتين" ومطلعها:

ينازعني كربي الشديد فلم أجد خلاصاً به إلا الإله وعزتي
- قصيدته التذيلية لقصيدة جده العلامة الحاج مالك سي ﷺ:
"أستودع الله" ومطلعها:

بك استجرت إلى المولى على أمل قبول حجّتنا يا كعبة الله
- "مناجات الكئيب" ومطلعها:

أسألك اللهم بالصفات والذات والأسماء والآيات
- "واغوثة واغوثة" في الاستسقاء لشدة الجذب عام ٢٠٠٢م
ومطلعها:

يا من إذا اشتدّ الزمما ن أنزلن ماء السما
- "ندعو الإله" ومطلعها:

ندعو الإله مماتا في نهج عيين الأنام

- "يا نظام الملك" ومطلعها:

يا نظام الملك خنيد الوري يا ممد الكل فتاق الوري

- "أحيي فتية ملء الفؤاد" ومطلعها:

أحيي فتية ملء الفؤاد هم الإخوان في جد اجتهد

ويتجلى - كذلك - في قصائد الشيخ رحمته الله حرصه الشديد على توجيه الطلاب والشبان إلى ما يعود عليهم بالنفع في حياتهم الدنيوية والأخرية - المتمثل في قصائده الإرشادية التي منها:

- "فتبت يداكم" قصيدته الرائعة التي ذيل بها كتابه "الشؤمة على هامة البومة".

- "وعليكم أذكى السلام" التي نظمها بمناسبة زيارة دائرة المتدربين لتعليم علوم الدين لفضيلته، ومطلعها:

وعليكم أذكى السلام وأعظم يا واردون بروضه كي تنعموا

- "الله يدعو الناس للإحسان" نظمها على حروف الآية الكريمة:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، ومطلعها:

الله يدعو الناس للإحسان قبل الفوات فبادروا إخواني

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٤) .

- "أما الدراجة" التي قرضها لنصيحة الشباب بمراعاة الأدب في ركوب الدراجات؛ لتفادي ما قد يلحقهم بها من خطر، إثر تعرّض طالبٍ له لحادثة بالدراجة فكسرت رجله، وهاك مطلعها:

أما الدراجة إذ ما كنت تركبها فكن من الخوض في الخوضِ ذا حذر

ويتجسد فيها -أيضا- سعيه الدؤوب للحفاظ على العلاقات الأخوية، التي تربط بينه وبين الشخصيات العامة والعلماء والمشايخ، وخاصة الأسر الدينية والصوفية، كما تصوّرها لنا قصائده الأمداحية والتنهائية والمراثية التي منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الأمداح:

- "زور الخليفة" في مدح والده المرحوم السيد أبي بكر سي رحمته الله، ومطلعها:

زور الخليفة والإله أعلاه يغني المريدن كما يرضى ويهواه

- "ألا إني بمريم ذو احتفال" في مدح والده أيضا، ومطلعها:

ألا إني بمريم ذو احتفال وما باليت من عذل العذل

- "باقة من زيارة الحال بمدينة بال" في مدح المقدم الشهير والعالم النحرير

صاحب المآثر والمناقب الشيخ الحاج روحان انغوم رحمته الله، ومطلعها:

صرّف عنائك نحو "اندّر" على عجل ولا يفوتك سيرُ الركب والرحل

- "جَزَاكَ رَبُّكَ أَيَّخِيُولُ يُدِّي بِخَسَرٍ" في مدح حبه وعمه العارف بالله السيد الحاج عبد العزيز سي رحمته الله، ومطلعها:

جَزَاكَ رَبُّكَ أَيَّخِيُولُ يُدِّي بِخَسَرٍ عزيز ذي الجود رحب الصدر دون فَخَرٍ

- "وكم نادت دواعي الشوق فَاَمَا" في مدح أسرة العلامة الحاج عباس صال رحمته الله، ومطلعها:

وكم نادت دواعي الشوق "فَاَمَا" عن السعدى وميَّةً أو حذاما

- "جزاك ربك عثمان بن الحاج" في مدح خاله الغالي والفقير الراسي والمقدم التجاني الفاني الحاج عثمان كن رحمته الله، ومطلعها:

جزاك ربك عثمان بن الحاج عبد الحميد الذي إنصافه صاف

- "أحيي العالم الشيخ المنادي" في مدح الولي الكبير والفقير الخطير الشيخ منصور بارو رحمته الله، ومطلعها:

أحيي العالم الشيخ المنادي إلى الإسلام والخيرات هادي

- "أمدحه خَلَقَا أمدحه خُلِقَا" في مدح صاحب العلم والخصال، والحلم والوصال: الشيخ منتقى تال الخليفة العمرية رحمته الله، ومطلعها:

أمدحه خَلَقَا أمدحه خُلِقَا فأفعاله كالقلب قد وافقا طبقا

- "قدم الكرام جماعة من خيرة" في مدح أسرة العلم والمعرفة، أسرة الدين والصوفية: أسرة جامَلْ، ومطلعها:

قدم الكرام جماعة من خيرة لزيارة أرض سَمَتْ في شهرة

- "الوفاء في ذكر مناقب صاحب الصفاء" في مدح جلالة الملك:
محمد السادس ومكافأته، بمناسبة إهدائه للشيخ عشرة تذكرة لحج
بيت الله الحرام عام ٢٠٠٠م، ومطلعها:

فجزى الأمير لنا إله الناس أعني الشريف محمد المكناسي

- "حق الهناء" في مدح جلالة الملك الحسن الثاني رحمته الله، ومطلعها:
حق الهناء بضيفٍ عندنا وردا إذ أنما الضيف ضيف الله حيث بدا

٢- التهاني:

- "زار السرور" هنا بها الشيخ رحمته الله حبه وعمه: العلامة الحاج عبد
العزیز سي الدباغ رحمته الله بمناسبة رجوعه من الحج بمكة المكرمة،
ومطلعها:

زار السّرور وولى الفکر إذ وردا الحاج عبد العزيزم الحلال والحرم
- "أحسن بنظم" هنا بها -أيضا- عمه: الشيخ الحاج عبد العزيز
سي الدباغ رحمته الله، ومطلعها:

أحسن بنظم مديح فائق دررا من بنت فكر همام عمنا القطن
- "أيا راكب البابور" هنا بها أخاه الكبير: الشيخ محمد المصطفى
سي جميل رحمته الله، ومطلعها:

أيا راكب البابور في رونق الضحى هداك إلى نحو الدكار أخو الصفا

- "إلى ابن الحبر" هنا بها أهل الحضرة التجانية في مناسبة الذكرى
المئوية للاحتفال بالمولد النبوي الشريف في توافون عام
٢٠٠٣م، ومطلعها:

إلى ابن الحبر في شعري أشير لأشكره هو العلم البشير
- "بشرى لكم أهل انجاردى" هنا بها أهل انجاردى مع دعوات
جليلة لهم، ومطلعها:

بشرى لكم أهل انجاردى نلتم أملا لَمَّا غدى الحاج مالك شيخكم فَصَلا
- "يا من ينوّه سمعة السنغال" هنا بها الأستاذ عبد الحكيم الليبي،
الذي كان أميناً لمكتبة جمعية الدعوة الإسلامية بدار، بمناسبة
زيارته للشيخ، ومطلعها:

يا من ينوّه سمعة السنغال عرفا يفوح على ربي وجمال
٣- المراثي:

- ثلاث قصائد في رثاء عمه المرحوم العارف بالله: الحاج عبد العزيز
الدباغ رحمته الله، وإليك مطلعها:
الأول:

لقد غاب عنا سيد القوم خادم
رضينا بقدر الله والله حاكم
الثاني:

إني تيقنت والأقدار تلقانا أن المنيّة لا تزال تغشانا

الثالث:

يا صاح دعني لست أملك دمعتي دمع العيون من الفؤاد تماما

- مرثية إلى أخيه الكبير المرحوم العلامة الشيخ محمد المصطفى سي
جميل رحمته الله، ومطلعها:

لقد رحل المولى الصفي جميلنا تحسّر قلبي كالعيون ويدمع

- مرثية إلى عمته السيدة أم الخير سي مالك رضي الله عنهما،
ومطلعها:

لقد حل سلك مخبرة بعصية عشية يوم من نواحي المدينة

- مرثية إلى أخته الكبيرة السيدة أم الخير سي أبي بكر رضي الله
عنهما، ومطلعها:

قد جاءنا خبر اليوم مسمعا يستك فيهِ وكوى القلب واكبدا

- مرثية إلى عمته المرحومة السيدة عائشة كن، ومطلعها:

هل من خلود بهذه الدار للنسم من بعدما ارتحل المختار ذو العظم

- مرثية إلى الخليفة العمرية الشيخ الحاج جرن منتقى رحمته الله، ومطلعها:

رويدك مهلا ناعي الحبر منتقى تفجع قلبي حاسرا وممزقا

- مرثية إلى الشيخ الحاج حبيب انغوم، خليفة الحاج روحان انغوم
بال، رضي الله عنهما، ومطلعها:

فيا حيرة من فقد الحبيب لما غدا يغادرنا والركن في الدين هدى
- مرثية إلى الخليفة القادرية فضيلة الشيخ بو محمد كنت رحمته الله، ومطلعها:
يا ناعيا فينا حميد صفات حبر الزمان وصاحب الخلوات
- مرثية إلى جلالة الملك الحسن الثاني المغربي رحمته الله، ومطلعها:
ناعي المنيّة في الرواح دعاني ينعي الشريف فأرقت أجفاني
بالإضافة إلى خطبه النافعة، التي لم تترك مناسبة دينية أو
اجتماعية إلا وقد شاركت فيها بقبساتها الربانية، ولا مشكلة
معضلة إلا وقد اقترحت لها حلا جذرية؛ ما جعلها تتطلب بحثا
مستقلا يُعنى بجمعها ودراستها^(١).

وكما تناول الشيخ محمد المنصور رحمته الله شخصيات وأعلاما في
قصائده، تناول -أيضا- شخصيته الكريمة علماء ومشايخ أجلاء،
وعلى رأسهم سميّه وعمه العلامة الشيخ محمد المنصور سي مالك
رضي الله عنهما، فقد أتاه ذات مرة الابن الشيخ محمد المنصور برسالة
من أبيه العلامة الشيخ الخليفة أبي بكر سي رحمته الله، فلما قرأها السميّ
والعم رحمته الله فرح بها وكتب في حقه قائلا:

فيا أحمد المنصور نجل الخليفة فلا زلت منصورا لدى كل وجهة

(١) انظر الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية (مرجع سابق) ص:

وقد استجاب الله دعاء العم، فوقّ الابن ونصره بالعلم والتقى، وبارك في حياته حتى بلغ مبلغ الرجال، وألبس حلل العلم والعرفان، وتوّج بتاج القبول والكمال، وتمكّن من حمل موروث الأجداد والآباء، وإذا بسابق عناية الله ﷻ إليه، يعيّنه ويختاره عمه الفاني في حبه، والعارف بربه، ومقدم البركة: الشيخ الحاج عبد العزيز سي رحمته الله لأمانة الخلافة التجانية بعشرة أيام قبل انتقاله إلى جوار ربه، في قصيدته ووصيته العجيبة والمشهورة: "البشرى في مدح صاحب الفيضة الكبرى" مبيناً أهم المواصفات العلمية، والمعايير الربانية، التي تؤهل الشيخ رحمته الله لهذا المنصب الرباني، قائلاً:

يا مجمع البحرين يا علم الهدى	فخر العشيرة نزهة الأكوان
يا قرّة العينين يا كنز الغنى	للطامعين وحاتم الأقران
يا سيّويه زمانه بل قسّيه	علما وفهما دونما نكران
أو مسلما إن كنت جاهل ما روي	عن صاحب الآيات والبرهان
بشراكم منصور قد وليتم	سرّ الخلافة مورد الظمآن
خذها إليكم شاكرا مولاكم	ويزيدكم في سائر الأحيان
والله شرفكم بها أنتم لها	وكذاك وهي لكم من المنان
بالعلم والتعليم فقتم غيركم	والبذل والإنفاق والإحسان
رمضان إن رمت الحقيقة شاهداً	لكم بنشر الذكر والقرآن
أكرم بكم منصور يا سعد الورى	كهف العشيرة منبع العرفان
عش ما تشا في ظلّ عيش أرغد	مرحبا رخي البال كلّ أوان

قل ما تشا شكرا فذلك لائق
منصور(سَنَتَلْ يَالْ جَنْتَ كُجَبُ حَم
شهد الكرام لكم بأن زمانكم
إن العباد تحابوا وتآلفوا
إني أراك مجتهدا ومشهدا
دمتم كما رمنا لكم وترومه
عش ما تشا فخرا لدينك والورى
في صيحة مقرونة بسلامة
وتقود للخيرات كل موقفق
حتى تتم كل ما قد كان ينـ
عش لا ترى شيئا يخاف من العدى
عش سالما حاميا طريقة شيخنا
ما شئت سل مولاك تُعط ولا تخف
فلتشهدوا شكري لمولانا العلي
بحر العلوم محمد المنصور من
علما وآدابا وحسن سياسة
والله شرّفه وعظّم قدره
هذي قلادة عسجد وزبرجد
قد صاغها صافي المحبة فيكم
دبّاغ حافظ عهدكم من قد سمي
أرجو بها وبجاهكم غفران ما
وهو الغفور لكل عبد جاءه

لأهلنا المتان ذي السبحان
لؤلؤي لجاد دقل) بدون توان
ما فيه يا منصور من شأن
لما أتيتم دونما نكران
أركان ما أنهدمت من البنيان
من ربنا ذي العز والسلطان
ولآل دمب مشيد الأركان
في حفظ رب العرش واطمئنان
مسترشدا جا طالب الرضوان
سوي الشيخ فينا العارف الرباني
وشرورهم والخزي والخذلان
وشريعة المنجي من النيران
نوب الزمان وصولة الحرمان
في مدح شيخ عارف عثمان
شاعت مزايه لدى البلدان
ولطافة وبشاشة وحنان
في العصر بين السود والبيضان
قد رصعت بالآلي وجمان
عم محب دأئم الهيمان
بمؤلف الأبريز في الإتقان
قد كان من زل ومن عصيان
مستغفرا جا طالب الغفران

إن القصيدة هذه هُدْيَةٌ من فيض شيخي أحمد التيجاني
خُذْهَا إِلَيْكُمْ يَا ابْنَنَا وَحِبِينَا من عمّكم عبد العزيز الفاني
صَافِي الْحُبَّةِ فِيكَ يَا عَلَمَ الْهُدَى وَلِأَلَّكُمْ طُورًا عَظِيمَ الشَّانِ
عَنْ شَيْخِنَا الشَّيْخِ الْخَلِيفَةِ رَاضِيَا كُنْ رَبَّنَا بِالمُصْطَفَى الْعَدْنَانِ
عَنْ دِينِهِ جَازَاهُ خَيْرَ جَزَائِهِ وَعِبَادِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
فَعِشُّوا جَمِيعًا ظِلَّ عَيْشٍ أَرْغَدَ فِي صَحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَأَمَانِ
حَاوِينَ مَا تَبْغُونَهُ مِنْ سَوْدَدَ وَالْفَوْزِ بِالمَأْمُولِ وَالرَّضْوَانِ
وَبِحَاجَةِ الْوَالِدِ الْكَرِيمِ وَجَدَكُمْ شَيْخَ الْمَشَايِخِ نَجْمَةَ الْأَعْيَانِ
صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْخَلَائِقِ إِنْ سَمِعْتُمْ وَالْجَانِ
وَالْأَلَّ وَالْأَصْحَابِ أَنْجَمَ دِينِهِ أَهْلَ الْعِلَالِ وَالْعِزِّ وَالْإِيمَانِ

وقد قام الشيخ محمد المنصور رحمته الله بمسئولية الخلافة أحسن قيام، واضعاً نصب عينيه على ما كان عليه السلف الصالح من الأجداد والآباء، قائماً بساق الجد باذلاً كل نفس ونفيس لإنجاح نواياهم الربانية، وإتمام مشاريعهم الإصلاحية، وهذا ما يشهده ويقرره أحد تلاميذه وأمناء مكتبته الشاعر المفلح الإمام: مام كور توب في قصيدته الرائعة: "التهاني بنيل الأماني" التي نسجها في مناسبة زيارة الشيخ لمدينة فاس المحروسة في المغرب العربي، وحجّه رحمته الله لبيت الله الحرام، وزيارته للحبيب المصطفى صلّى الله عليه وآله، ورحلته إلى مدينة كاسماس بسنغال؛ لإصلاح ذات بين وفتح مسجد جامع، يقول فيها:

في طاء^(١) ذي قعدة الشهر الحرام وشهـ
 ليل العروبة من يوم الخميس وهو
 وفيه بشركم بالارث عمكم
 زار الخليفة ختم الأوليا سندي
 فقلت مقتبسا من نور جدكم
 "الحمد لله إذ زرتم محلته
 زرتم بفاس أيا منصور قُطـبكم
 زرتم بفاس أيا منصور حـبكم
 زرتم بفاس أيا منصور شيخكم
 زرتم بفاس أيا منصور ملجأنا
 زرتم بفاس أيا منصور قـدوتنا
 من قال في حقه المشهور والدكم
 "إن الإغاثة فيك البعد يسرعها
 فنلت ما لم ينل بالفضل جدكم
 كم من مريد بجاه الشيخ نال مئى
 رجعت من روضة التجان متجها
 هذا لإصلاح ذات البين محتسبا
 جمعتم العلماء فيها كذا الكبرا
 وقيت للعم نذرا في ذهابكم
 هداك للحرمين في ضيافته
 أحرمت يا شيخنا بالحج مقتديا
 فطفت سبعا من الأشواط مبهتلا
 قبلت أسوده الميمون مذكرا

ر الجـد مالكنـا ذي الفضل والهمم
 يوم الولادة يوم الموت للعلم
 عبد العزيز أخو التبريز والحرم
 في فاس وفق مناهم غير مُزدهم
 إذ جاء من فاس عبد الله ذو الكرم:
 قبل الممات بعون الخالق التسم
 ختم الولاية مغيث الورى الخدم
 بحر الحقيقة مصباح الهدى العصم
 أبا الفيوض ممد الأوليا النظم
 قطب الوجود سليل البدر ذي الودم
 أبا المكارم والإحسان والهمم
 شيخ الخليفة بحر العلم والحكم:
 تعظيم قدرك عند الله معتصمي
 ولا الخليفة إن الله ذو كـرم
 لم يخوه شيخه في العمر فافتهم
 لـ "كاسماس" بعون الله ذا عصم
 جزاك ربي عن الإسلام والأمم
 توحيد كلمتنا والسلم والسلم
 أجاب دعوته الوهاب ذو النعم
 رب الملوك إله العرش والقلم
 ملبي قاصدا للكعبة الحرم
 عند المقام لإرضاء العلي الحكم
 مكبرا شاكرا للواحد العظم

(١) التاسع من ذي القعدة عام ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٦ م.

سَعَيْتَ بَيْنَ الصِّفَا وَمَرُورٍ عَلَيْنَا
عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ قَالَ النَّبِيُّ فَخَذُوا
قَفُوتَهُ فِي مُنَى كَذَاكَ فِي عَرَفَا
كَانَ الْوَقُوفُ بِيَوْمِ الْحَجِّ إِذْ نَزَلْتُ
وَذَاكَ فِي الْجُمُعَةِ الْمِيمُونَ حُجَّكُمْ
وَفَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ يُؤْتِي بِغَيْرِ حَسَا
حَاشَاكَ لِلْجُودِ أَنْ يُلْقَى نَزِيلُكُمْ
وَبَعْدَ حُجَّكُمْ الْمَبْرُورِ يَا سَنَدِي
وَصَاحِبِيهِ أَيْ بِكَرِّ خَلِيفَتِهِ
نَاجِيَتِهِ فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكُمْ
زَرْتُمْ سَمِيَكُمْ الْمَنْصُورَ شَافَعَنَا
زَرْتَ الْحَبِيبَ الَّذِي فِيهِ الْعَلِيَّ أَمْرَا
زَرْتَ الْبَشِيرَ الَّذِي قَدْ قَالَ جَدُّكُمْ
زَرْتَ الْمُنِيرَ الَّذِي قَدْ قَالَ مَادُخُهُ
زَرْتَ الرَّسُولَ الَّذِي مَوْلَاهُ قَالَ لَهُ
زَرْتُمْ بَطِيئَةَ خَيْرِ الرُّسُلِ أَكْرَمَهُمْ
زَرْتُمْ بَطِيئَةَ سِرِّ الْخَلْقِ نَوْرَهُمْ
زَرْتُمْ بَطِيئَةَ مَنْ حَازَ الْكَمَالَ بَلَا
زَرْتُمْ بَطِيئَةَ مِفْتَاحِ الْهَدَى وَسَرَا
زَرْتُمْ بَطِيئَةَ مَنْ خُصَّتْ شِفَاعَتُهُ
هَنَّاكَ جَاءَ مِنَ الْبَيْضَانِ مَنْ طَلَبُوا
مَصْدَاقَ كَوْنِكُمْ حَقًّا خَلِيفَتِهِ
وَادْعَتِ خَيْرَ الْوُورِ الْمُخْتَارَ مِنْ مُضَرِّ

وَدَاعِيَا لِلْجَمِيعِ الْخَيْرَ بِالرُّحْمِ
عَنَّا جَزَاهُ غَفُورُ الذُّنُبِ وَالْجُرْمِ
تِ الْحَجِّ مُحْتَسِبَا وَاللَّهُ ذُو الْكَرَمِ
"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ" يَا بَشْرِي لِذِي سَلَمِ
مَضَاعَفُ أَجْرُهُ مِنْ فَضْلِ ذِي الْعِظَمِ
بِ جَلِّ رَبِّكَ كَرِيمَا غَافِرِ الْإِثْمِ
يُخَيِّبُ يَا رَبِّ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَمِ
جِئْتَ الْمَدِينَةَ زَرْتُمْ رَوْضَةَ الْوَسْمِ
وَصِهْرُهُ عَمْرَ الْفَارُوقِ وَالْحَرَمِ
لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْبَلَدَانِ وَالْحَشَمِ
خَيْرَ الْوُورِ شَرَفَا فِي الْخَلْقِ وَالشَّيَمِ
صَلُّوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ صَلِّ ذَا الْقَدَمِ
شَرُّوَاهُ مَا ضَمَّهُ الْأَصْدَافُ مِنْ تُؤْمِ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
عَلَيْكَ كَانَ عَظِيمَا فَضْلُ ذِي الْقِسَمِ
مَنْ قَالَ مَنْ زَارَنِي بُشْرَاهُ مِنْ نَعَمِ
عَيْنِ الْمَعَارِفِ ذَا الْآيَاتِ وَالْعِصَمِ
فَخَيْرٌ وَلَا مَنَّةَ خَلَقَا وَمِنْ شَيْمِ
جِ الْكَوْنِ مَظْهَرِ لَطْفِ مَنبَعِ الْحِكَمِ
أَهْلَ الْكِبَائِرِ كَيْ يَنْجُوا مِنَ الْخَطَمِ
تَلْقَيْنَكُمْ وَرَدَّ خَتَمِ الْأُولِيَا الْخِصَمِ
وَذَا لِأَمْرٍ أَتَى مِنْ رَبِّنَا الْحَكَمِ
وَالْعَيْنُ فِي عَابِرِ الْقُلُوبِ فِي ضَرَمِ

إلى أن قال:

يا ذا الخليفة يا منصور يا سَنَدِي
عنهم يُؤوبُ مريدٌ شُغْرُ هُم
مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا
وَالْأَلِّ وَالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ قَاطِبَةً
وَكُلِّ مَنْ طَلَبُوا صَالِحَ دَعْوَتِنَا
مَا قَالَ تَهْنِئَةً ذُو الْحُبِّ مُبْتَهَجًا
هَذِي التَّهْنِائِي مِنَ الْأَحْبَابِ كُلِّهِمْ
فَلْتَقَبَّلُوا سَائِلَ التَّوْفِيقِ وَالنِّعَمِ
عَلَى حَيِّبِكُمُ الْمُخْتَارِ فِي الْقَدَمِ
يَرْضَى عَنِ الْخَتَمِ وَالْأَشْيَاخِ بِالْعَمَمِ
مِنَ الْأَحْبَابِ ذَوِي الْإِيمَانِ وَالسَّلَامِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْإِنْعَامِ وَالْكَرَمِ

جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبشعره أجز الوفاء.

وهذا إمام آخر من تلاميذه رحمته الله يشهد بمنبع شيخه الفياض
وفضله عليه: العلامة القاضي الحاج علي عمر ساخو من دولة
غامبيا الشقيقة، قائلا:

يا مَنْ بَدَا خَلَقًا بَفَتْحِ الْإِلَامِ
يا مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ يَا مَنْصُورُ يَا
بِخِلَافَتَيْنِ أَمَانَتَيْنِ تَقْوَدُنَا
قَرَرْتُ وَطَابَتْ فِي حِمَاكَ عِيُونُنَا
مَا زِلْتُ مَنْصُورًا وَنَا صِرَ دِينُنَا
تُحْيِي بِتَدْرِيسِ الْعُلُومِ قُلُوبُنَا
وَالدِّينَ تَرْفَعُهُ بِرَفْعِ مَنْارِهِ
إِنْ سَلَّتْ عَنْهُ فَإِنَّهُ ظَرْفُ الْهُدَى
إِنْ سَلَّتْ عَنْهُ ففَاعِلُ الْخَيْرَاتِ مَفْدٍ
فَعَّالٌ أَفْعَلُ فِي الْحَامِدِ وَصَفُهُ
هُوَ عَالَمٌ عَلَّامَةٌ بَلْ عَارِفٌ
بَرٌّ يُحِبُّ الْخَيْرَ يَعْبُدُ رَبَّهُ
عَنْ وَالِدٍ عَلَمٍ وَجَدٍ سَامٍ
زَيْنَ الطَّرِيقَةِ بِهَجَّةِ الْإِسْلَامِ
بِطَرِيقَةِ مُثَلَّى لِإِدَارِ سَلَامٍ
وَنَفُوسُنَا يَا خَيْرَ رَاحٍ حَامٍ
بِالْعِلْمِ قَائِدُنَا لَخَيْرِ إِمَامٍ
وَتَفِيدُنَا بِالْبَذْلِ وَالْإِنْعَامِ
وَالْكَفَرِ تَخْفِضُهُ عَلَى إِرْغَامِ
وَزَمَانِهِ وَمَكَائِهِ الْمُنْتَزَعِ
مَعُولٌ بِهِ فِي الْفَضْلِ كُلُّ نِظَامٍ
شَمْسُ الضُّحَى فِيهَا وَبَدْرُ تَمَامٍ
حَسَنُ السَّلُوكِ لِحُضْرَةِ الْعَالَمِ
دَابَّا يَسِيرُ إِلَيْهِ بِاسْتِسْلَامِ

بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَاقَ سِيَادَةً
فَأَحَبَّ بِهِ كُلُّ الْأَنَامِ بِسَمْتِهِ
وَبَصِيرَتِهِ وَبِلِينِهِ وَبِجُودِهِ
نَالَ الْإِجَابَةَ وَالْقَبُولَ مُبَارَكًا
قُلْ لِلَّذِي قَدْ أَمَّهْ لِمَهْمَةٍ
حَاشَاهُ يَظْلِمُ وَهُوَ يَصْفَحُ دَائِمًا
فَلَكُمْ نَجَا بِسُكُوتِهِ وَلَكُمْ جَنَّا
يَا سَيِّدِي إِنِّي بَعَثْتُكَ مَاسِكًا
فَلَطَمًا اسْتَسْقَيْتُ مِنْ أَنْوَارِكُمْ
مِنْكُمْ بِدَايِنَا وَكُلِّ نَهَايَةٍ
لَا نَاسِيًا أَلْفَى وَلَا مُتَنَاسِيًا
عَلَّمْتَنِي وَبِكُلِّ نَفْعٍ جُدْتَ لِي
أَيَّامَ كُنْتَ مُدَرِّسًا وَمُعَلِّمًا
مَا زِلْتَ تَسْقِينَا بِنُورِ حَقِيقَةٍ
يَا زَمَرَمًا لِلْوَارِدِينَ وَكَعْبَةً
يَا مَوْقِفَ الصُّلَحَاءِ يَا مَسْعَى الْهُدَى
نَلْتَ الْخِلَافَةَ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا
نَلْتَ الْوِلَايَةَ وَالْعَنَايَةَ فَافْتَحَرْنَا
أَفْشَى ثَنَاءِكَ بِاللِّسَانِ مُعَبَّرًا
أَبْقَاكَ رَبُّكَ مُطْمَئِنَّا آمِنًا
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى الْخِتَامِ الْمُتَضَى

وَبِجَدِّهِ كَالْحَارِثِ الْهَمَّامِ
وَبِحِلْمِهِ وَبِوَجْهِهِ الْبَسَّامِ
نَالَ الْإِمَامَةَ ثَابِتَ الْأَقْدَامِ
مَشْفَى وَمُنَجَّى الرُّوحِ وَالْأَجْسَامِ
يَمَّمْتُ بِمِ الْجُودِ وَالْإِكْرَامِ
عَمَّنْ يُسِيءُ إِلَيْهِ دُونَ خِصَامِ
بِكَلَامِهِ نَفْعًا بِوَجْهِهِ عَامِ
أَبَدًا بِحِلِّ مُحْكَمِ الْإِبْرَامِ
فُسْقِيتُ مِنْكَ بِصَيِّبِ مِسْجَامِ
فَرَعُ الْبَدَايَةِ فَرَعُ أَصْلِ نَامِ
مَا نَلَّشَهُ مِنْكُمْ مِنَ الْإِلْهَامِ
أَرَشَدْتَنِي فِي تَالِيكَ الْأَيَّامِ
كُلَّ الْفَنُونَ مُبَيِّنَ الْأَحْكَامِ
وَشَرِيعَةٍ وَتَقْوِيلِ هَلْ مِنْ ظَامِ
لِلْقَاصِدِينَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمِ
وَمِنَى الْمُنَى الْمَرْمَى لِكُلِّ مَرَامِ
فِي مَلَّةٍ وَطَرِيقَةٍ الْإِنْعَامِ
بِخِلَافَتَيْنِ كَمَقْعَدٍ وَمَقَامِ
مَا فِي ضَمِيرِي كَانَ ذَا اسْتِثْنَاءِ
فِي ظِلِّ عَافِيَةٍ وَفِي سَلَامِ
وَصِحَابِهِ الْخُلَفَاءِ فِي الْإِسْلَامِ

جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبشعره أجز الوفاء.

وهذا الأستاذ مؤد مالک صو، مَلَكَتُهُ المشاعرُ وأسَرَتُهُ الأحاسيسُ
تجاه شيخه، فأرسل النفس على سَجِيَّتِها وأطلق لها العنان لتخفف
عبءه، فتوجهت نحو بحر الشيخ تخوض فيه ما وسعها الخوض،
منتقية من درره ما تنظم به عقد جماها، فجادت بقصيدةٍ مجوهرةٍ
بحروف الاسم (الشيخ الخليفة محمد المنصور سه) ومُوسَّمةٍ ب: "الدر
المنظوم في مدح الشيخ المعلوم" ومطلعتها:

أَمْثَلَ شَيْخِي يُرَى فِي الْعِلْمِ وَالْحَكَمِ	أَوْ مَنْ يُمَثِّلُهُ فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ
لِلَّهِ مَا حَازَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ شَرَفٍ	وَرَأْفَةٍ فِي الْوَرَى مِنْ دُونِهَا سَأَمِ
شَمَّرَ عَزِيزِي إِلَى جَنَابِهِ عَلَنَّا	وَجُودُهُ مِنَّةٌ لَنَا مِنَ الْحَكَمِ
يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ مَثْوَانَا وَعُمْدَتَنَا	بَشَرَى لِمَنْ جَاءَكُمْ بِالْحُزْنِ وَالسَّدَمِ
خَلَا سِوَى حُبِّكُمْ فِي الْقَلْبِ دُونَ مِرَا	لَمْ لَا وَأَنْتَ طَيِّبُ الْقَلْبِ فِي السَّقَمِ
مُنَايَ رُؤْيُتُكُمْ دَهْرًا عَلَى نَعَمِ	فِي صَحَّةٍ وَسَلَامَةٍ مَعَ الْعِصَمِ
حَمَيْتَ دِينَ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ مُرْشَدِنَا	بِالْحَقِّ وَالْجَهْدِ وَالْإِحْسَانِ وَالْهِمَمِ
مَجْلِسُهُ مَنِيعُ الْعُلُومِ جَمَلَتِهَا	فَقِهِ عُرُوضِ فَسِيرَةِ لِذِي الْمِلَمِ
مَا شَبَهَتْهُ فِي فَنُونِ الْعِلْمِ قَاطِبَةٌ	تَبَقَّى بِنَا بَعْدَ مَا جَاءَ بِلَا وَهَمِ
دَوَاءُ دَاءٍ بِلَا شَلْكَ زِيَارَتُهُ	بَادِرُ زِيَارَتِهِ يَا خَلُّ تَغْتَنِمِ
أَذْهَبَ عَنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ خَالِقِنَا	ظُمْنَانِ كُلِّ الْمُتَى مِنْ وَرْدِهِ الشَّيْمِ
لُذْ فِي حِمَاهُ إِذَا مَا رُمْتَ مَكْرُمَةً	أَكْرَمَ بِهَذَا الْمَلَاذِ مَنِيعِ الْحَكَمِ
مَنْ لَا ذَمَّ مِنْهُ فَلَا يَخَافُ مِنْ ضَرَرِ	عَنْ كُلِّ ذِي حَسَدٍ وَشَرٍّ ذِي الْوَعَمِ
نَالَ الْخِلَافَةَ مِنْ فَيْضٍ وَسَيْلَتِنَا	شَيْخِ الشُّيُوخِ أَخِي الْآيَاتِ وَالرَّحِمِ
صَافِي الْحَبَّةِ فِينَا كُلِّ آوْنَةٍ	دَاوَى الضَّلَالَةَ عَنَّا جَالِبِ النِّعَمِ

وَرِثْتَ مَجْدَ الْجُدودِ مَنْ حَيَاتُهُمْ فِي اللَّهِ اللَّهُ أَفْنَوْا فِي دُجَى الظُّلُمِ
رَبَّيْتُ أَتْبَاعَكُمْ عَلَّمْتَهُمْ وَزَرِي وَقُدَّهَتْمْ لِسَبِيلِ الْحَقِّ وَالْكَرَمِ
سَدَّتِ الْبَرَايا بِبَذْلِ شَابَهُ مَطَرٌ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ
هَذَا عُيُودٌ فَمَا زَالِ بِبَابِكُمْ يَرْجُو دَعَاءَكُمْ بِالذُّلِّ وَالسَّادَمِ
أَرْكَى صَلَاةٍ وَتَسْلِيمِ الْإِلَهِ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ فِي الْقَدَمِ
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ أُولِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْإِرْشَادِ وَالرَّزَمِ
جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبشعره أجر الوفاء.

وهذا علم فذ من أعلام قارتنا الغراء قارة الفطاحل والشعراء:
الشاعر الكبير الشيخ إبراهيم فال، بمدينة كاسماس، قد أعجبت به
مناقب الشيخ وغزارة علمه، بدرجة أنه لا يمكنه السكوت عن
ذكرها ووصفها، فبادر إلى نظم قصيدة رائية رائعة، يوضح فيها
فصاحة الشيخ ومكانته العلمية قائلًا:

منصورُ سَيِّ صَيِّتُهُ فِي الْأَرْضِ مَنْشُورُ وَالْقَوْلُ مُسْتَمَعٌ وَالْحُسْنُ مَنْظُورُ
فِيكَ الْفَصَاحَةُ فِيكَ الْعِلْمُ نَلْمَسُهُ هُدًى تُقَى وَعُلَا وَالْكَلُّ مَوْفُورُ
حِينَ وَحِينَ وَحِينَ مِنْكَ نَفْهَمُهَا وَكُلُّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَذْكُورُ
أَيَقْنَتْ أَنَّكَ مِنْ آيِ الْبَدِيعِ بَدَا فِينَا وَأَنَّكَ مَا أَذُونَ وَمَأْمُورُ
وَأَنَّ جَدَّكَ عَيْنُ الْعِلْمِ مَنبُوعُهُ وَأَنَّكَ الْبَحْرُ يَوْمَ الْبَحْرِ مَمْطُورُ
حُسْنُ الْمَلَاخَةِ فِي حُسْنِ الْفَصَاحَةِ فِي نَوْرِ السَّمَاحَةِ نَوْرٌ فَوْقَهُ نُورُ
لَكَ الْخِلَافَةُ وَالْأَحْوَالُ شَاهِدَةٌ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا جَوْزٌ وَلَا زُورُ
وَلَائِمٌ فِيهِ طَوْلُ الْوَقْتِ قَلْتُ لَهُ مَهْلًا فَعَاشِقُ أَهْلِ اللَّهِ مَعْنُورُ
جُودٌ بَلَا مَلَلٍ رُشْدٌ بَلَا خَلَلٍ حِلْمٌ بَلَا وَجَلٍ بُشْرَاكَ مَنْصُورُ

أَفْسَمْتُ بِاللَّهِ أَنْ الْمَقْتُلَيْنِ بِهِ
فَمَا لَهُمْ يَوْمَ يَلْقَى النَّاسُ خَالِقَهُمْ
وَقُلْ لِمَنْ جَدَّ طَيْرَانًا لَيْسَ بَقِيَّةَ
بَشَرٍ بَنَصْرٍ مِنَ الْمُؤَلَّى أَحَبَّتَهُ
كَأَنَّهُ الْبَيْتُ يَوْمَ الْحَجِّ قِيلَ لَهُمْ
كَأَنَّ جَبْرِيلَ نَادَى فِي الطَّبَاقِ وَفِي الْـ
عُمُورِ عُمُورَتِ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ
وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ وَالِدَيْنِ مُرْتَفَعٌ
لَمْهَتَدُونَ وَهَذَا الْخَلْفَ مَبْرُورُ
إِلَّا الْجَنَانُ وَإِلَّا عَيْنُهَا الْخُورُ
أَقْصِرْ فَكُلُّ جَنَاحٍ عَنْهُ مَقْصُورُ
فَكُلُّ مَنْ نَصَرَ الْمَنْصُورَ مِنْصُورُ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ دُورُوا حَوْلَهُ دُورُوا
أَرْضِيْنَ يَا نَاسُ زُورُوا دُورَهُ زُورُوا
وَالْجِسْمُ فِي صَحَّةٍ وَالْقَلْبُ مَسْرُورُ
فَوْقَ الْخَلَائِقِ وَالْمَنْصُورُ مَنْصُورُ

جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبشعره أجر الوفاء.

وبعد أن عرض الباحث ما يمكن عرضه من النماذج والشواهد لهؤلاء الأعلام والشعراء، أبي إلا أن يلحق بركبهم مُدْلِياً بدلوه، ومُعَقِّباً بقصيدته النونية؛ لِيَنَوِّهَ هو الآخر ببعض مواهب الشيخ العلمية وفتوحاته الربانية، وشجاعته النادرة، مستهلاً بدعوته الشاملة قائلاً:

جَزَى الْإِلَهَ إِمَامًا شَمْسَ دُنْيَانَا
مَنْ صَارَ لِلْعِلْمِ غُنَوَانًا لِنَاهِلِهِ
مَنْ قَامَ يَزْجُرُ أَهْلَ الزَّيْغِ عَنْ زَلَلِ
مَنْ سَلَ لِلدِّينِ سَيْفَ اللَّهِ مُنْتَهَجًا
وَأَيَّدَ الْمِلَّةَ الْإِسْلَامَ مِنْ حَكَمِ
جَدَّدَتْ نَهْجَ الْهُدَى تَجْدِيدَ ذِي بَصَرِ
فَصَرْتُ نُورًا مُبِيرًا كُلَّ آوِنَةٍ
بَنُورِ عِرْفَانِكُمْ نَلْنَا الْمُطَالِبَ وَالـ
صَلَاةَ رَبِّي عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُصَرِّ
مَنْ جَاءَ يُسَدِّي لِأَهْلِ الدِّينِ عِرْفَانًا
مَنْ كَانَ يُزَوِّي بِإِذْنِ اللَّهِ ظُمْنَانًا
لَمْ يَخْشَ مَنْ لَامَهُ فِي اللَّهِ مَوْلَانَا
نَهَجَ الصَّحَابَةِ دَعْوَةً وَإِحْسَانًا
يُزِيلُ عَنْهَا ظِلَامَ الْجَهْلِ تَبْيَانًا
مَنْ نُورِ ذِي الْعَرْشِ أَخِيَانَا فَأَخِيَانَا
لِيَلَّا نَهَارًا وَإِسْرَارًا وَإِغْلَانًا
قَرَأَنَ مَنْ فِيضِكُمْ نُسْقَى فِيرَعَانَا
تَحْوِي وَتَشْمَلُ أَصْحَابًا وَتَجَانَا

جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبشعره أجر الوفاء.

وكما شهدت الألسنة والأقلام بفضائل وشمائل الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله في صورة المدح، لهجت بها ودونتها بشكل الرثاء؛ إشعارا بالحنين والبلاء، وإبرازا للعهد والوفاء، وإجهارا بالاسترجاع والدعاء، فهذا المفتش الخبير، والأديب القدير: الشيخ أبو بكر جوف، يرثي شيخه ومربيّه في قصيدته التي أسماها: "أبا الفيض لا ترحل" ويقول:

بدأت بلا حول وُخْزَنٌ يُحْيِمُ	على جَوْ قَلْبٍ عاشقٍ يَتِيَمُ
ضرباً على نورٍ بحقِّ قَدِ انْبَنَى	ولو حائطٌ يعلوه فالرُّوحُ يَفْهَمُ
بِحُضْنِكَ كُنَّا آمِنِينَ وَنَنعَمُ	أبا الفيض لا تَرْحَلْ فَمِثْلُكَ دَائِمُ
وَأَعْنِي لِأَيَّامٍ بَعْدَ سَاحِبِهَا	تُشَاهِدُ أَنَّ الْبِرَّ مَسْعَى وَمَغْنَمُ
لَأَنَّكَ مَنْصُورٌ لَدَى الْجَسَمِ غَائِبٌ	وَمَعْنَى فَأَنْتَ الْحَيُّ تَحْيَى وَتُكْرَمُ
لَقَدْ كُنْتَ مَأْوَى لِلشَّرِيدِ وَكَعْبَةٍ	لِطُلَّابِ عِلْمٍ عَشَتْ دَهْرًا تُعَلِّمُ
مَنَارَ الْهُدَى يَبْكِيكَ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ	وَمَعْرِفَةٌ تَبْقَى يَتَامَى وَتُحْرَمُ
رَبِيعَ عِلُومٍ وَالْمَعَارِفُ أَيْتَعَتْ	بِكُمْ كُلُّ مَارٍ قَاطِفٌ يَتَنَعَّمُ
وَكَاَنَّ الْجِنَّاسُ وَالْمَحَاسِنُ مِيزَةً	وَأَنْتَ خَطِيبٌ وَالْمَحَافِلُ تَعْلَمُ
شَفِيتَ سِقَامًا أَعْجَزَ الطَّبَّ وَصَفُهُ	أَعْدَتْ لِرُوحِي تَائِهًا يَتَأَقْلَمُ
فَأَكْرَمَ بِمَنْ يَهْدِي مُرِيدًا وَسَلَكَا	يَزْكِي وَيَسْقِي تَابِعًا وَيُقَدِّمُ
وَكُنْتَ خَطِيبًا مَالِحًا فِي خِطَابِهِ	وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْخُطْبِ يَهْتَفُ وَيَفْهَمُ
وَرَاعَ لِطُلَّابِ بِشَانِ ظُرُوفِهِمْ	فَضَامِنْ سَكْنَى مَلْبَسٍ بَلْ وَتُطْعَمُ
لَطِيفٌ وَحَسَّاسٌ لَهُمْ بِلَادِهِ	وَأُمَّتُهُ الْإِسْلَامُ بِحَرٍّ وَحَاتِمُ
وَلَوْ كَانَ بِرٌّ وَالصَّلَاحُ وَسُودَدٌ	تُخْلِدُ مَرَّةً فَهُوَ بَاقٍ وَدَائِمُ

وما الخُلْدُ في الدُّنيا بَعْدَ لَيَالِهَا ولكنَّه سَعْيٌ حَمِيدٌ وَأَكْرَمُ
فَصِيرَ جَمِيلٌ لِلْمَصَائِبِ أَنْزَلَتْ علينا لِفَقْدِ الْوَالِدِ الشَّيْخِ عَالَمُ
وَنَوَّرَ ضَرِيحَ الشَّيْخِ يَا رَبَّ رَحْمَةً يُضِيءُ طَرِيقَ الطَّالِبِينَ وَيُلْهِمُ
لِنَسْهَرٍ عَلَى مَا كَانَ يَسْعَى بَعْهَدِهِ فَعَلِمَ وَسَلَّمَ وَحَدَّةً وَمَكَارِمُ
فَدَيَّنَ عَلَيْنَا دَارَسًا وَمَعْلَمًا إحاطةً هَذَا الْإِرْثَ يَبْقَى وَيُدْعَمُ
وَبَارِكْ إِلَهَ الْعَرْشِ أَبْنَاءَ شَيْخِنَا وَحُلَّ عَقُودَ الْعُسْرِ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ
وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَآلٍ وَأَصْحَابِ بِحَمْدِكَ نَحْتَمِ
جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبرتائه أجر الوفاء.

وهذا الكاتب المتألق، والبلاغي المتذوق، الدكتور عمر انجاي، يرسل عزاءه الحار من جامعة الأزهر الشريف، في جمهورية مصر العربية المحروسة، مشاركا الأهل الحزن والأسى، على الرغم من البعد والنوى، قائلا:

مَا لِي أَرَى الْعَيْنَ مِنْهَا الدَّمْعُ يَنْهَمِرُ وكَادَ قَلْبِي مِنَ الْأَحْزَانِ يَنْفَجِرُ
وَأَصْبَحَ الْعَقْلُ لَا يَعِي وَلَا يَزِنُ وَالنَّاسُ حَوْلِي كَالْجُرَادِ مُنْتَشِرُ
أَيَمَلِكُ الْمَرْءُ أَنْ تُلَوَّى جَوَارِحُهُ عَنْ التَّأَثُّرِ بِالْأَحْدَاثِ تُسْتَطَرُ
شَكْوَى الْجَوَارِحِ مِمَّا جَاءَ مِنْ نَبَأٍ أَمَارَةُ الْعِلْمِ أَنْ قَدْ عَظُمَ الْحَبْرُ
أَلَا حَقِيقَةُ مَا قَدْ كَانَ مِنْ حَدَثٍ أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ جَاءَ لَهُ الْقَدْرُ
هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْعَالِمُ الْوَرَعُ شَمْسُ الْمَعَارِفِ حَقًّا نَعْمَ ذَا الْوَزْرِ
عَاهَدْتُمُ اللَّهَ بِالْجَهَادِ مُجْتَهِدًا فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ حَتَّى تَأْتِيَ النُّذُرُ

نَوَزْتُ بِالْعُلُومِ أَرْضَ مَالِكِنَا^(١) بَلْ أَرْضِ سِنْغَالٍ فَانْجَابَ لَهَا الْقَمَرُ
عُرِفْتُ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ يَا ثَقَاتِي وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالطَّلَابُ وَالزُّبُرُ
طَابَتْ وَلَا يَتُكِّمُ عَمَّتْ خِلَافَتُكُمْ جَمَّتْ مَحَاسِنُكُمْ تَرْوِي بِذَا الْأَسْرُ
أَيَا مُحَمَّدُ يَا مَنْصُورُ يَا عَلَمُ مَنْ بَعْدَكُمْ لِفَنُونِ الْعِلْمِ يَنْتَصِرُ
يَا مَنْ يُلْقَبُ بِالْأَلْقَابِ أَحْسَنُهَا كُنْتَ الْمَعْلَمَ بِالْعُلُومِ تَفْتَخِرُ
لَوْ أَخْلَدَ الْعِلْمُ أَهْلَهُ لِأَخْلَدَكُمْ يَا مَنْ بِهِ الْعِلْمُ يَزْدَادُ وَيَنْتَشِرُ
قَدْ كُنْتَ بَرًّا عَلَى الْأَصْحَابِ كُلِّهِمْ مَا زَالَ يَكِيكُمُ الْبَدْوُ كَذَا الْحَضَرُ
فَلْيَجْعَلِ اللَّهُ فِي الْجَنَّاتِ مَوْطِنَكُمْ مِنْ حَيْثُ يَسْكُنُ سَادَاتُكُمْ الْغُرُرُ
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى الْحَبِيبِ قُدُّوتِنَا وَآلِهِ مَا أَضَاءَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبرتائه أجر الوفاء.

وهذا الشاعر الرائع، والأديب البارع، الشيخ أحمد الخديم لوح،
يَبْعَثُ هُوَ الْآخِرَ بَرْقِيَّةَ تَعْزِيَةٍ؛ مَصْدَاقًا لِلْمَثَلِ الشَّعْبِيِّ: الطَّيْرُ فِي عَنَانِ
السَّمَاءِ يُحَلِّقُ، وَخَاطِرُهُ بِأَدِيمِ الْأَرْضِ يَتَعَلَّقُ. قائلًا:

أَعْيَنِي جُودًا بِالْمُذْمُوعِ مَدَى الدَّهْرِ لِنَبْكِي عَلَى الْمَنْصُورِ نَجَلِ أَبِي بَكْرٍ
أَخُو أَمِّهِ التَّجَانِ مَنْصُورٌ قَدْ سَرَى فَصَارَتْ "تَوَاوُنٌ" مُظْلَمًا خَالِي الْبَدْرِ
فَجَدُّهُمْ الْحَاجُّ مَالِكُ ذُو الْعُلَى مُنَبِّتُ أَرْكَانِ الطَّرِيقَةِ فِي الْقُطْرِ
وَعَمَّهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ دَبَاغُ سِهْ سَقَى اللَّهُ قَبْرًا ضَمَّ عِلْمًا مِنَ الْعِطْرِ
سَرَى أَحْمَدُ الْمَنْصُورُ بِالسَّبَبِ لَيْلَةً فَأَعْلَنَهُ فَجْرًا إِذَاعَةً وَالْفَجْرِ
وَصَارَ مَحَطَّ الشَّعْبِ سَاحَةً دَارِهِ كَمَكَّةَ يَوْمَ الْحَجِّ فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
فَقَدْ فَتَدَتْ سِنْغَالُ يَوْمَ ذَهَابِهِ أَدِيًّا كَرِيمًا وَاسِعَ الْعِلْمِ كَالْبَحْرِ

(١) يعني: حضرة الأسرة المالكية: مدينة تواوون المحروسة.

وَمَنْ لِي بِذِي ذَوْقٍ وَمُنْشِدِ بُرْدَةِ الْـ
أَيَا صَاحِبِ الْكِتَابِ رَوْضَةِ أَهْلِهِ
فَلَوْ أَنَّ عَلَمًا يُخْلِدُ الْمَرْءَ فِي الدُّنَا
وَلَكِنَّ هَذَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْوَرَى
أَيَا رَبِّ فَارْحَمْهُ وَوَسِّعْ مَقَرَّهُ
وَأُورِدْهُ رَبِّ الْعَرْشِ مَعَ كُلِّ مُسْلِمٍ
أَيَا رَبِّ لَا تَحْرِمْ عَلَيْنَا شَفَاعَةَ الْـ
رَضِيئِينَ بِقُدْرِ اللَّهِ رَبِّي وَمَالِكِي
صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ عَلَى مَنْبَعِ النَّدَى
وَأَصْحَابِهِ طُرًّا وَعِثْرَةً بَيْتِهِ
مَدِيحٍ إِذَا حَلَّ بِنَا سَيِّدُ الشَّهْرِ
وَيُسْتَأْنَمُّ فِي التَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالشَّعْرِ
لَمَّا يَدْخُلُ الْمَنْصُورُ فِي اللَّحْدِ وَالْقَبْرِ
فَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ أَيَّنَ أَبُو بَكْرٍ
لَدَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ يَا مُنْفَذَ الْقَدْرِ
بِكُوْثَرِ نَهْرِ الْمِصْطَفَى أَفْضَلِ النَّهْرِ
رَسُولِ الْمُتَّقَى عِنْدَ قَبْرِ كَذَا حَشْرِ
فِيَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ ذُومُوا عَلَى الصَّبْرِ
وَمُضْبِحِ فَضْلِ مَاسِحِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ
كَذَا التَّابِعِينَ دُونَ كُفْرٍ وَلَا نُكْرٍ
جَزَى اللَّهُ الشَّاعِرَ عَنْ شَيْخِهِ خَيْرِ الْجَزَاءِ، وَبِرَثَائِهِ أَجْرَ الْوَفَاءِ.

وهذا الأستاذ الأديب، والشاعر الأريب، أمين مكتب الشيخ:
عبد العزيز صار، يرثيه رحمه الله في قصيدته المعنونة ب: "الروح والريحان"
معبراً عن مشاعره في الحزن والأسى قائلاً:

يَا هَزَّةً نَزَلَتْ عَلَى الْأَكْوَانِ
يَا مَنْ أَتَى يَنْعَاهُ فَهَتَ بِنَكْبَةٍ
يَا حَسْرَةً فِي النَّفْسِ ذَابَتْ مِنْ أَسَى
لَمَّا أَشْيَعَ بِنَعِيهِ تَهْنَأُ، فَمَنْ
شَيْخٍ تَرَبَّعَ فَوْقَ عَرْشِ دِرَايَةٍ
قَدْ عَمَّتِ الْبُلُوى الْبِلَادَ بِأَسْرِهَا
قَدْ عَشَتْ شَيْخًا كَامِلًا وَمُرْقِيًا
بَرْحِيلِ شَمْسِ الدِّينِ قُطْبِ الزَّمَانِ
تَكْوِي الْقُلُوبَ بِشُھْبَةِ التَّيْرَانِ
وَتَحْطُمُ مِنْهُارَةَ الْأَرْكَانِ
يَقْوَى بِنَعْيِ الْعَارِفِ الرَّبَّانِي
وَوَلَايَةِ فَهْمَالِهِ سِمْتَانِ
فَبَكَّى عَلَيْكَ الشَّعْبُ كَالْجِيرَانِ
عَلَامَةً يَعْلُو عَلَى الْأَقْرَانِ

قد عشت دهرًا واصفًا لنبينا
دافعت عنه كلما قد حاولت
يكي عليك الشعب دهرًا كلما
درسُ الفنون أجادها متعلما
قد عشت شيخا للشيعة ناصرا
يكي عليك السود والبيض القصي
وغياب هذا الغوث عنا صدمة
أنت الذي عرفت عرك بالتي
شيخ يفيض معارفا وموارد
وغياؤه أبكى المشيخة مثما
علم تسمى بالهداية والتقى
فبليّة لحقت بأمة أحمد
هلا نعت قراءة وكتابة
هلا نعت الفقه والنحو الذي
هلا نعت بمنطق أو الأصو
تبيكي عليك تلاوة وتدبر
إن العلوم مع المثون توخشت
هلا نعت بلاغة وقوافيا
يكي عليك المصحف متأوها
قد عشت شيخا قُدوةً ومجدا
أفنت في الخيرات عرك ملجا
وملاذ مهضوم وطالب ثروة

بجلال له وجمال له النوراني
بالليل منه زمرة العذوان
حضرُوا لذكرى مولد العذنان
ومعلما للشيب والولدان
وخليفة يُعلي لواء التجاني
يكي عليك عشيرة العثمان
ومصيبة للجن والإنسان
صورتُه حقًا كحال عيان
ولطائفًا ودقائق الصمداني
أبكى المسيحة وذوي السلطان
متوخشا بعزيمة الشجعان
من مثله بحديثه وبيان
وخطابه وفصاحة بلسان
يهواه مثل الصّرف والأوزان
ل وبالتصوف فنّه العرفاني
وتباحث بمسائل الفرقان
حزنت وصاحت حالة الثكلان
والشعر والنثر مع السّجعان
فسرته بشهادة رمضان
في الدين ما اندرست من البنيان
وملاذ أهل العلم والقرآن
ضاقت مذاهبه من الحرمان

كَمْ ذَاكِرٍ لَوْلَاكَ جُنَّ بِذِكْرِهِ
 وَمُوَاطِنٍ لِلسَّجْنِ سَيِّقَ بُتْهِمَةِ
 بِعُنَايَةِ قُصْوَى حَمَلَتْ خِلَافَةً
 أُعْطِيَتْهَا الْأَغْلَى وَعُمُرُكَ كُلُّهُ
 أَنْفَقْتَهُ فِي الذِّكْرِ لِلَّهِ وَالِدَعَا
 هَلَّا نَعَيْتَ الْجُودَ وَالْوَعْظَ الَّذِي
 هَلَّا نَعَيْتَ تَوَاضُعَا وَدِمَائِهِ
 هَلَّا نَعَيْتُمْ بِالْحَفَاوَةِ كُلِّهَا
 هَلَّا نَعَيْتَ أُخُوَّةً وَتَأَلُّفَا
 إِنَّ خَاضَ فِي الْجُجِ الطَّرِيقَةَ مَرَّةً
 وَبَنَتْ خِلَافَتَكَ الشَّوَامِخَ إِنَّهَا
 أَفْسَحَتْ آفَاقَ الدَّوَائِرِ مِنْبَرًا
 وَمَتَّى أَنْتَ لَزِيَارَةِ لَقْنَتِهِمْ
 رِيَّيْتَ جُمْهُورًا هُدَاةً جَلَّةً
 وَسَلَكْتَهُمْ بَعْدَ التَّعَلُّمِ فِتْرَةً
 حَتَّى غَدَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي نَشْوَةٍ
 إِنَّ الْحَاسِنَ جَمَّةً فِي عُمُرِهِ
 وَلَكَمْ بَعُثْتَ وَفُودَ حِجِّ حَسْبَةٍ
 وَلَكَمْ مَنَحْتَ مَرَائِبًا وَمَنَازِلَ
 فَتَرَاثُ جَدِّكَ قَدْ بَغَى مُتَأَلِّمًا
 وَخِلَاصُ جَدِّكَ قَدْ أَرَاكَ دُمُوعَهُ
 وَبَذَلْتَ جُهْدًا سَوْفَ يَبْقَى دَائِمًا
 وَمُؤَثَّقٍ أَنْجَاهُ مِنْ شَيْطَانِ
 خَلَصَتْهُ مِنْ بَطْشَةِ الظُّلْمَانِ
 حَافِظَتَهَا مُتَدَّةً الْأَغْصَانِ
 أَنْفَقْتَهُ فِي الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ
 أَنْفَقْتَهُ فِي الْعَمَلِ لِلْإِنْسَانِ
 إِسْنَادُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 وَبَشَاشَةٍ فِي الْوَجْهِ لِلْإِخْوَانِ
 وَشَهَامَةٍ تُوَحِّي بِهَا الْعَيْنَانِ
 وَتَحَابُّيَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
 أَبَدَى الشَّوَاهِدَ جُمْلَةً كَجُمَانِ
 سَعْيٍ وَآثَارٍ لِكُلِّ زَمَانِ
 لِنَحَابِيبٍ وَعِبَادَةِ الْمَنَانِ
 تِلْكَ الْوَصَايَا الْخَمْسَ لِلْإِيمَانِ
 عِلْمَاءَ قَادَةِ قُطْرِهِمْ بِأَمَانِ
 فِي سَلْكِ أَهْلِ اللَّهِ بِالْعِرْفَانِ
 مِنْ حَبِّ مَوْلَاهُمْ عَنِ الْغَفْلَانِ
 هَلْ مِنْ مُطِيقٍ ذَكَرَهَا بِلِسَانِ
 وَلَكَمْ أَقَمْتَ كِتَابَ الْقُرْآنِ
 وَلَكَمْ رَفَعْتَ مَسَاجِدَ الْأَذَانِ
 خَوْفَ الْجَفَا وَالْخَلْطِ وَالتَّسْيَانِ
 فَبَغَى صُورًا مِثْلَ أَيِّ إِنْسَانِ
 كَزُرَاعَةٍ وَهْدَايَةِ الشُّبَّانِ

بحرٍ خَصَمَ لا يُطَاقُ غَمَارُهُ
لَوْ كَانَ مَوْتُكَ يُفْتَدَى لَفَدَيْتُهُ
وَبَكَى الْجَمِيعُ وَاجْمِينَ كَأَنَّهُ
بِاللَّهِ مِثْلُكَ فِي الْأَنَامِ لَمَعْدَمٍ
كَمْ حَصَّه الْمَوْلَى بِفَيْضِ كَرَامَةٍ
إِنْ قَالَ كُنْ كَمْ كَانَ فَاسْتَلْ مَنْ أَتَوْا
تِلْكَ الْمَوَاهِبُ عَانَقَتْ بِمَكَاسِبِ
قَدْ كُنْتَ فِينَا رَاعِيًا وَمُوجِّهًا
بَلَّغْتَ يَا شَيْخَ الْمَشَايخِ بِالْأَمَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
بَارِكْ لَهُ فِي الْأَهْلِ طَوَّلْ عُمرَهُمْ
بَارِكْ لَهُ اللَّهُمَّ فِي آثَارِهِ
يَحْيَوْنَ عُمرًا بِالسَّلَامَةِ وَالْهَنَاءِ
طَوَّلْ بِعُمرِ الشَّيْخِ حَامِلِ صَوْتِهِ
يَحْيَى مُعَافَى رَاعِيًا بِذِمَامِهِ
وَيُخَفِّفُ عَاقِبَةَ التَّجَانِي نَجْلِهِ
وَيُوقِقُ خَطْوَةَ الْخَلِيفَةِ مُنْجِرًا
مَوْفُورِ عُمرٍ بِالْمَسِيرَةِ مَاضِيًا
يَا رَبِّ فَاجْزِلْ بِالثَّوَابِ لِمُحَمَّدٍ أَلِ
أَلْهِمُ جَمِيعَ الْأَهْلِ صَبْرًا وَالْعَزَا
يَا بَارِكْ اللَّهُ بِقَبْرِ مُحَمَّدٍ أَلِ
وَتَخَفْ رَوْضَتَهُ الشَّرِيفَةَ رَحْمَةً

فِي الْحِفْظِ وَالْأَسْرَارِ بِالْفَيْضَانِ
لَقَدْ آهَاهُ آلاَفٌ مِنَ الشُّكَّانِ
مَا غَابَ قَبْلَكَ عَارِفٌ رَبَّانِي
فِي كُلِّ أَرْضٍ حَلٌّ فِي فَرْحَانِ
لَدَيْتِي شَهِدْتُ بِهَا التَّقْلَانِ
يَشْكُونَ ضَائِقَةً مِنَ الْأَزْمَانِ
شَخْصِيَّةً بِالْكَدِّ وَالْإِمْعَانِ
وَأَبَا رَحِيمًا عَامرًا بِحَنَانِ
نَا فَادْخُلْ مُتَنَعِّمًا بِجَنَانِ
فِي مُلْكِهِ فِي سَائِرِ الْأَخْيَانِ
وَاحْفَظْهُمْ بِمُ بَعْنَايَةِ الدِّيَانِ
فِي سِتْنِ الزَّهْرَاءِ وَالْإِخْوَانِ
وَالْأَمْنِ وَالتَّيْسِيرِ فِي الْمِيدَانِ
وَأَمِينِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ الثَّانِي
مَعَ كَافَةِ الْإِخْوَانِ وَالتَّنْصَوَانِ
وَذَوِيهِ مِثْلَ تَكَاتُفِ الْبُنْيَانِ
آمَالُهُ هُوَ أَحْمَدُ التَّجَانِي
قُدِّمْنَا إِلَى غَايَاتِهِ الرَّبَّانِي
مِنْصُورٍ مَا طَلَعَتْ لَنَا الْقَمَرَانِ
عَنِ السَّلَايَا رَبِّ فِي السَّلْوَانِ
مِنْصُورِ زَيْنِ الدِّينِ وَالْأَوْطَانِ
مُوصُولَةً بِالْيُمْنِ وَالرِّضْوَانِ

بِحِوَارِ وَالِدِهِ الْخَلِيفَةِ شَيْخِهِ مَعَ جَدِّهِ فِي الرِّوْحِ وَالرَّيْحَانِ
وَتَحَقُّقِ كُلِّ الْمُنَى مِنْ بَعْدِهِ لِعِيَالِهِ فِي الدِّينِ وَالْعُمْرَانِ
وَعَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُهُ مَعَ آلِهِ وَصِحَابِهِ الْخُلَصَانِ
مَا اشْتَقَّ عَبْدٌ لِلْقَابِ بِحَبِيبِهِ وَتَسَاجَلَتْ طَيْرٌ عَلَى الْأَغْصَانِ
وَبَكَى الْحَمَامُ هَدِيلَهُ لَيْلًا عَلَى أَيْكَ وَذَرْفَ دَمْعَةٍ الْأُخْزَانِ
مَا قَدْ رَأَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بِشَيْخِهِ يَا هَزَّةً نَزَلَتْ عَلَى الْأُكُونِ

جزى الله الشاعر عن شيخه خير الجزاء، وبرثائه أجر الوفاء، فقد جاء بقصيدة فريدة من نوعها، عجيبة في بابها؛ حيث إنها لم تترك لشاعر في حياة الشيخ متردما، ولا لواصفٍ منشداً مترنماً.

وهكذا كان الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله علما ودراية، وفهما ومعرفة، وفتحا وحكمة، وثقفاً وهداية، وتعليماً وتربية، وتكويناً وتزكية، وتوجيهاً وترقية، ونصحا وإحساناً، وبراً وسخاء، وهذا كله لم يأت صدفة ولم يكن جزافاً، وإنما وُجد بعد فضل الله تبارك وتعالى، وسبق قدره وقضائه، بكسبٍ وكدٍّ يتمثل في العوامل التكوينية التي ترجع أساساً إلى بيئته الدينية والصوفية، وساحته الاجتماعية والتربوية، والتي يمكن تناولها على النحو التالي:

١ - العامل الديني: (ديني صوفي معرفي)

٢ - العامل الاجتماعي: (أسري شعبي)

٣ - العامل الشخصي: (عناية شخصية)

فالبينة - كما هو مقرر عند علماء التربية - لها دورها وأثرها في أهلها، فالإنسان ابن بيئته؛ يتكون بآثارها ويتفاعل بمؤثراتها، فإذا كانت نقية صالحة كان المرء كذلك، وإذا كانت ملوثة فاسدة انعكس سلبيًا على المحيط بها، وقد سبق أن عرفنا أن الشيخ رحمته الله تربى في بيئة خيرية صوفية تربوية، يسودها الدين والمعرفة، والفضل والمروءة.

كما أنَّ للمجتمع بصفة عامة، والأسرة بصفة خاصة، التأثير الفعال على الفرد؛ فالأسرة هي المدرسة الأولى التي يُستقى منها السلوك سلبيًا وإيجابيًا، وأسرة الشيخ - كما أسلفنا - ذات مكانة دينية راقية، ومنزلة علمية سامية، فهي مركز تلك البيئة الخيرية ومرجعها، بل إنها منارة شامخة تنير الآفاق، ومدرسة ربانية تهذب الأخلاق.

هذا بالإضافة إلى أن الشيخ رحمته الله لم يتخاذل ولم يتكلم على العاملين السابقين (البيئي والاجتماعي) رغم تأثيرهما وفعالتهما، بل بذل مع ذلك جهدًا شخصيًا متفانيًا في التحصيل والطلب، متراقيا إلى المعالي والرتب، حتى قال ابنه البار الأستاذ أحمد صار مقررًا ذلك: فبالجِدِّ نلتم جِدَّكم لا بجِدِّكم فجدُّ بلا جدٍّ يؤدي لشقوة والله در سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام إذ يقول:

كُنْ ابْنُ مَنْ شِئْتَ وَاکْتَسِبْ أَدَبًا يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
فَلَيْسَ يُغْنِي الْحَسَبَ نَسَبُهُ بِلَا لِسَانٍ لَهُ وَلَا أَدَبٍ

إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

وقد انتقل الشيخ -رضوان الله عليه ورحمته- إلى جوار ربه يوم السبت ٢٣/١/١٤٢٤ هـ الموافق ٨/١٢/٢٠١٢ م في مستشفى الجنود الأمريكي بباريس في فرنسا، عن عمر يناهز السبعة والثمانين (٨٧) عاماً، وقد استقبل جثته الكريمة في مطار السنغال الدولي، السيد الرئيس الحاج مكي صال مع حكومته، بحضور الأسر الدينية وجم غفير من المسلمين من شتى أقطار البلاد، ومن مختلف أنحاء العالم، متجهين إلى مسقط رأسه: توارون المحروسة لتشيع جنازته الطاهرة، وتقديم المواساة والتعازي الحارة للأسرة المالكية والطريقة التجانية بصفة خاصة، والأمة الإسلامية بصفة عامة.

تغمده الله بواسع رحمته، وأدخله فسيح جناته،
وبارك في أهله وأسرته، ونفعنا بعلومه وبركاته.



الفصل الثاني:

"دراسة تحليلية للمضامين التربوية
في كتاب الشيخ رحمته الله: المحجة البيضاء
في إنقاذ الأمة الغراء"

المبحث الأول: عرض موجز للكتاب

المبحث الثاني: المضامين التربوية المتعلقة
بجانب الأسرة والمجتمع

المبحث الثالث: المضامين التربوية
المتعلقة بجانب التوجيه والإرشاد

الفصل الثاني:

"دراسة تحليلية للمضامين التربوية في كتاب الشيخ رحمته الله :

المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء"

إن التربية عند الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله هي الحياة بكل ما للكلمة من معنى - كما سبق أن أشرنا - دنيا وأخرى، جسما وروحا، قلبا وقالبا، مادة ومعنى، وبكل ما لها من مقوم؛ محبة ووحدانية، برا وتعاون، عدلا وهداية، رشدًا وصلاحًا، أمانًا وأمانًا؛ ما جعلها تقف ضد كل ما يعكّر صفو الحياة ويكدر معينها، وهذا ما تتمثل في المضامين التربوية المتجسدة في مؤلفاته رحمته الله التي منها كتابه القيم: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء"، الذي يحاول هذا الفصل تسليط الضوء عليه، واستجلاء ما يكتنفه من المضامين التربوية؛ بغية الوصول إلى معانيها ومناحيها، والخيط الذي يلحمها، والسلك الذي تنخرط فيه، والرحم التي تصل بينها وبين العنوان، ثم استخلاص ما يتضمنه الكتاب من توجيهات وإرشادات سنية.

المبحث الأول: عرض موجز للكتاب:

فمناسبة تأليف هذا الكتاب هي أن الرئيس -السابق- السيد "عبد الله واد" اتخذ موقفا حادًا من "مشروع مدونة الأحوال الشخصية" الذي أعاد طرحه اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال -

الذي يضم ١٧ هيئة إسلامية- رغم توقيع جميع القيادات الدينية
المعتبرة في السنغال بكل أطرافها الإصلاحية والمحافظّة؛ حيث أصدر
تصريحه الخطير وهو في زيارةٍ لِيَابَانْ قائلًا: إن هذا المشروع لن
يدخل المجلس الوطني (البرلمان) السنغالي. مقتفيا آثار الرئيس الأسبق
السيد "ليو بول سدار سنغور" الذي استطاع بذكائه وحُكْمَتِهِ السياسية
إجهاضَ مشروع مدونة الأحوال الشخصية الذي اقترحه كبار المشايخ
والعلماء، وفرضَ قانونَ الأسرة التي أراد فرضه على المجتمع السنغالي
الذي تزيد نسبة المسلمين فيه على ٩٥%^(١)، من هنا قام الشيخ
محمد المنصور سي رحمته الله؛ اقتداءً بالسلف الصالح في الغيرة على الدين
والاهتمام بالقضايا الإسلامية والاجتماعية- بتأليفِ هذا الكتاب
داعيا الرئيس عبد الله واد وحكومته إلى الاهتمام بالتوصيات المقدسة
والقوانين العادلة المحكمة من الكتاب والسنة.

وهاك موجز الكتاب الذي عرض فيه الشيخ رحمته الله ذلك كله،
مشخصًا المشكلة وطارحا لها الحل الجذري الأمثل:

فقد عنون الشيخ رحمته الله الكتاب ب: "المحجة البيضاء في إنقاذ
الأمة الغراء"؛ تنويهاً بمسئولية الداعي ودوره التوعوي تجاه أُمته
ومجتمعه، وتنبيهها على أن الكتاب والسنة (المحجة البيضاء) لإنقاذ الأمة

(١) انظر "منور الصدور بحقائق المعرفة واليقين" للأستاذ هادي جوف- ص: ٣٤ .

وهدايتها لا لتضليلها وعقابها، فالعمل بالشرعية الإسلامية سعادة أبدية وخير وسلام وأمانة في الدنيا والآخرة.

ثم بدأ ﷺ الكتاب بمقدمة أكد فيها بآيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة، أن الرشد والهداية في الإسلام وشريعته، وأنه محض فضل ونفع وأمن وسلام، ثم قدّم خالص الشكر والتقدير للجنة الإسلامية التي قامت لإصلاح قانون الأسرة في السنغال؛ اقتداءً بآثار أسلافهم الكرام ومشايخهم العظام، مشجّعا إياهم على الثبات في الوحدة والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، مراعين لحقوق الأخوة الثلاثين التي لا يتركها أحد إلا طالبه الله ﻋَﻠَﻴْﻬِﻢُ بها يوم القيامة، وهي:

- ١ - أن يغفر أخ لأخيه زلّته .
- ٢ - أن يرحم عبّره .
- ٣ - أن يسّتر عورته .
- ٤ - أن يُقِيل عثرته .
- ٥ - أن يقبل معذرتة .
- ٦ - أن يرُدَّ غيْبته .
- ٧ - أن يُدِيم نُصْحته .

- ٨- أن يحفظ حُلَّتَه.
- ٩- أن يرعى ذِمَّتَه.
- ١٠- أن يعود مَرَضَتَه.
- ١١- أن يشهد ميتته.
- ١٢- أن يجيب دعوته.
- ١٣- أن يقبل هديته.
- ١٤- أن يُكَافِيَ صَلَّتَه.
- ١٥- أن يحفظ حرمة.
- ١٦- أن يقضي حاجته.
- ١٧- أن يقبل شفاعته.
- ١٨- أن لا يَحْيِبَ مَقْصَدَه.
- ١٩- أن يَشْمِتَ عَطُسَتَه.
- ٢٠- أن يَنْشُدَ ضالته.
- ٢١- أن يرد سلامته.
- ٢٢- أن يُطِيبَ كلامه.
- ٢٣- أن يَبْرَّ إنعامه.
- ٢٤- أن يَصْرِفَ أقسامه.
- ٢٥- أن ينصر ظالما بالرد عن ظلمه، ومظلوما

بإعانتته على وفاء حقه.

٢٦- أن يواليه ولا يعاديه.

٢٧- أن لا يَحْذُلُهُ.

٢٨- أن لا يُشْمِتَهُ.

٢٩- أن يحب له من الخير ما يحب لنفسه.

٣٠- أن يكره له من الشر ما يكره لنفسه.

ثم بارك جهود ومبادرة جملة القوى من المشيخة، الذين قاموا
قائمة رجل واحد بإعداد مدونة الأحوال الشخصية للمسلمين؛
تصحيحا وإصلاحا لقانون الأسرة الذي طرحه الرئيس "ليوبول
سيدار سنغور" زمن رئاسته؛ حيث أهمل فيه ما هو معلوم من الدين
بالضرورة، كأحكام الميراث والطلاق ونحوها، مُرَحِّبًا ﷺ بما قدّمه
حضرات الشيوخ الأجلاء من عمل جليل وسعي مشكور في خدمة
الإسلام والوطن، بقصيدة كاملية نظم فيها أسماءهم الكريمة، قائلا:

فجزى العلى ساداتنا من نوروا	هذا الطريق مبلّغا في هديهِ
الأولون السابقون السالكو	ن لمن أتى يبغي الهدى في مشيه
هم عمدة في الدين أعلوا شأنه	نالوا بهذا مجدا يفتوت لرفيه
أعظم بهم في الدين صفا واحدا	من عمنا عبد العزيز أبيه
إن السعيد بنوره سعد لنا	والحاج إبراهيم نيس في نفيه
والشيخ أحمد امباكي "كيد" فراع	وسعيد به وعلي سلك كسميه

وَالشَّيْخُ سَيِّدُنَا مَجُونُ لَا يَمْنَحُهُمْ
سَيِّدِي الْأَمِينُ كُنْتَا أَبَى عَنْ خَزِيهِ
وَمَحَمَّدٌ جَكِنُ الْكَرِيمُ فَعُدَّهُ
لَا تَنْسَ قَاضِيَنَا الْأَمِينَ قَوِيهِ
وَالْحَاجُّ شَمْسُ الدِّينِ جَانِجُ هَمِّ قُدْوَةٍ
رَدُّوا بِقَانُونِ السَّيِّغُورِ وَلِيهِ
رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم عقب بقصيدة رجزية لعمه المرحوم الشيخ الحاج عبد العزيز
سي رحمته الله ينصح فيها الأمة بالتمسك بالكتاب والسنة، والعمل
والحكم بهما، وتوحيد الصفوف ونبذ النزاع والفرقة، قائلا:

كِتَابُ رَبِّنَا هُوَ الْكِتَابُ
تَمَسَّكُوا بِهِ هُوَ الصَّوَابُ
كِتَابُنَا الْكَرِيمُ خَيْرُ مُرْشَدٍ
لِلْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ لِلْمُسْتَرَشِدِ
إِلَى الْآتِي أَقْوَمُ قَالَ اللَّهُ
كِتَابُنَا يَهْدِي فَمَا أَعْلَاهُ
وَمَنْ تَمَسَّكَ بِذِكْرِهِ الْحَكِيمِ
فَقَدْ هُدِيَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُعْتَصِمِينَ
بِهَدْيِهِ بِجَاهِ حَبِّهِ الْأَمِينِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ الْبَارِي
مَا حُكِّمَهُ عَلَى الْعِبَادِ جَارِ
وَعَالِهِ وَصَاحِبِهِ الْأَعْلَامِ
ذَوِي الْقَبُولِ سَادَةِ الْأَنَامِ

* * * * *

فَلْتَعْلَمُوا يَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ
أَنَّ كِتَابَنَا هُوَ الْفُرْقَانُ
فَاتَّخِذُوهُ حَكْمًا بَيْنَكُمْ
يَا إِخْوَتِي رِضَى إِلَهِ تَعْنَمُوا
إِنَّ كِتَابَنَا فَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِهِ فَكُفِّرْهُ صَرِيحُ فَاَعْلَمِ
بِالْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَبِالْفُسُوقِ
وَصَّافُهُ بِآيِهِ الْمُنْسُوقِ
كَمَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا الْعَلِيِّ
عَلَى لِسَانِ الْمَصْطَفَى النَّبِيِّ
وَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ أَبَدًا
مِنْ حَيْثُمَا كُنْتُمْ تَتَلَّوْا الرَّشَدَا

إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ خَيْرُ صَاحِبٍ
 كَيْفَ يَكُونُ بَعْدَهُ الدُّسْتُورُ
 دَسْتُورُنَا نَحْنُ كِتَابُ اللَّهِ
 وَمَا لَنَا "كُدُّ" سِوَى الْقُرْآنِ
 تَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تُغَيِّرُوا
 وَغَيْرُهُ فَمَا لَنَا بِهِ غَرَضُ
 مَنْ ابْتَغَى غَيْرَ إِلَهِ حَكَمًا
 وَحُكْمُ ذِي الْجَلَالِ لَيْسَ مِثْلُهُ
 وَمَنْ مِنَ اللَّهِ لَقَوْمٌ يُوقِنُونَ
 وَحُكْمُوهُ وَلَا تَحَاكُمُوا أَبَدًا
 وَنَكْتَفِي بِهِ فَلَا نُبَالِي
 أَحْكَامُ غَيْرِ دِينِنَا الْإِسْلَامِ
 لَا تَتَحَاكُمُوا إِلَيْهِ أَبَدًا
 ذَاكَ نُدَارِيهِ وَلَا نُدَاهِنُ
 وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا نَخْشَاهُ
 وَلَا نُجَادِلُ وَلَا نُخَاصِمُ
 بِالرَّأْيِ لَا تُفَسِّرُوا الْكِتَابَ
 مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِالرَّأْيِ عَدَلَ
 وَلَا تُحَرِّفُوا كِتَابَ اللَّهِ
 إِنَّ الَّذِينَ هُمْ يُحَرِّفُونَا
 حَذَرَكُمْ خُذُوا هُنَا وَلْتَأْخُذُوا
 قَالَ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ
 لِمَبْتَغِي الْأَنْسِ مِنَ الْأَقَارِبِ
 يَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ لَا تَجْزُرُوا
 مَنْ جَاءَنَا بِغَيْرِهِ فَلَا هِ
 فَعَيْرُهُ فَهُوَ "كُدُّ" الشَّيْطَانِ
 أَحْكَامُهُ بِهِ الْقُلُوبَ طَهَّرُوا
 إِلَّا لِمَنْ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ مَرَضُ
 مَنْ غَيْرِ شَكِّ نَفْسِهِ قَدْ ظَلَمَا
 حُكْمُ تَعَالَى رَبُّنَا فَانْتَبِهُوا
 أَحْسَنُ حُكْمًا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 إِلَى سِوَاهُ جَلَّ رَبُّنَا الصَّمَدُ
 بِحُكْمِ غَيْرِ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ
 أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنَ الْمَكَلَامِ
 عَلَى أُمُورِ دِينِنَا فَمَا عَدَا
 فَالْغَشُّ لِلْإِسْلَامِ شَيْءٌ شَائِنُ
 إِنَّ وَافَقَ الْكِتَابَ مَا قُلْنَا هُ
 لَكِنْ فَمَنْ بَدَّلَ فَهُوَ الظَّالِمُ
 إِنْ خَفْتُمْ يَوْمَ الْجَزَا الْعِقَابَا
 عَنِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَضَلَّ
 لِأَجْلِ دُنْيَاكُمْ عِبَادَ اللَّهِ
 كَلَامَ رَبِّنَا لَخَاسِرُونَ
 بِهَدْيِ خَيْرِ الْخَلْقِ نِعَمَ الْمَأْخُذُ
 فَلَا وَرَبِّكَ الْعَلِيِّ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّى يُحْكِمُوا فِي مَا قَدْ شَجَرُوا
وَلَا يَغْفِرَنَّكُمْ الْغُفْرَانُ
بِكُلِّ مَا تُكِنُّهُ الصُّمُورُ
مَنْ غَرَّهُ الْجَاهُ أَوْ الدَّرَاهِمُ
يَوْمَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّهِيدِ
لَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ وَالْعَذَابُ
وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ أَحْكَامَ الْعَالِي
إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ مَلَكٌ وَالْأُتَى
لِكَلِمَاتِهِ فَلَا مُبَدَّلَ
تَمَّتْ فَلَيْسَ يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ
مَنْ لَمْ يَكُنْ قَائِدَهُ الْقُرْآنُ
إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا لَا تَرْكَبُوا
فِيهِ خَطَابَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
فَلَنَقْتَفِيَ الْآثَارَ مِمَّنْ قَدْ سَلَفَ
مَنْ افْتَقَى آثَارَهُمْ لَا يَنْدَمُ
لَا تَطْلُبُوا رِضَى حَقِيرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ وَالرَّسُولَ أَنْ يُرْضُوهُ
إِنَّ رِضَى الْمَخْلُوقِ لَيْسَ يَنْفَعُ
مَنْ مِنْكُمْ حُرْمَةُ الْإِسْلَامِ هَتَكَ
سَوُّوْا صُفُوفَكُمْ وَلَا تَفَرَّقُوا
كَمَا بِهِ أَمَرَ مَوْلَانَا الْكَرِيمُ

فِيهِ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ لِمَنْ نَظَرَ
بَرِينًا فَرِينًا خَبِيرًا
عَنْ عِلْمِهِ لَا تَخْتَفِي السَّرَائِرُ
حَتَّى يَبِيعَ دِينَهُ فَنَادِمُ
أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنَ الْوَعِيدِ
قَالَ تَعَالَى فِي الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
كَمَا بِهِ قَدْ جَاءَنَا الْكِتَابُ
فَإِنَّهُ لِلَّهِ لَيْسَ بِوَلِيٍّ
وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُ عَادَاهُ
وَلَا مُغِيرًا وَلَا مُحْسِرًا
وَالنَّقْصَ فِي الْبَدْءِ وَفِي الْإِعَادَةِ
يَقُودُهُ هَوَاهُ وَالشَّيْطَانُ
وَالْقَوْلُ فِي الْإِسْرَاءِ كِدَتْ تَرْكُنُ
وَكُلِّ مَنْ آثَارُهُ قَدْ افْتَقَى
لَكِي نَكُونَ بَعْدَهُمْ خَيْرَ خَلْفٍ
إِنْ شَاءَ رَبُّنَا فَلَيْسَ يُظْلَمُ
بِسَخَطِ الْخَالِقِ يَا إِخْوَانِي
أَحَقُّ قَالَ اللَّهُ فَاتَّقُوهُ
دُونَ رِضَى الْخَالِقِ فَاسْمَعُوا وَعُذُّوا
لِلْجَاهِ أَوْ أَغْرَاضِهِ فَقَدْ هَلَكَ
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّقُوا
فِي ذِكْرِهِ الْمُحْجِلِ لِلْبَدْرِ النَّظِيمِ

لَتَسْلَمُوا مِنَ الْعِنَادِ وَالشَّقَاقِ	وَفَقَّنَا اللَّهَ لِمَا فِيهِ الْوِفَاقُ
وَفَقَّنَا اللَّهَ بِجَاهِ الْهَادِي	رِضَاهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْمَعَادِ
هَذَا نَصِيحَةُ أَخٍ حَقِيرٍ	لَكُمْ لَوْجُهُ رَبَّنَا الْكَبِيرِ
وَبَقْبُولِهِ لَوْجُهُ الْوَجْهِ	تَفَضَّلُوا يَا إِخْوَتِي فِي اللَّهِ
جَمَعَهَا الْعَبْدُ الْحَقِيرُ الظَّالِمُ	لِنَفْسِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ النَّادِمُ
مِنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفَ مِنْ ذُنُوبٍ	فَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَاسْتُرْنِي عِيُوبِي
جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَنَفِّعِينَ	بِهَذَا فَإِنَّ رَبَّنَا خَيْرٌ مُعِينٌ
يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى	مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ذَوِي الْعَلَى
مَا سَجَعْتَ فِي أَيْكِهَا الْأَطْيَارُ	وَابْتَسَمْتَ فِي رَوْضِهَا الْأَزْهَارُ

والشيخ بهذا كله يريد أن يخلص إلى صلب الموضوع ويتطرق إلى لبه، مشحّصا المشكلة المتمثلة في عدم مراعاة هذا القانون الأسري الوضعي لتعاليم الإسلام الحنيف، الذي يتدبّن به ٩٥% من الشعب السنغالي؛ ما أدى إلى حالة مؤسفة للأحوال الشخصية في البلاد.

ثم يطرح الشيخ رحمته الله الحل الأمثل للخروج من هذه المشكلة والحالة المؤسفة، وهو دعوة الحكومة السنغالية وفي مقدمتها السيد "عبد الله واد" رئيس الدولة حينها إلى "ضرورة إعادة اهتمام وتطبيق لمشروع قانون الأسرة الحالي للمسلمين؛ عملا والتزاما بالتوصيات العادلة المقدسة من القرآن الكريم والسنة الشريفة".

ثم سرد ﷺ عدة آيات من محكم التنزيل تؤكد على ضرورة الحكم بما أنزل الله ﷻ، وعلى نفعيته وخيريته، منها:

قوله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١)

وقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

وقوله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)

وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣)

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِلِينَ﴾^(٤)

وقوله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾^(٥) وقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا

(١) سورة آل عمران، الآية: (٨٣) .

(٢) سورة النساء، الآية: (٥٩) والآية: (٦٥) .

(٣) سورة المائدة، الآية: (٤٤) والآية: (٤٥) والآية: (٤٧) .

(٤) سورة الأنعام، الآية: (٥٧) .

(٥) سورة الأنعام، الآية: (١١٤) .

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(١) وقوله ﷺ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) وقوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٣) وقوله ﷺ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٤).

وكما استأنس الشيخ رحمه الله بآيات قرآنية كريمة، استأنس - كذلك - بأحاديث نبوية شريفة، منها قوله ﷺ: ((تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي))^(٥)، وقوله ﷺ: ((تركت لكم محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يضل عنها إلا الضال)).

(١) سورة الأعراف، الآية: (٩٦) .

(٢) سورة يوسف، الآية: (٤٠) .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٣٦) .

(٤) سورة الشورى، الآية: (٢١) .

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - باب الباء - باب بلاغات مالك ومرسلاته - الحديث الثاني والثلاثون، بلفظ: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه" (المكتبة الإسلامية: library.islamweb.net).

ثم ختم ﷺ بقصيدة أخرى كاملية، يستحسن ويتعجب فيها بالسفر الذي قام بإعداده اللجنة الإسلامية الذين هم خير خلف لخير سلف، مؤكداً على سماحة الإسلام وعدالته، قائلاً:

يا أيها الجمع العظيم بسعيه	لدفاع دين الله نهج صفيّه
أهدي لكم أحلى التهاني حارة	فواحة كالمسك في زكيّه
طالعت مشروع الكتاب فإنته	جم الفوائد قيّم في طيّه
فهو استراحة شعبنا فلطالما	أملوا اللقاء بمثله من نديّه
أكرم بقوم لا يساوم دينه	ومن يساوم دينه في غيّه
فمدون الأحوال يكشف لبنا	وسراجنا في ليلنا فلنخيّه
أكرم بمن جمعه فتيّة مبدا	وقفوا الحياة لنشر دين نيّه
ثمت الكتاب كلؤلؤ راجعته	ووجدته كنز الغنى لذريّه
سفر يضّم جواهرًا مصقولة	أجلى بها أي الكتاب بوحيه
فإذا ابتليت كحاكم راجع أخي	هذا الكتاب ولا تمل عن بنيّه
عجبا به عند الضرورة مرجع	من يلقيه يجد الصواب لرأيّه
أحكامه مؤثوقة يا سعد من	نال الكتاب محاكما لذويّه
حلم طويل قد تحقق فارتؤوا	نبع الشريعة قد صفا لرويه
إن الشريعة كلها لعدالة	ومريحة عند التزام جليّه
لا ريب هذا السفر خير وراثه	يهدي الأب لذريّه ووصيّه
بل أنفس ما قد يخلف أمة	مسئولة تنجي الورى من غيّه
سفر يجيب عن المسائل جملة	في العقد أو في الحل حامل هديّه
أدعوا إليه بأن يجازي فتيّة	قد أنجزوا هذا الكتاب بوعيه

وَعَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَصِحَابِهِ أَزْكَى الصَّلَاةِ مَعَ السَّلَامِ بِسَفْقِهِ
وَلَمَنْ يَلِيهِ عَدَالَةٌ وَهَدَايَةٌ كَاتِبِينَ الْمُقْتَدِينَ لَهُدْيِهِ
مَا قَرَّظَ الْمَنْصُورُ سَفَرًا مُعْجَبًا يَا أَيُّهَا الْجَمْعُ الْعَظِيمُ بِسَفْعِهِ

فالهدف الأسمى الذي من أجله ألف الشيخ محمد المنصور سي
رحمته الله هذا الكتاب القيم - كما ترى - هو الحث على جمع كلمة
المسلمين، والسعي على توحيد صفهم بالاعتصام بحبل الله وعجل
والاجتماع عليه؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)؛ ذلك أن الخلافات والمشكلات التي تثيرها قوانين
الأسر والأحوال الشخصية، تنشأ عادة من عدم الحكم بما أنزل
الله؛ لأنه هو الدستور الوحيد الذي لا يعتريه خلل ولا زلل، كيف
وهو من الخالق البارئ المصور الحكيم الخبير؟! ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، كما تنشأ
من عدم ملاءمة القانون - أي قانون - لعقيدة وقيم واختيار المجتمع
الذي يُحكم به، فحكم المسلمين بقانون أسرة لا يرضونه

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٣) .

(٢) سورة الملك، الآية: (١٤) .

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٥٣) .

ولا يوافق دينهم وقيمهم، لا شك أنه يزعزع كيانهم ويشتت شملهم. وبعد أن عرضنا الكتاب ووقفنا على أهم أفكاره، نريد أن نغوص في لوجه لنستخرج أصداف مضامينه التربوية، ونكتشف ما تحمله من جواهر المعاني، ولآلى المناحي، ويواقيت المسائل والأحكام الفقهية، ودرر التوجيهات والإرشادات الربانية.

المبحث الثاني: المضامين التربوية المتعلقة بجانب الأسرة والمجتمع:

وبعد قراءة الكتاب واستخلاص مضامينه التربوية، تبين لنا أنه احتوى على صنفين منها، صنف يتعلق بالأسرة والمجتمع، وآخر يتعلق بالتوجيه والإرشاد، فرأينا تصنيف المضامين على غرارهما.

ويمكن إجمال المضامين التربوية المتعلقة بجانب الأسرة والمجتمع كالتالي: المجتمع - المثل - القيم - الأخلاق - الدين - الأسرة - الأمة - الأم - الذرية. وفيما يلي بيان كلٍ بالتفصيل:

• المجتمع:

المجتمع لغة: مشتق من الفعل "اجتمع ضد تفرّق" ^(١)، فهو اسم مكان أو مصدر ميمي، بمعنى: "موضع الاجتماع أو الجماعة من الناس" ^(٢).

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي، نقلا من مدونة باننا واغي الإلكترونية: LE BLOG DE BANTA WAGUE

(٢) المعجم الوسيط.

واصطلاحاً: مجموعة من الناس، يرتبطون معاً بالعادات، والتقاليد، والأحكام الأخلاقية، ويحترمون بعضهم البعض، ويشكلون في الحي، أو القرية، أو المدينة التي يعيشون فيها جزءاً من أجزاء الحياة الاجتماعية.

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه: جزء من الواقع الاجتماعي المرتبط بمجموعة من الأفراد، في العائلة الواحدة، أو مكان العمل، أو المؤسسة التعليمية، وغيرها، ويوجد بينهم قاسم مشترك يعتمد على المكان، أي: المجتمع المصغر الذي يعيشون فيه^(١).

• المثل:

المثل لغة: جمع مثال، أي: "القالب الذي يُقدَّر على مثله. والمقدار، وصورة الشيء الذي تُمثِّل صفاته"^(٢).

واصطلاحاً: إذا اعتمدنا على التعريف اللغوي للمثل، يمكن أن نعرفها اصطلاحاً بأنها: كل ما يمثِّل ويصوِّر شعباً أو مجتمعاً ما من العادات والتقاليد والعقيدة والسلوك والأخلاق.

فالمثل الأعلى يستمدّ تصوّره من واقع ما تعيشه الجماعة البشرية

(١) موقع موضوع - بواسطة: محمد خضر.

(٢) المعجم الوسيط - مادة (م.ث.ل).

من ظروفٍ وملابساتٍ، ويكون مشتقًا من طموح الأمة، ومن تطلّعها إلى المستقبل، فهو نقطة البدء في بناء المحتوى الداخلي للجماعة البشريّة، ويتحدّد من قبل كلّ جماعةٍ بشريّةٍ على أساس وجهة نظرها العامّة نحو الحياة والكون، ومن خلال الطاقة الروحيّة التي تتناسب مع ذلك المثل الأعلى تحقّق إرادتها للسير نحو هذا المثل. وكلّ جماعةٍ اختارت مثّلها الأعلى، فقد اختارت في الحقيقة سبيلها ومنعطفات هذا السبيل، فالمثل الأعلى هو الذي يحدّد الغايات والأهداف، وهذه الأهداف والغايات هي التي تحدّد النشاطات والتحركات ضمن مسار ذلك المثل الأعلى^(١).

• القيم:

القيَم لغة: جمع قيمة، وأصل القيمة الواو (قوم) وقد استعمل اللفظ في اللغة لإفادة عدة معان منها:

- قيمة الشيء وثمنه.
- الاستقامة والاعتدال.
- نظام الأمر وعماده.

(١) المثل العليا - سلسلة دروس في فكر الشهيد الصدر - النشر: الموقع الإلكتروني لجمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

• الثبات والدوام والاستمرار^(١).

فالقِيمة: الثمن الذي يُقاوَم به المتاع، أي: (يقوم مقامه)، يقال:

"قام المتاع بكذا" أي: تعدّلت قيمته به^(٢).

وأمرٌ قيّم، أي: مستقيم، قال عَمَلٌ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، أي: الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق.

وقوام كل شيء: عماده ونظامه، قال حَمَلٌ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾^(٤)، أي: بها تقوم أموركم.

ويقال: "ما لفلان قيمة" أي: ما له ثبات ودوام على الأمر^(٥).

واصطلاحاً: ما تتعلّق بحياتنا من سلوكٍ أو عملٍ أو اعتقاد يكون له قيمة وأثر إيجابي، كما تُعتبر المعيار الذي يقوم سلوكياتنا في الحياة

(١) الصفحة الإلكترونية لمركز الدراسات والأبحاث في القيم - المملكة المغربية - الرابطة المحمدية للعلماء.

(٢) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي - مادة (ق.و.م).

(٣) سورة الروم، الآية: (٣٠).

(٤) سورة النساء، الآية: (٥).

(٥) انظر المعجم الوسيط - مادة (ق.و.م)، والصفحة الإلكترونية لمركز الدراسات والأبحاث في القيم.

وقياس مدى قربنا من هذه القيم أو بعدنا عنها. فالصدق على سبيل المثال قيمة من القيم النبيلة في المجتمع، وحتى يقال إنَّ إنساناً ما صادق؛ ينبغي أن يكون في تعاملاته في الحياة وسلوكياته وأقواله متمثلاً لهذه القيمة فعلاً لا قولاً^(١).

فالقيم تعتبر معايير الحكم على السلوك، والمعايير التي توجه سلوك الفرد واستجاباته للمواقف المختلفة، سواء في علاقته بالعالم المادي أو الاجتماعي أو السماوي^(٢).

ومن المسلم به أن لكل مجتمع قيمه الخاصة الحاكمة والمستمدة من ثقافته وعاداته وتقاليده. والمجتمعات اليوم في ظل العولمة، تتسرب إليها الأفكار والمعتقدات وأنماط الحياة، من خلال وسائط ومؤثرات تُرخي بظلالها على المنظومة القيمية والسلوكية، ويتلقفها الأفراد والجماعات عن علم ووعي أو عدمهما، ويُترجم ذلك سلوكاً عملياً^(٣).

• الأخلاق:

الأخلاق لغة: جمع الخلق: الدين والطبع والسجية^(٤).

(١) موقع موضوع الإلكتروني.

(٢) فلسفات في التربية - الدكتوراة نادية يوسف كمال - ص: ٥٣ .

(٣) مجلة أبحاث ودراسات تربوية - العدد الأول - السنة الأولى - صيف ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م - الإصدار مركز الأبحاث والدراسات التربوية - بيروت - لبنان - ص: ٧ .

(٤) لسان العرب لجمال الدين بن منظور - ج: ٤ - ص: ١٩٤ .

واصطلاحاً: عرفه الشيخ أبو الحامد الغزالي رحمته الله بقوله: الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت الهيئة تلك: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر: خلقاً سيئاً^(١).

• الدين:

الدين لغة: يقول ابن فارس: "الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل؛ فالدين: الطاعة، يقال دان له يدين ديناً، إذا أصبح وانقاد وطاع. فأما قولهم إن العادة يقال لها دين، فإن كان صحيحاً فلأن النفس إذا اعتادت شيئاً مرتّ معه وانقادت له"^(٢).

والدين من الألفاظ التي لم تخل منها لغة من اللغات بمدلولها؛ لأن التدين فطرة، وقد تعددت دلالاتها بتعدد الأمم وإن وُجد قاسم مشترك بينها في النهاية، وقد عرفها العرب بمدلولات شتى، ووردت في القرآن الكريم بمعان متعددة، منها:

(١) إحياء علوم الدين - ج: ٣ - ص: ٦٤ .

(٢) مقاييس اللغة - مادة (د.ي.ن).

١- الدين: الطاعة، وهو أصل المعنى، ودنت له أي: أطعته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(١)، وفي آية أخرى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾^(٢)، أي: الخضوع له وحده دون سواه.

قال عمرو بن كلثوم:

وَأَيَّامًا لَنَا غُرًّا كَرَامًا عَصِينَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٣)، أي: في الطاعة.

٢- الدين: الجزاء والمكافأة، يقال: دانه ديناً. أي: جازاه. ويقال: كما تدين تدان. أي: تُجازى بحسب ما عملت. ومنه قوله تعالى: ﴿أَعِنَّا لَمَدِينُونَ﴾^(٤)، أي: مجزيون. قال خويلد بن نوفل يخاطب الحارث بن أبي شمر:

يا صاح أيقن أنّ مُلكاً زائلاً واعلم بأنّ كما تُدين تُدان

٣- الدين: الحساب، ومنه قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٥)،

(١) سورة البقرة، الآية: (١٩٣).

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٣٩).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٥٦).

(٤) سورة الصافات، الآية: (٥٣).

(٥) سورة الفاتحة، الآية: (٤).

وله فسر الحديث: "الكيس من دان نفسه" أي: حاسبها.

٤- الدين: القضاء والحكم والملك، ومنه فسر قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾^(١)، أي: في حكمه وقضائه. والديان هو القاضي.

٥- الدين: الحال والعادة والشأن، يقال: ما زال ذلك ديني وديني. أي: عادي. قال المثقب العبدى:

تقول إذا درأت لها وصيني هذا دينه أبدا وديني

٦- الدين: يطلق ويراد به الإسلام، قال الراغب: ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ يعني الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢).

من الدلالة اللغوية لكلمة (دين)، رأينا أن كل خضوع على وجه ما لشيء ما تقديسا وتقربا إليه يسمى دينا، سواء أكان منشأ هذا الخضوع الوضع، كما هو الحال في معتقدات الوثنيين والصائبين والمجوس، أو الوحي كما في معتقدات أهل الكتاب والمسلمين،

(١) سورة يوسف، الآية: (٧٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٨٣) والآية: (٨٥) انظر موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - ص: ٢٦٠ - ٢٦١ .

وقد وسم القرآن كل معتقد بأنه (دين) حقا كان أو باطلا، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ختمها بقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. فسمي كل معتقدٍ غاير الإسلام بأنه دين.

قال أبو البقاء الكفوي: الدين لغة: العادة مطلقا، وهو أوسع مجالا؛ يطلق على الحق والباطل أيضا، ويشمل أصول الشرائع وفروعها؛ لأنه عبارة عن وضعٍ إلهيٍّ سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبيا كان أو قالبيا، كالاعتقاد والعلم والصلاة، وقد يُتجاوز فيه فيُطلق على الأصول خاصة، فيكون بمعنى الملة، وعليه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(٢)، وقد يُتجاوز فيه -أيضا- فيطلق على الفروع خاصة، وعليه قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٣)، أي: الملة القيمة، يعني فروع هذه الأصول.

والدين منسوب إلى الله، والملة إلى الرسول، والمذهب إلى المجتهد. والملة اسم ما شرعه الله لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به

(١) سورة الكافرون، الآية: (١-٢) والآية: (٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٦١).

(٣) سورة البينة، الآية: (٥).

إلى آجل ثوابه، والدين مثلها لكن الملة تقال باعتبار الدعاء إليه، والدين باعتبار الطاعة والانقياد له^(١).

واصطلاحاً: جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً.

والدين في الاصطلاح الشرعي الإسلامي هو: الاستسلام والتسليم لله بالوحدانية وإفراده بالعبادة قولاً، وفعلاً، واعتقاداً حسب ما جاء في شريعة النبي محمد ﷺ في العقائد والأحكام، والآداب، والتشريعات، والأوامر والنواهي، وكل أمور الحياة^(٢).

• الأسرة:

الأسرة لغة: مأخوذة من الأسر وهو القوة والشدة، وكذلك تُفسر بأنها الدرع الحصينة؛ فإن أعضاء الأسرة يشد بعضهم إزار بعض، ويُعتبر كلُّ منهم درعاً للآخر. وقد تأتي الأسرة بمعنى العائلة، وهي مأخوذة من العيلة، أي: الحاجة؛ فإن أعضاء الأسرة يحتاج بعضهم إلى بعض^(٣). وتُفسر أيضاً بأنها "أهل الرجل وعشيرته، والجماعة

(١) الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية - ص: ٣٦٩ .

(٢) موقع موضوع - بواسطة: رانيا سنجق.

(٣) دور الأسرة التربوي في ضوء التربية الإسلامية - رسالة ماجستير للباحث: قاسم محمد محمد عبد الله - تخصص: أصول التربية - جامعة اليرموك - ١٩٨٩م ص: ٢ .

التي يربطها أمر مشترك^(١).

واصطلاحاً: هي الشكل الاجتماعي الأول للحياة الإنسانية، وإحدى الجماعات الصغيرة العديدة؛ حيث تقوم بينها علاقات يطلق عليها الجماعات الأولية، وهي في علم الاجتماع تعتبر الوحدة الاجتماعية الأولى في التنظيم الاجتماعي.

وفي داخل الأسرة تتم عملية التنشئة الاجتماعية، وتشكل من خلالها معايير اتجاهات الأفراد وسلوكياتهم، فيكون عمل الأشياء مصفاة تصفي القيم قبل نقلها إلى الطفل، ويمثل الآباء دور المعلم في عملية التنشئة الاجتماعية.

والأسرة هي الوسط الذي استطاع عليه المجتمع لإشباع غرائز الإنسان ومختلف دواعيه الطبيعية وبواعثه الاجتماعية، وذلك مثل حب البقاء وتحقيق العواطف والانفعالات الاجتماعية، كعواطف الأبوة والأمومة والأخوة^(٢).

● الأمة:

الأمة لغة: قال ابن فارس: "الهمزة والميم فأصل واحد يتفرع منه أربعة

(١) المعجم الوسيط، مادة (أ.س.ر)، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (مرجع سابق) ص: ٤٨

(٢) دور الأسرة التربوي في ضوء التربية الإسلامية (مرجع سابق) ص: ٣ .

أبواب، فهي: الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين، وهذه الأربعة متقاربة" (١)

فالأمة تأتي بمعنى الجماعة، فقد جاء في السيرة: "إن يهود بني عَوْف أُمَّةٌ مع المؤمنين"، يريد أنهم بالصلح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعةٍ منهم كلمتهم وأيديهم واحدة.

كما تأتي بمعنى جماعة العلماء، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (٢).

وتأتي بمعنى الإمام، والعالم الذي يعلم الناس الخير، وكل من يُقْتَدَى به ويُقَدَّم في الأمور، والرجل الجامع لخصال الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (٣)، وقال النبي ﷺ في زيد بن عمرو بن نُفَيْل: ((يُيَعِّثُ أُمَّةً وَحْدَهُ)) وذلك أنه كان قد تبرأ من أديان المشركين، وآمن بالله متفرداً بدين حقٍّ لا يشركه فيه أحد، قال ابن عبد البر: "وكان زيد بن عمرو بن نُفَيْل يطلب دين الحنيفية: دين إبراهيم -عليه السلام- قبل أن يُيَعِّثَ النبي ﷺ، وكان لا يذبح للأنصاب، ولا يأكل الميتة والدم، ومن خبره في ذلك أنه خرج

(١) مقاييس اللغة، (أ.م) .

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤) .

(٣) سورة النحل، الآية: (١٢٠) .

في الجاهلية يطلب الدين هو وورقة بن نوفل، فلقيا اليهودَ فعرضت عليهما يهودُ دينهم، فَتَهَوَّدَ ورقةٌ، ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهما دينهم، فترك ورقة اليهوديةَ وتنصَّرَ، وأبى زيدُ بن عمرو أن يأتي شيئا من ذلك، وقال ما هذا إلا كدين قومنا؛ تشركون ويشركون، ولكنكم عندكم من الله ذكر ولا ذكر عندهم، فقال له راهب: إنك لتطلب دينا ما هو على الأرض اليوم، فقال: وما هو؟ قال: دين إبراهيم، قال: وما كان عليه إبراهيم؟ قال: كان يعبد الله لا يشرك به شيئا، ويصلي إلى الكعبة. فكان زيد على ذلك حتى مات^(١). والمعنى: أنه يُبْعَث على ذلك: مؤمنا بالله غير مشرك.

وتأتي بمعنى الحين والمدة، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولَنَّ مَا يَجْبِسُهُ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾^(٣).

(١) الأمة الإسلامية سماتها ومقوماتها وأهدافها: دراسة موضوعية من خلال السنة النبوية: رسالة ماجستير للباحث/ عبد الوهاب عصام زيدان، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه، ٢٠١٣م، ص: ١٣

(٢) سورة هود، الآية: (٨) .

(٣) سورة يوسف، الآية: (٤٥) .

وتأتي بمعنى الدين، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(١).

واصطلاحاً: تُعرّف الأمة بأنها: "جماعة كبيرة من الناس، تنتمي إلى أصل عرقي واحد، يوجد بين أفرادها لغة مشتركة، أو تاريخ مشترك ومصالح كبرى، فضلاً عن الوجود الجغرافي والتاريخي لقرون طويلة في أرض بعينها"^(٢).

• الأم:

الأم لغة: أصل الشيء، فأم كل شيء أصله، قال الخليل: كل شيء ضم إليه ما يليه يسمى أمّا، قال ابن عرفة: ولهذا سميت أم القرآن وأم الكتاب. وقال الأخفش: كل شيء انضم إليه الأشياء فهو أمّ لها؛ ولذلك سمي رئيس القوم أمّا لهم. وأم الكتاب أصله أو اللوح المحفوظ أو سورة الحمد؛ لأنه يبدأ بها في المصاحف وفي كل صلاة أو القرآن جميعه. وأمّ القرى علم لمكة شرفها الله تعالى بها^(٣). ويقال: هو من أمهات الخير. أي: من أصوله ومعادنه. وأمّ الطريق: الطريق الأعظم بجانبه طرق أخرى. وكل مدينة هي أمّ ما حولها

(١) سورة زخرف، الآية: (٢٢) .

(٢) الأمة الإسلامية سماتها ومقوماتها وأهدافها (المرجع السابق) ص: ١٥ .

(٣) الكليات - مادة (أ.م) ص: ١٤٦-١٤٧ .

من القرى. وأم الرأس: الدماغ. وأم الدماغ: الجلدة الرقيقة التي تجمعها، يقال: بلغت الشَّجَّةُ أمَّ الدماغ^(١).

واصطلاحاً: كل امرأة رجع نسبك إليها بالولادة من جهة أبيك أو من جهة أمك^(٢).

• الذرية:

الذرية لغة: من ذَرَأَ (الله الخلق)، أي: نشرهم وأظهرهم، إلا أنهم تركوا همزها استثقلاً، فأصلها ذُرِّيَّةٌ بالهمز (فُعَيْلَة) من الذَّرءِ، وهذا اختيار صاحب الصحاح وغيره، قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾^(٣)، وفي الحديث: ((أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شر ما خلق وذراً وبرأ))^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

(١) المعجم الوسيط - مادة (أ.م) .

(٢) الكليات - ص: ١٥٦ .

(٣) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٣ - ص: ٤١٩ - من حديث عبد الرحمن بن خنبل، ورجاله ثقات، وانظر "الإصابة" ص: ٥١١٤، وأخرجه مالك في "الموطأ" ج: ٢ - ص: ٩٥٠، عن يحيى بن سعيد مرسلاً. انظر جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن قيم الجوزية - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - دار البيان - دمشق - بيروت - ص: ٢٠٢ - ٢٠٣ .

لَجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾^(٢)، فالذرية فُعلية منه بمعنى مفعولة، أي: مذروءة، ثم أبدلوا همزها، فقالوا: ذرية^(٣).

ومعناها لغة: قيل: نسل الثقلين، وقيل: ولد الرجل، وقيل: من الأضداد تحيء تارة بمعنى الأبناء وتارة بمعنى الآباء. ويتناول أولاد البنات. قال الإمام حميد الدين رحمته الله: سألت أستاذي شمس الأئمة الأكدري رحمته الله عن له أمٌ سيدة وأبوه ليس بسيد؟ فقال هو سيد. واستدل بأن الله جل جلاله جعل سيدنا عيسى -عليه الصلاة والسلام- من ذرية سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام- بجهة الأم. وَمَنْ قَالَ الْأَنْسَابَ تَنَعَّدَ بِالْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ لَا بِالْبَنَاتِ وَالْأُمَّهَاتِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهم أبناء الرجال الأبعد

فَقَدْ خَالَفَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى﴾^(٤)؛ حيث جعل عيسى من أولاده وذريته

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٧٩).

(٢) سورة النحل، الآية: (١٣).

(٣) جلاء الأفهام (المرجع السابق) ص: ٢٠٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: (٨٤) والآية: (٨٥).

مع أنه لم يكن لعيسى أب^(١).

واصطلاحاً: لا يختلف المعنى الاصطلاحي للذرية عن المعنى اللغوي كما قال الدكتور عبد الرحمن بن سعيد الحازمي^(٢).

فالذرية في عمومها: نسل الجد الأكبر، جاء في القرآن الكريم من دعاء سيدنا إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾^(٣)، فالعرب المنتسبون لإسماعيل هم ذريته، والمنتسبون لقحطان هم ذريته، والمنتسبون لإبراهيم -عليه السلام- من إسماعيل وإسحاق هم ذريته^(٤).

كان هذا بيانا لمعاني المضامين، أما عن العلاقة التي بينها، فنرى أن كل واحدة منها تُمْتُّ بصلة إلى الأخرى، وتنبي عليها: فالأمة، والمجتمع، والأسرة، والأم، والذرية، سلسلة متصلة وسُلَّم يُفْضِي بعضه

(١) الكليات - ص: (٣٨٦).

(٢) الذرية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية: دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الرحمن الحازمي، ص: ٢٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٣٧) والآية: (٤٠).

(٤) منتديات الملاحم والفتن.

إلى بعض، كما نرى ذلك بين المثل، والقيم، والأخلاق، والدين.

والشيخ محمد المنصور سي رحمته الله يرى ترجمة هذه الصلة الوثيقة بين هذه المضامين إلى الواقع المعاش، فينسجها في ديباج واحد، وينضدها في نص واحد، مشحّصا المشكلة المتمثلة في فصل ما يجب ازدواجه، وفكّ ما ينبغي اندماجه، قائلا: "قد وضع الرئيس "سنغور" في أيامه قانون الأسرة، وباركته حكومته، ولكن ذلك القانون لا يلائمنا نحن المسلمين؛ لأنه ما أخذ بعين الاعتبار اختيار المجتمع ومثله وقيمه الأخلاقية والدينية"^(١).

فلا أساس للأمة والمجتمع إذا لم يكن لها دين وقيم ومثل وأخلاق تقودها وتدفعها إلى برّ الأمان، ولا معنى للتربية ولا قيمة إذا اندثرت المثل والأخلاق، واضمحلت الأمم وتلاشت، والله در أحمد شوقي أمير الشعراء إذ يقول:

وإِذَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُوهُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

* * * * *

وَإِذَا أَصَابَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقَمَّ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا

من هنا كانت عناية التربية بالمثل والقيم حفاظا على المجتمع وكيانه، فالقيم والتربية أمران مرتبطان بعضهما ببعض، فلا يمكن

(١) المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء - ص: ٦-٧ .

الفصل بينهما؛ لأن كلاً منهما يؤثر في الآخر؛ فالتربية تسعى لغرس القيم في نفوس الناشئة، أما القيم فتؤثر في التربية باعتبارها حُكما ومعايير وضوابط وأطر حياة تُوجّه العملية التربوية، فبدون التربية يصعب غرس القيم وتصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة^(١).

كما أن التربية تعمل في وظيفتها الأولى على بقاء واستمرار ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه، ومن بين هذه الثقافة قيمها، لذا لا بد وأن تتضمن التربية هذه القيم، كما أن التربية معيارية في أساسها؛ إذ إنها على الدوام تحكمها معايير وقواعد أخلاقية تستمد وجودها ومعناها من القيم التي تنظم حياة الناس في الثقافة التي تنشأ فيها^(٢).

وتتلخص أهمية القيم على مستوى المجتمع في أنها:

- تحافظ على تماسك المجتمع، فتحدّد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئه الثابتة.

- تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديد الاختيارات الصحيحة، وذلك يسهّل على الناس حياتهم، ويحفظ

(١) تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية بمحافظة القنفذة - رسالة ماجستير في كلية التربية - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية - الإعداد: علي بن مسعود بن أحمد العيسى - العام الجامعي: ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ ص: ٩٣ - ٩٤ بتصرف يسير.

(٢) انظر فلسفات في التربية للدكتورة نادية يوسف كمال - ص: ٥٧ - ٥٨ .

للمجتمع استقراره وكيانه في إطارٍ موحد.

- تربط أجزاء ثقافة المجتمع ببعضها حتى تبدو متناسقة، كما أنها تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً عقلياً يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة.

- تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات والشهوات الطائشة، فالقيم والمبادئ في أي مجتمع هي الهدف الذي يسعى جميع أعضائها للوصول إليه.

- تزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم، وتحدد أهداف ومبررات وجوده؛ وبالتالي يسلك في ضوئها، وتحدد للأفراد سلوكياتهم^(١).

ف"القيم هي التي تخلق الإجماع والاتفاق ووحدة الهدف ومسيرة التقدم"^(٢)، ف"عندما ننظر إلى الدين بعين اجتماعية، نرى أن الدين هو الذي يحفظ الأخلاق الفاضلة في المجتمعات ويحرس حدودها، وهو الذي يحول بين الإنسان وبين اتباع أهوائه، وعلى ضوء هذه المهمة التي يؤديها الدين، تتماسك عرى المجتمع ولا تنفصم إحداها عن الأخرى"^(٣)

(١) تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة (مرجع سابق) ص: ٩٣-٩٤ بتصرف يسير.

(٢) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - جمع وتحقيق: محمد البحراوي - ط: دار الحياة - الطبعة الثالثة - ص: ٩٢

(٣) مجلة أبحاث ودراسات تربوية (مرجع سابق) ص: ٦٢ .

إِذَا ف"التربية التي لا تبنى على أخلاق وقيم واضحة محددة، ستزيع عن الدرب وتفقد الهدف ولن تؤتي ثمارها، وبداية التغيير إنما هي من النفس ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾" (١)؛ ذلك لما يصيب النفس من داء الأنانية، والعصبية، والطائفية، وعبادة الرأي، وعبادة النفس، وعبادة الهوى، وحب الدنيا، والانغلاق على شخصانية ضيقة غبية عمياء، لا ترى إلا البشر الواحد أمامها، الأمر الذي يستحيل أو يتعذر معه التوافق والتناصح والتحاب والتآخي والتماسك صفا واحدا (٢).

مَنْ نَاطَ بِالْعُجْبِ غُرِيَ أَخْلَاقُهُ نَيْطَ غُرَى الْمَقْتِ إِلَى تِلْكَ الْغُرَى (٣)
لذا كان إصلاح القلوب والنفوس التي هي مركز الإنسان ومصدر انفعالاته، وقوام صلاحه وفساده، المحور الأساسي للتربية الإسلامية السامية.

فبنور الإيمان والوحدانية يصفو القلب من الأكدار والأدران، ويتخلص من الأهواء والأدواء، فيسهل عليه الطاعة والانقياد:

وَإِذَا حَلَّتِ الْهُدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ (٤)

(١) سورة الرعد، الآية: (١١) المضامين التربوية في كتاب بستان العارفين للإمام النووي - ص: ٤١

(٢) انظر حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ٨٠ .

(٣) البيت لابن دريد في مقصورته.

(٤) البيت للإمام البوصيري في همزته.

يسهل عليه إقام الصلاة ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١)، تلك العبادة التي تحمي القلب من التلوث بالفحشاء والمنكر بعد أن أشرق بنور الإيمان، قال رحمه الله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢)، فالصلاة إن لم تؤثر في صاحبها وتمنعه عن الفحشاء والمنكر فلا أثر لها ولا ثمرة، بل إنها قد تكون وبالاً على صاحبها، يقول نبينا ﷺ: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزد من الله إلا بعداً))، وفي رواية: ((من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد من الله إلا بعداً))^(٣)، بل إن قبول الصلاة متوقف على التخلق بأحسن الأخلاق، وقد أكد رب العزة ﷻ هذا المعنى في الحديث القدسي، فعن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تبارك وتعالى: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطع على خلقي، ولم يبت مَصِرّاً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل

(١) سورة البقرة، الآية: (٤٥) .

(٢) سورة العنكبوت، الآية: (٤٥) .

(٣) رواه الطبراني بإسناد صحيح. الإسلام يتحدث عن نفسه -ت: نخبة من شباب وزارة الأوقاف

- الإصدار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م - ص: ١٩

والأرملة، ورحم المصاب))^(١)، فالصلاة "تربط الإنسان بالله تعالى، وتقوّي إرادته، وتعوّده على ضبط النفس، والصبر والمثابرة، والنظام"^(٢).

ويسهل عليه أداء الزكاة، تلك الفريضة المتعلقة بالمال الذي له مكانة في القلب وسيطرة عليه ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، فالمال ينطوي على الإغراء، بحيث لو استحوذ على انتباه الإنسان وتمكّن من تسخير طاقاته البشرية لجمّعه وتحصيله، ربما يقوده إلى الانحراف، والعبث والإفساد، أو إلى الطغيان وإهدار بشرية من لا يملك المال، فينساق إلى هذه الغريزة وأهدافها في غير رعاية لحرمة أحد أو كرامته، حتى لحرمة نفسه وكرامتها^(٤). "وهنا يكون تحذير القرآن من فتنة المال-وكذلك ترغيبه في الإنفاق إلى حد أنه جعل الإنفاق في سبيل الله صنوًا للإيمان به أو على الأقل ركنا أساسيا فيه- ليخلق الجو النفسي الصالح لدى الإنسان كي يمارس فيه السلوك المستقيم مع المال بمحض اختياره ومشئئته، دون إلزام وقهر فيه. وعلى هذا النحو يمكن

(١) رواه البزار - المرجع السابق - ص: ١٩-٢٠ .

(٢) مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٦١ .

(٣) سورة التغابن، الآية: (١٥) .

(٤) الإسلام فطرة الله للدكتور محمد البهي - من إصدارات مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف - صفر ١٤٣٧هـ - نوفمبر / ديسمبر ٢٠١٥م - ص: ٢٠ بتصرف يسير .

أن تبدو صلاحية جعل المال ملكا لله وجعل الإنسان مستخلفا فيه، نظرة أساسية من جانب الإسلام إلى المال وتملكه^(١):
﴿ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ۚ وَءَانْفِقُوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِيْنَ فِيْهِ ۚ فَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وءَانْفِقُوْا لَهُمْ اَجْرٌ كَبِيْرٌ﴾^(٢).

والإنسان الذي ينفق في سبيل الله وابتغاء مرضاته، يتعامل مع الله وليس مع إنسان مثله، ولذلك تخرج المعاملة عن وضعها العادي، ويصبح المقابل -وهو ما كان من جانب الله- ذا شأن غير عادي أيضا، ونتيجة المعاملة حينئذ للإنسان المتعامل مع الله نتيجة مرموقة، وتعتبر فوزا عظيما له^(٣)، قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤)، وقال جلّ جلاله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۖ وَلَهُ أَجْرٌ

(١) انظر المرجع السابق (الإسلام فطرة الله) ص: ٦٢-٦٣ .

(٢) سورة الحديد، الآية: (٧) .

(٣) المرجع السابق- ص: ٢٩ .

(٤) سورة التوبة، الآية: (١١١) .

كَرِيمٌ^(١)، إنه بهذا الإنفاق جعل من نفسه إنسانا يعيش لنفسه وغيره، ويرى ثمرة ما أنفق على غيره، كما يراها على نفسه ومن يعول، فمجال نفعه أصبح مضاعفا، وثمره عمله اتسعت رقعتها، وإنسانيته ظلت ميدانا أفسح، فممن يخاف إذن؟ من أين يأتيه الهم والحزن والقلق؟ من يحقد عليه ويصيبه بأذى حقه؟ من لا يراعي حرمة في نفسه وفي ماله الباقي وعرضه؟ إن المنفق في سبيل الله إنسان قد أمن الحزن والخوف حقا، إنه عندئذ قد تضاعف ماله - ولم ينقص منه شيء بما أنفق - يتضاعف أثره ونفعه^(٢). وصدق الله العظيم: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣)، والله در القائل: "من كثرت أياديهِ قلّت أعداؤه".

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدَ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

* * * * *

وَإِنِّي لَأَلْقَى الْمَرْءَ أَعْلَمُ أَنَّهُ عَدُوٌّ وَفِي أَخْشَاءِهِ الضُّغْنُ كَامِنٌ فَأَمْنَحُهُ بِشَرِّهِ فَيَرْجِعُ قَلْبُهُ سَلِيمًا وَقَدْ مَاتَتْ لَدَيْهِ الضَّغَائِنُ^(٤)

(١) سورة الحديد، الآية: (١١) .

(٢) الإسلام فطرة الله ص: ٣٢-٣٣

(٣) سورة فصلت، الآية: (٣٤) .

(٤) عنوان البيان وبستان الأذهان في الأدب والأخلاق والوصايا والنصائح للشيخ عبد الله الشبراوي- تح: د/ رفعت علي محمد- سلسلة تراث الأزهرين- ط: كشيدة- ص: ٤٧، ٥٤ والبيت الأول للشيخ أبي الفتح البستي.

وهذا الطريق في حمل النفس على التخلُّص من المال الزائد عن الحاجة، يدفعها في اطمئنان وفي رضا - بل ربما في تلهُف وتطلُّع كذلك - إلى الإنفاق فيما حدد هنا، بحيث يصبح الإنفاق عادة مرغوبا فيها، أو بحيث يصبح هذا الإنفاق طبعاً ثانياً للنفس، وما كان طبعاً لا يصادفه عناء، ولا يحتمل معنى الإكراه أو الكره^(١).

وهكذا "تعمل [الزكاة] على تزكية النفس البشرية، والارتقاء بها إلى مكارم الأخلاق، فهي طهارة لنفس الغني من البخل والشح والأناية، وطهارة لنفس الفقير من الحقد والبغض والحسد، يقول الحق ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾"^(٢)، فالزكاة تربية للضمير، ومكافحة للأناية والإفراط في النزعة المادية والفردية، وإحساس بالجماعة وشعور بالأخوة والحب، وفي ذلك كله تربية على مراعاة شعور الآخرين واحترامهم ومساعدتهم^(٣). فهي تُغَطِّي جميع الجوانب الضرورية في حياة المجتمع، بما هو ضروري وأساسي في المحافظة على الكيان الذاتي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ

(١) الإسلام فطرة الله - ص: ٢٩

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠٣)، الإسلام يتحدث عن نفسه - ص: ٢٠

(٣) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٦٢

وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ^١ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ^٢ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١).

فقد "خلق الله الكل ليعيش الكل، وليس لينفرد جنس دون
الآخرين، فهو الخالق الحافظ المدافع عن كل مخلوقاته"^(٢)؛ بأن
خلق الدنيا دار بلاء وامتحان، فجعل كل شيء يُمتَحَن بضده؛
حتى يُحدِثَ التوازن في الكون، ويعطيَ فرصة ليعيش القوي
والضعيف جنبا إلى جنب^(٣). فالزكاة بحق "تعامل مع الله رأسا دون
وسائط، وإيمان بالغيب وثقة في المقدور، ويقين بقوانين العدل
الإلهي التي لا تتخلف"^(٤).

ويسهل عليه -أيضا- الصوم، الذي "فيه تربية النفس، وجهادها،
وتزكيتها، وكسر حدة شهوتها، وتهذيبها، وضبطها في طعامها وشرابها؛
إيثارا لما عند الله من الرضى والمتاع، فالصوم هو الرمز العملي لضبط
النفس في دين الله".

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠، انظر الإسلام فطر الله ص: ٨٦ .

(٢) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ٥٠ .

(٣) المرجع السابق - ص: ١٣١ .

(٤) المرجع السابق - ص: ٩٤ .

فالصوم يدرّب على الصبر وقوة التحمل، ويربّي على الأمانة ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، إذ لا رقيب على الصائم إلا الله وحده، كما أنه يقوّي الإرادة، ويساعد على صفاء الذهن، ويُنمي عاطفة الرحمة والمحبة والمودة والأخوة والشعور برابطة التضامن والتعاون، فإحساس الصائم بالجوع يدفعه إلى صلة الفقراء ومساعدتهم، فتقوى أواصر الروابط الاجتماعية بين الناس، إنه شعور موحّد لكل قوى المسلمين^(١).

فمن خلال الصوم يتعوّد المسلم على ضبط أخلاقه وغرائزه، وبذلك يتحقق الهدف الأسمى من الصيام، فالصوم الحقيقي هو الذي يترك أثرا طيبا في سلوك المسلم وأخلاقه، وهذا ما أكد عليه نبينا ﷺ حين قال: ((...والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقللني امرؤ صائما...))^(٢)، وحين قال -أيضا- ﷺ: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))^(٣)، وصدق الله العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٦٣ .

(٢) رواه البخاري، الإسلام يتحدث عن نفسه - ص: ٢٠-٢١ .

(٣) صحيح البخاري - ج: ٢ - ص: ٥٦٦ - كتاب الصوم - باب من لم يدع قول الزور. مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٩٠

كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾.

كما يسهل عليه التضحية لأداء فريضة الحج مع ما فيها من تكاليفات ومشقات، فالحج عبادة تعمل هي الأخرى على حمل النفس على التخلص من إغراء المال وفتنته، والتجرّد عن كل ما من شأنه أن يطمس نور الإيمان ويحول بين المرء وربه، إنه يكفر الذنوب، ويطهر النفوس، ويملاها خشية وتقى لله وعزما على طاعته، وندما على معصيته، فتقوى عندها عاطفة الحب لله ولرسوله ﷺ، ولمن أحبوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه (٢).

فمن خلال فريضة الحج "يتعلم المسلم الفضائل والأخلاق، ويتدرب على تهذيب السلوك الإنساني، ويتربى فيها على تقوى الله عز وجل، والطهر، والعفاف، والتحكم في غرائز النفس وشهواتها، والتحلي بمكارم الأخلاق، ليخرج الحاج من هذه الفريضة وقد تحققت له مضامينها الأخلاقية والسلوكية؛ لأجل ذلك ربط القرآن الكريم بين أداء الحج واستقامة السلوك الإنساني، فقال ﷺ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ قُلْ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣ .

(٢) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٦٤ .

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١﴾، ويقول نبينا ﷺ ((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))^(٢).

كما أن في الحج "تربية على القيم الفكرية؛ إذ يلتقي الإنسان بأبناء بلاد أخرى، قد يختلفون عنه في اللغة والعادات، ولكنه يرتبط بهم بشعور الأخوة والمساواة التي يضمنها القرآن بين بني البشر، فلا فرق بين الأبيض والأسود والأحمر، ولا بين الغني والفقير، ولا القوي والضعيف، وفي هذا مجال للفكر ولتبادل الخبرات المختلفة بين أبناء الإسلام"^(٣).

فهكذا نرى أن "روح التوحيد التي يدعو إليها الإسلام سارية وجارية، وروح الأخلاق منتشرة في كل ما أمر الله به المكلفين، وعليه إذا حللنا أجزاء الإسلام وأتقنا ربط بعضها ببعضها الآخر، نكتشف أنها تعود إلى التوحيد، وإذا أعدنا تركيبها ينتهي التوحيد إلى صورة الأخلاق والأعمال، وإذا نزل التوحيد من مقام الاعتقاد يتحول إلى أخلاق وعمل، وإذا ارتقت الأخلاق من مقام العمل يؤول أمرها إلى أن تكون توحيدا"^(٤)، ف"الأخلاق الفاضلة تحتاج

(١) سورة البقرة، الآية: (١٩٧).

(٢) متفق عليه. الإسلام يتحدث عن نفسه - ص: ٢١-٢٢ .

(٣) مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٦٤ .

(٤) المرجع السابق - ص: ٦٤ .

إلى ضمان لثباتها والمحافظة عليها، ولا شيء غير التوحيد يمكنه أداء هذه المهمة، ومن الواضح أنه إذا زال الاعتقاد بالمعاد من أذهان الناس، عندها لا يبقى شيء أساسي وأصيل يدعو الناس إلى تجنب الأهواء وترك السير وراء الشهوات واللذات الطبيعية، ومن جهة أخرى يجب الالتفات إلى أن الأخلاق تحفظ الإيمان وتحميه، وعليه فإن بين الأخلاق والإيمان علاقة تأثير وتأثر متبادلة^(١)، فأساس القيم في الإسلام هو التوحيد، وعمادها العبادات، وأركانها التشريعات وما ينجم عنها من علاقات ومعاملات تتعلق بشئون الدنيا والآخرة، فمنظومة القيم التربوية في الإسلام تعمل أولاً على تركيز العقيدة وترسيخ الإيمان في النفوس، وتهذيب الأخلاق وضبط الأهواء، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس

(١) المرجع السابق (مجلة أبحاث ودراسات تربوية) ص: ٦٣

بينها وبين الله حجاب^(١).

وهكذا ربط الإسلام ربطاً مُحْكَمًا بين العقيدة والعبادات والأخلاق، فالعقيدة الصحيحة لا بد أن تُعَبِّرَ عن نفسها في العبادة الخاشعة الصادقة، وهذه لا بد أن تؤدي إلى ممارسة عملية للفضائل الأخلاقية، قال رسول الله ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))^(٢)، فلا قيمة لإيمان لا يتبعه عمل صالح يبرهن على صحته، فإبليس آمن بقلبه بالله ووحدانيته، بل كان على درجة الملائكة ييقينه القلبي، وفرعون كان يعلم بقلبه أنه كاذب وليس إلهاً، إلا أن هذا لم ينفعهما؛ لأنه لم يُترجم عملاً صالحاً يعبر عن هذا الإيمان، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإيمان بوحدانية الله ﷻ هو القاعدة الصلبة، التي تركز عليها منظومة القيم التربوية في الإسلام، وهذا يؤكد على أن الإيمان هو القيمة الأساسية التي تنشق عنها

(١) رواه مسلم في صحيحه - رقم الحديث: ١٩ - ج: ١ - ص: ٥٥-٥٦، مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٥٧ وانظر المرجع نفسه - ص: ١٣٦-١٣٧

(٢) رواه الترمذي في الجامع الكبير - رقم الحديث: ١١٩٤ - ج: ٣ - ص: ٣٦٠ . المرجع السابق - ص: ١٥٧ وانظر المرجع نفسه - ص: ١٣٧ .

(٣) سورة النمل، الآية: (١٤).

جميع القيم الأخرى، والتي تُعتبر ضوابط للسلوك^(١)، فالأخلاق من أسُس الإسلام؛ ذلك أنها متصلة بعمل المسلم ونشاطاته وبكل ما يتعلق بعلاقته بربه، ومع نفسه، ومع غيره، وبكل ما يحيط به حتى مع الحيوانات والجمادات، والدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، كما عند العلامة الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى، فالأخلاق تدخل في كافة أمور الدين من كونها امتثالا لأمر الله وَعَلَيْكُمْ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ وأمر رسوله ﷺ: ((وخالق الناس بخلق حسن))، وهي مراد الله ﷻ من الإنسان المسلم بأن يكون ذا خلق كامل زكي النفس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢).

وهنا تبدو صلة الصوفية بالإسلام جليّة، وتبقى نسبتها إليه أصيلة؛ ف"الصوفية هي جوهر الإسلام وليست ابتداعا في الدين"^(٣)، إنها: "نشدان الصفاء في القلب، بأن يجاهد الصوفي حتى يخلو قلبه من الحقد، والحسد، والغل، والشح، والكراهة، والأثرة، والأنانية، وغيرها من الأوصاف الذميمة، ويجمّله بالحب، والمودة، والشفقة، والعطف، والحنان لجميع خلق الله، ويملأه بالإخلاص، والصدق،

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٣٨-١٣٩ .

(٢) سورة الشمس، الآية: (٩) انظر المضامين التربوية في كتاب بستان العارفين للإمام النووي - ص: ٣٨ .

(٣) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ١١٠ .

والخشية، والخوف، والتقوى لله وَعَجَلٌ، ويَجْمَلُ ظاهره بالأخلاق الكريمة التي نادى بها القرآن، وطَبَّقَهَا في سلوكه في حياته النبي ﷺ ^(١).

لذا كثيرا ما يحذّر مشايخ الصوفية من حب الدنيا، واتباع الهوى؛ دفعًا لما يتسبب منهما من البلوى بالزيف عن الهدى، فالهوى "إذا غلب العقل جعل محاسن المرء مساوئ، فيصير الحلم حقدًا، والعبادة رياء، والجود تبذيرا، والاقتصاد بُخلا" ^(٢)، "فمن كان لعنان هواه أملك، كان لسبيل رشاده أسلك" ^(٣). والدنيا دار غرور وفناء: "إذا كانت الدنيا غدارة، فما مُوجِب الطمأنينة إليها؟! وإذا كانت الأشياء غير دائمة، ففيم السرور بها؟! ^(٤):"

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعمًا
كبانٍ بنى بنيانه وأتمّه فلمّا استوى ما قد بناه تهدّمًا ^(٥)
ف"من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه، ويُهين نفسه بإكرام دنياه، وهو من هواه في ضلال، ومن دنياه في زوال" ^(٦)، وما أروع العلامة الشيخ الحاج مالك سي وأبدع إذ يصف الدنيا قائلا:

(١) حوارات الإنسان المعاصر للشيخ/ فوزي محمد أبو زيدان - ط: دار الإيمان والحياة - ص: ٧٦-٧٧ .

(٢) عنوان البيان وبستان الأذهان (مرجع سابق) ص: ٣٧ .

(٣) المرجع السابق - ص: ٢٢٥ .

(٤) المرجع السابق - ص: ١٩٩ .

(٥) المرجع السابق - ص: ١٩٥ والبيت في الإحياء للإمام الغزالي.

(٦) المرجع السابق - ص: ٥٩ .

ألا دارُ دنيا دارُ نَوَكِي وجيفة
ألا إنَّها دارُ الغرور فمن صفا
ألا إنَّما الدنيا سرابٌ بقيعة
إليه مسافاتٍ وإياه لم يجد
لأسحر من هاروت ماروت قال ذا
ألا حبُّها رأسُ الخطايا جميعها
عجوزٌ فروكٌ في ثياب عروبة
وإن أضحكت يوما ستبكي بسرعة
ألا مثلُ دود القَر من يجمعُ الدنيا
ولا تكُ ممن غرَّ من بعد غفلة
قبائحها تخفي وتبدي محاسنا
ولا تنسَ طول الدهر لا تنس ليلة
ألا آخرَ الأنفاسِ داوم بفكره
فيا أيُّها الباني محلَّ ضيافة
ستُخبرك الأيامُ أنَّك لأعْب
يُجاذبها فاحذر بتلك كليب^(١)
له العيشُ منها فالكدور عقيبُ
فيحسبه الظامي الشرابُ يجوبُ
بشيء وإنَّ الحينَ منه مُصيبُ
شفيعٌ لكل المذنبين حبيبُ
ويُلقي الدُّنا ظهرَ الورا لبيبُ
غرورُ الدُّنا الماضينَ قبلُ عجيبُ
ولا خيرَ في اللذات بعدُ لهيبُ
وللدُّود في منسوجه لتبوبُ
ويومَ ازدحامِ العالمين عصيبُ
نزوعٌ لما تُعطي الحبيب سلوبُ
صبيحتُها فيها يُعدُّ عيوبُ
ذكيُّ الحجي يومَ الفراق يهيبُ
ألم تعلمن أنَّ الجلاء قريبُ
كأنَّك يا هذا الغيُّ سليبُ

(١) يقول العلامة الإمام الشعراني رحمه الله تعالى: "والمراد بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية، بخلاف ما دعت إليه الضرورة، وذلك أن فضول الدنيا شهوات، وأهل الشهوات كثير، وإنما سمي طالب الفضول كلبا للدنيا لتعلق قلبه بها؛ لأن الكلب مأخوذ من التكلُّب، وكل من عسر عليه فراق شهوته فهو كلبها"، وكان سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى - كما في تنبيه المغترين - يقول: "الدنيا ابنة إبليس، فمن خطبها كثر تردد أبيها إليه، فإن دخل بها أقام عنده بالكلية". تسهيل المطلوب من زجر القلوب للعلامة الأستاذ عبد الله فال - ص: ٢٩ - ٣٠ .

لَعْمُرْكَ مَا يُعْنِي الْمَغَانِي عَنْ الْفَقَى إِذَا ضَمَّ أَوْصَالَ الْمَرْبِ تَرِيبُ
فِيَا وَبُحَّ فَإِنْ كَانَ يَشْتَدُّ فَانِيَا تَمَسَّكَ بِيَاقٍ لَيْسَ عَنْكَ يَغِيبُ
وَعُدَّ مِنَ الْأَمْوَاتِ نَفْسَكَ نَابِذَا وَرَاءَكَ دُنْيَا لِلَّهِ تُنِيبُ^(١)

ونلاحظ أن الشيخ رحمته الله أردف وصف الدنيا والتحذير منها بذكر الموت؛ وذلك للتنبيه إلى أن المقصود من الدنيا هو ما يفضي إلى الغفلة وعدم الاستعداد ليوم الرحيل، يقول العلامة الشيخ قاسم بن صلاح الدين الخاني الحلبي رحمته الله: اعلم أن الدنيا عبارة عن كل ما قبل الموت خيرا كان أو شرا، ولذلك استثنى منها النبي صلوات الله عليه حين ذمها ما هو خير، فقال: ((الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان لله وَعَجَلًا))، وفي رواية أخرى: ((الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم)) وفي رواية أخرى: ((الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر، وذكر الله تعالى)) وفي رواية: ((إلا ما ابْتُغِيَ فيه وجه الله وَعَجَلًا)) فهذه الأشياء التي استثناهما المصطفى صلوات الله عليه هي من الدنيا أيضا؛ لأنها وُجدت في هذا العالم، وإنما أخرجها لأنها تصحب العبد بعد الموت"، فعُلم من هذا أن كل لذة لها ثمرة بعد الموت، فهي ليست من الدنيا، بل هي من الآخرة، وأما الأشياء التي فيها لذات عاجلة، ولا ثمرة لها بعد الموت،

(١) زجر القلوب عن حب دار الخُلوْب للعلامة الشيخ الحاج مالك سي - ص: ٢ وما بعدها.

فهي الدنيا الملعونة، كالمعاصي والمباحات الزائدة على الحاجات. وبقي قسم ثالث متوسط بين القسمين المذكورين، وهو كل حظ في العاجل يُعين على أعمال الآخرة، كقدر الحاجة من المأكل والمشرب والملبس والمنكح، فهذا من القسم الأول المحمود، وهو معدود من الآخرة أيضا؛ لأنه يُعين عليها. إذا عرفت هذا، عرفت أن الدنيا هي كل شيء يشغلك عن الله وَعَبْلِكَ، وكل شيء يعينك على التوجه إليه فهو أخرى، وإن كان من حيث الصورة معدودا من الدنيا، لأنه وُجد في هذا العالم^(١).

لذا كان الإمام علي رضي الله عنه ينكر الانقطاع عن الدنيا زهدا فيها، ويرفض الانقطاع لها انشغالا بها؛ من أجل ذلك عرّف الزهد بقوله: الزهد كلمة بين كلمتين في القرآن، قال سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٢)، فمن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه. وكان يقول رضي الله عنه: للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة ينجي فيها ربه، وساعة يرم فيها معاشه، وساعة يخلي فيها

(١) السير والسلوك إلى ملك الملوك للعلامة قاسم بن صلاح الدين الخاني - تح: محمد عيد

الشافعي - ص: ٣٤-٣٥ .

(٢) سورة الحديد، الآية: (٢٣) .

بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويحمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصا إلا في ثلاث: مreme لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرم^(١). وقال العلامة الشيخ الحاج مالك سي رحمته الله في هذا المعنى:

وعاقلٌ يكون في شـيئين يسعى فلا ثالثَ دون مـيْن
حسنـة تكون للمعـادي ودرهم من المعاشي بادي^(٢)

وقال العلامة الدكتور مصطفى محمود رحمه الله: "ولو فهمنا الدين فهما صحيحا، لما كنا أقلّ حماسا لاستثمار الحاضر، ولكانت عقولنا أكثر منهم انطلاقا؛ لنزرع ونحرث في مزرعة الدنيا أكثر، لنحصد في الآخرة أكثر، فالإسلام دين علم وعمل وعقل"^(٣).

ولم يكتفوا بالتحذير عن الدنيا والتنفير عن الهوى، بل وضعوا طرقا ومناهج ربانية تُعين على التخلي عن الدسائس والردائل، بالتحلي بالنفائس والفضائل؛ لأن الإنسان لم يُرْكَب من عقل بلا شهوة كالمالك: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤)، ولم يُرْكَب من شهوة بلا عقل كالحيوان، بل رُكِب

(١) انظر مناقب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام - جمع وترتيب: السيد/ محمد علي صالح قزني - الناشر: دار جوامع الكلم - القاهرة - ص: ١٨٩ .

(٢) الموسوعة الإسلامية: المجموعة الأولى - ط: شركة بحر العلوم - قصيدة فنطرة المريد - ص: ٣٣٨

(٣) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ٣٧ .

(٤) سورة التحريم، الآية: (٦) .

من كليهما - كما قال الإمام عليّ عليه السلام - فقد يسمو عقله على شهوته فيصبح فوق الملائكة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١)، وقد تسمو شهوته على عقله فيصبح دون الحيوان: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَأَلَا نَعْمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾^(٣)، فلا بد للإنسان من موجّه يمثّل بأوامره، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ومن هذا المنطلق يقول بعض العارفين: من لا شيخ له فالشيطان شيخه. ويؤكد هذا قوله عليه السلام: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤)، وقوله عليه السلام: ﴿وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥)، فلا يجتمع الخير والشر ولا الحق والباطل؛ لذا يُنبّه العلامة الشيخ أحمد بمب عليه السلام

(١) سورة البينة، الآية: (٧) .

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٧٩) .

(٣) سورة البينة، الآية: (٦) .

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٢٧) .

(٥) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٠) .

على خطورة عدم اصطحاب شيخ مُربٍّ في السير إلى الله قائلاً:
فمن بمهمّة تصوّفٍ نزلٍ بغير تشييع مُربٍّ قد كُمل
فإنّهُ يخوضُ في لجّ الردى ولا يحييُّ منه شيءٌ أبداً
لأنّهُ يقوذه الشيطانُ والنفْسُ والهوى كما أبأُوا^(١)
والمقصود من الشيخ المربي هو من تحقّق فيه ما قاله العلامة الشيخ
الحاج مالك سي رحمته الله: اعلم أن من كان متصدّراً يُشترط:

- أن يكون له عقل يدل به إلى الهداية.
- أن يكون له الزهد في الدنيا والتقليل منها وعدم المبالاة بأهلها.
- أن يكون له السخاء والجود والكرم ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه.
- أن يجتنب الخلاعة وكثرة الضحك.
- أن يلتزم بالحلم والصبر والورع والخشوع والتواضع.
- أن يتنزّه عن دنيّ الاكتساب.
- أن يلتزم بالوظائف التي جاءت بها السنة، كقصّ الشارب،
وتقليم الأظفار، وتسريح اللحية، ونتف الإبط، وحلق العانة،
والبخور، وإزالة الروائح الكريهة.
- أن يجتنب لبس الحرير والملابس الدقة.
- أن يترك كل ما فيه بدعة ولو مباحة.

(١) تزوّد الشبّان للعلامة الشيخ أحمد بمب - عناية وتعليق: دائرة فتح الغفار بالمغرب - ص: ١٠٩

- أن يجتنب العجب والتكبر واحتقار أحد من المسلمين.
- أن يحسن الظن بكل مسلم، ويلتمس له البركة، وينظر إليه بعين الحب والاحترام.
- أن يحرص على النصيحة والإرشاد وبذل الجهد في التربية والتعليم.
- أن يحفظ حرمة الله ورسوله وأهل الاختصاص والصالحين من عباده.
- أن يُكِنَّ الرحمة لجميع الخلق مع القيام فيهم بحق الله تعالى.
- أن يتعدى عن الدعوى ظاهرا وباطنا حركة وسكونا في كل وقت وعلى كل حال.
- أن يُحْكَم أمره بالبصيرة النافذة والعلم الصحيح.
- أن لا يكون أعمى البصيرة بإرسال الجوارح في معاصي الله ﷻ، أو التصنع بطاعته ﷻ، أو الطمع في خلقه ﷻ.
- أن لا يكلم الناس مما لا تَبْلُغُهُ عقولهم؛ لأن ذلك كثيرا ما يجلب الفتنة، لأن المجالس قلما تخلو عن المنكرين، فيكون الكلام تأنيسا للعارف والمُعْتَقِدِ وفتنة للمنكرين.

قال العلامة الإمام الشاذلي رحمته الله:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظموا
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا تحيَاه بالإطماع حتى تجهما^(١)

(١) كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين للعلامة الشيخ الحاج مالك سي - ص: ٣٣ وما بعدها.

ولله در العلامة الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث يقول:

إذا لم يكن في الشيخ خمس فوائد وإلا فدجالٌ يقود إلى الجهل
بصير بأحكام الشريعة عارف ويبحث في بحر الحقيقة عن أصل
يبادر للوُزاد بالبشر والقري ويخضع للمسكين في القول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره جدير بتمييز الحرام من الحلال^(١)

ومن الآثار المترتبة على تحقُّق هذه كلّها في الشيخ:

- أن من يجالسه يشعر بنفحة إيمانية، ونشوة روحانية، فهو لا يتكلّم إلا لله، ولا ينطق إلا بخير، ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة: يُستفاد من كلامه، يُتفَع من قُربه، كما يُتفَع من بُعدِه، يُستفاد من لحظه، كما يُستفاد من لفظه.

- أن يُلاحظ في إخوانه ومريديه صورُ الإيمان والإخلاص والتقوى والتواضع، وأن يتذكّر وهو يخالطهم المثلّ العليا في ميادين الحب والصدق والإيثار والأخوة الخالصة، وهكذا يُعرَف الطبيب الماهر بآثاره ونتائج جهوده؛ حيث ترى المرضى الذين شُفوا على يديه وتخرّجوا من مَصِحِّه^(*) بأوفر صحةٍ وأتمّ عافيةٍ، علما بأن كثرة المريدين والتلاميذ وقِلَّتْهم ليست مقياسا واحدا، وإنما العبرة

(١) المرجع السابق - ص: ٢٩-٣٠ .

(*) اسم مكان من الصحة، ويمكن أن يُترجم بالفرنسية ب: poste de santé.

بصلاح هؤلاء المريدين وتقواهم وتخلّصهم من العيوب والأمراض واستقامتهم على شرع الله تعالى، والحكمة الصوفية تقول: اسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، واحذر طريق الردى ولا يغرك كثرة الهالكين.

- أن الظفر به يدفع الطالب للأخذ بيده، والتزام مجالسه، والتأدّب معه، والعمل بنصحه وإرشاده، في سبيل الفوز بسعادة الدارين^(١).

وهذا الشيخ المربي الذي تحقّق فيه تلكم الصفات الربانية، هو الذي تُسفر مصاحبته عن صلاح المريد وصفائه، بل ووصوله إلى حضرة القدس، كما شهد على ذلك العلامة الشيخ ابن عاشر صاحب "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" حيث يقول:

يُصْحَبُ شَيْخًا عَارِفَ الْمَسَالِكِ	يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكِ
يُذَكِّرُهُ اللَّهَ إِذَا رَأَاهُ	وَيُوصِلُهُ الْعَبْدَ إِلَى مَوْلَاهُ
يُجَاسِبُ النَّفْسَ عَلَى الْأَنْفَاسِ	وَيَزِنُ الْخَاطِرَ بِالْقَسْطِ
وَيَحْفَظُ الْمَفْرُوضَ رَأْسَ الْمَالِ	وَالنَّفْلَ رِجْلَهُ بِهِ يُوَالِي
وَيُكَيِّدُ الذِّكْرَ بِصَفْوِ لُبِّهِ	وَالْعَوْنُ فِي جَمِيعِ ذَا بَرٍّ بِهِ
يُجَاهِدُ النَّفْسَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	وَيَتَحَلَّى بِمَقَامَاتِ الْيَقِينِ
خَوْفَ رَجَا شُكْرٍ وَصَبْرٍ تَوْبَةٍ	زُهْدٍ تَوَكُّلٍ رِضًا مَحَبَّةً

(١) البيان الجازم أن التصوف لتزكية الإنسان نهج اللازم للدكتور/سعيد أبو الأسعاد- ص: ٢٨٩-٢٩٠ بتصرف يسير.

يَصْدُقُ شَاهِدُهُ فِي الْمَعَامَلَةِ يَرْضَى بِمَا قَدَرَهُ الْإِلَهُ لَهُ
يَصِيرُ عِنْدَ ذَاكَ عَارِفًا بِهِ حُرًّا وَغَيْرُهُ خَلَا مِنْ قَلْبِهِ
فَحَبَّهُ الْإِلَهُ وَاصْطَفَاهُ لِحُضْرَةِ الْقُدُّوسِ وَاجْتَبَاهُ

أجل، إن من علامات ومقتضيات الصفاء والقرب من حضرة القدوس، أن تسيطر هذه القدسية على سلوك العبد وتصرُّفاته، بحيث يصبح عبدا ربانيا، لا يحب إلا الله، ولا يُبغض إلا الله، ولا يرضى إلا الله - كما قال العلامة الإمام عبد الرحمن الأخضري رحمته الله -: يُكِنُّ المودة والرحمة لجميع الخلق، ويشكر ولا يكفر، ويصبر ولا يضجر؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿لَكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ﴾^(١)، ف"بقدر الفرح عند العطايا، يكون الحزن عند البلايا" و"من كثر ابتهاجه بالمواهب، اشتدَّ انزعاجه بالمصائب" و"الجزع بالمصيبة مصيبة أخرى"^(٢) - مردداً قول الشاعر:

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنِّي صَبُورٌ وَعِنْدِي الْحَادِثَاتُ هُيُونُ
وَبَاتَ يُرِينِي الْخُطْبَ كَيْفَ اقْتِدَارُهُ وَبَتْ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ^(٣)

ومستحضرا معاني قول العلامة الشيخ الحاج مالك سي رحمته الله:

أَلَا فَارِضَ مَا يَقْضِي الْإِلَهُ بِمُلْكِهِ ففِيهِ رِضَى مَنْ بِالْمُطِيعِ يُثِيبُ

(١) سورة الحديد، الآية: (٢٣) .

(٢) عنوان البيان وبستان الأذهان ص: ٣٦، ١٠٦، ٦٣ .

(٣) المرجع السابق - ص: ٦٨ والبيتان للأبيرودي من أعظم شعراء الفرس.

وما يفعل الهادي الجليلُ بخلقه فذاك جميلٌ يرتضيه مُنيبٌ^(١)

* * * * *

والأشياء طُراً قبضه الله ربنا يُصرّفها فيما يشاء قريبٌ^(٢)

* * * * *

ولا تَرْضَ غيرَ الله يوماً وكالتهُ ألا إنه كافي الأنام حسيبٌ
وإياك إياك الغضابَ لقولـه خذ العفو وأمر إن ذا لعجبٌ
وإياك قطع النظر عن نحو ربنا إلى من يُسيء كي لا يجيء عقوبٌ
أفي داره والمُلك والمَلِكِ فاعلٌ على خَلقه ما لا يشاء مصيبٌ
إذا ما ابتليتَ اصبر أو أعطيتَ فاشكرن وعافِ ظلوما إن ظلمتَ تتوبٌ
وتعظيمُ أمرِ الله حملُ أذى الورى هما موردٌ صافي الزلزالِ رغبٌ
فلا تكُ لَوّامَ الخَلِيقَةِ إنه فضول ألا إن الفضول مَعيبٌ
ألم تر أن الخلق تجري أمورهم على ما يشاء الله وهو رقيبٌ
ألا إنه يُبدي الشئونَ لخلقه لدى كلِّ يومٍ للعصاة يتوبٌ

* * * * *

ولا تنزعج إن ضاق أمرٌ فإنما تُفرّجُه إمّا صبرت قريبٌ
ألا قللِ الهِمّاتِ إن قال كن يكن وما لم يكن يأتيه ليس يصوبٌ
أمن بعد وعدِ الله ثم ضمانه وأقسامه يأتي الفؤادَ وجيبٌ
وداوم على ذكر الذي جَلَّ ذكره بذكر إلهي تطمئنُّ قلوبٌ^(٣)

وذاكرا قول العلامة الشيخ الحاج إبراهيم انياس رحمته الله:

(١) زجر القلوب عن حب دار الخلوب للعلامة الشيخ الحاج مالك سي - ص: ٢ .

(٢) المرجع السابق (زجر القلوب) ص: ١٧ .

(٣) المرجع السابق - ص: ٢١ وما بعدها.

إذا رأيتَ مَظَهَرَ الجمالِ لا تَطْغَ وارْضَ مَظَهَرَ الجلالِ
فكلُّ ذا أَمْرٍ إِلَهٍ يُسَدِّى قد جَلَّ أن يُعْتَبَ فيما أُسَدِّى
لا تتألَّمَنَّ إذا رأيتَها إذايئةَ الخَلْقِ لَذا خُلِقَتْها
أَجْرَى الأذى مِنْهُمْ لئلا تَرْكَنَّا إِلَيْهِمْ بَلْ لِلإِلَهِ فارْكَنَّا
وإن بُلِيتَ بِاشْتِدَادٍ وشُرُورِ فاصْبِرْ سيأتِيكَ انْفِراجٌ وسُرُورِ
فكلُّ ليلٍ بعده نهارٌ وكلُّ عسرٍ بعده يسارٌ
بل كلُّ عسرٍ بعده يُسرانِ كما أتى عن مصطفى العدنانِ
إذا علمتَ ذا تكونِ راضيا حُكْمَ الإِلَهِ كلَّ وقتٍ باقيا
إذا طَلَبْتَ مَطْلَبًا عَدِمَتْهُ فضَـيْرُهُ يُـدْرِى ولا دريْتَهُ
يَدْفَعُ ما يَضُرُّ لُطْفًا مِنْهُ لا تَتَّيْمُنْ إلهنا فَتُخْذَلَا
لو يعلمُ الإنسانُ ما الرحمانُ يَلْقَى الشُّرُورَ ضاحكا إنسانُ
لا تَطْلُبِ العِزَّ لَدَى الخَلْقِ بلا تعرِّزْ عند المليك لا ولا
لا تفرحْ بِأنْعَمِ أنْعَمَتْها وافرحْ بِمَنْ أنْعَمَ إن عَقَلَتْها
فكلُّ نعمةٍ تزولُ دونَ مَنْ أُسَدِّى فذاك الباقي في كلِّ زَمَنِ
لا تحقِرَنَّ مسلما لا تَذْكُرَا عيبَ امرئٍ والعيبُ مِنْكَ قد يُرى
فَرُبَّ ذي طَمَرينِ أغْبَرَ ولو أقسمَ بالمولى أبرَّ قد روؤا
لا تَضُرَّنَّ مسلما ولو ظَهَرَ ضُرٌّ على يديه دأبا فاغْتَفِرْ
فإنَّ ذا الخَلْقِ عبَادُ الله فلا تَضُرْ أخِي عبَادَ الله
ولستَ تَرْضَى مِنْ يَضُرُّ عَبْدَكَ وإن أسا فأتَقِنْ رَبَّكَ^(١)

(١) روح الأدب لما حوى من حِكْمٍ وأدبٍ، مطبوع ضمن كتاب جامع جوامع الدواوين
للمؤلف أيضا العلامة الشيخ الحاج إبراهيم انياس - ط: دار الحسام - القاهرة - ص: ١١٤ - ١١٥

فهكذا يجمع الإيمان القلوب، ويغرس الأخوة والمحبة في النفوس، ويحفظ روح التضامن والتعاون بين الشعوب، يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١)، ويقول ﷻ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، ويقول ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤). ويقول الرسول ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))^(٥)، ويقول ﷺ: ((لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَوْمِنُوا، وَلَا تَوْمِنُوا

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٣)

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٦٣) .

(٣) سورة التوبة، الآية: (٧١) .

(٤) سورة الحجرات، الآية: (١٠) .

(٥) صحيح البخاري، برقم: (٦٠١١)، وصحيح مسلم، برقم: (٢٥٨٦)، واللفظ له - موقع: الكلم الطيب.

حتى تحابُّوا، ألا أدُّلُّكم على شيءٍ إذا فعلتُموه تحابَّتم؟ أفشوا السلامَ بينكم))^(١)، ويقول ﷺ: ((لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه))^(٢)، ويقول ﷺ: ((لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))^(٣).

فالعقيدة الإسلامية "تضع النَّاسَ كلهم في مصافِّ العبودية الخالصة لله تعالى، دون الاعتبار لأيِّ فارق إلَّا فارق التقوى والعمل الصَّالح؛ إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتَّعاون والإيثار بين أناسٍ شتَّتْهم العقائد والأفكار المختلفة، فأصبح كلُّ منهم مِلْكا لأنانيته وأثرته وأهوائه"^(٤)، ف"الله لا ينظر إلى مظهر الناس وهيئاتهم وأعرافهم وطبقاتهم، بل ينظر إلى قلوبهم وحياتهم الروحية وتقواهم وزهدهم، يقول سيدنا رسول الله ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم،

(١) صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان ...

(٢) صحيح مسلم- كتاب الطهارة- باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم... : albaidha.net

(٣) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي- كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في الحسد: al-islam.com

(٤) الأخوة وفضلها- د/ محمد الرفاعي- تاريخ الإضافة: ١٤٣١/٣/٢٨ هـ - ٢٠١٠/٣/١٤ م.

<http://www.alukah.net/sharia/0/10217/#ixzz4VUjSNpXp>

ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))^(١)، والله در الإمام علي بن أبي طالب إذ يقول:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر النسب أبا لهب
قال النبي ﷺ: ((سلمان منا أهل البيت)) وقال العلامة الشيخ ابن القيم رحمه الله: "الوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه، وصهيب قد قدم بقافلة الروم، والنجاشي في أرض الحبشة يقول: لبيك اللهم لبيك، وبلال ينادي: الصلاة خير من النوم، وأبو جهل في رقدة المخلفة"^(٢)، فرباط الإيمان أمتن وأقوى من رباط النسب، ذلك الرباط الذي جمع بين المهاجرين والأنصار جمعا ما عرف التاريخ مثله، فهذا مُصعب بن عُمير يقدّم أخاه في العقيدة على أخيه في النسب؛ ففي غزوة بدر كان من بين الأسارى أبو عزيز بن عُمير بن هاشم، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه، فمرّ به أخوه مُصعب بن عمير، وهو مأسور عند رجل من الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: "اشدد يدك به؛ فإنَّ أمّه ذات متاع لعلّها تفديه منك"، ولمّا قال مصعب هذا، التفت إليه أخوه أبو عزيز قائلا: يا أخي،

(١) صحيح مسلم، باب البر، ٣٤ - انظر من البذرة إلى الثمرة تربية الأبناء وبناء شخصية

متكاملة للشيخ فتح الله كولن - ط: دار النيل - ص: ١٨٤ .

(٢) عنوان البيان وبستان الأذهان - ص: ٥٥ .

هذه وصاتك بي! فقال له مصعب: "إنَّه أخي دونك". وهذا سعد بن الربيع يعرض على عبد الرحمن بن عوف أن يشركه في بيته وأهله وماله في قسمةٍ متساوية، فيطلب منه عبد الرحمن أن يُرشدَه إلى سوق المدينة ليشغل فيها بدلا من ذلك، وكان هذا شأنَ عامَّة الصَّحابة في علاقتهم وتعاونهم خصوصًا بعد الهجرة، وبعد أن آخى النبي ﷺ فيما بينهم^(١). ورحم الله شيخنا -نموذج دراستنا- السيد محمد المنصور سي إذ يقول في بعض قصائده:

هذا هو الإسلامُ يجمعُ بيننا فالدينُ أصدقُ رابطٍ وشعارٍ

لهذا نرى أن الإسلام يناقض المبدأ الغربي القومي في مفهوم الأمة والمجتمع، فالروابط المكوِّنة للوحدة ليست علاقات الدم، ولا علاقات الأرض، ولا علاقات الجنس والعرق، ولا علاقات التاريخ، ولا علاقات اللغة، ولا علاقات الاقتصاد؛ ليست هي القرابة، وليست هي المصالح الاقتصادية، إنما هي علاقة العقيدة، فالإسلام يقرُّ تكوين الأمة والمجتمع، ولكنه يحصر مكوِّنات كلٍّ منهما في العقيدة الإسلامية والمفاهيم التي ترتبط بها من إيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ، وكذلك الأحكام الشرعية التي تنبثق عن العقيدة^(٢).

(١) الأخوة وفضلها (مرجع سابق) .

(٢) الأمة والرعية في الفقه السياسي الإسلامي: دراسة نظيرية مقارنة - ت: أ.د/ محمد أحمد علي مفتي - الناشر: شبكة الألوكة - ص: ٦ وما بعدها بتصرف.

ولهذا -أيضا- نرى أن الإسلام له نظرة خاصة للأسرة، تتعلق بالعتيدة وما تقتضيه من الامتثال للأوامر والاحتباب للنواهي، اللذين يترتب عليهما الثواب والعقاب، يقول الحق ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١)، فالأسرة في الإسلام لا تقف عند حدود الوالدين وأولادهما، بل تتسع لتشمل ذوي الرحم وأولي القربى من الإخوة والأخوات، والأعمام والعَمَّات، والأخوال والخالات، وأبنائهم وبناتهم، وصولا لعامة الناس: "إن ربكم واحد وإن أباكم واحد"^(٢)، فهؤلاء جميعا لهم حق البر والصلة التي يحث عليها الإسلام، ويَعُدُّها من أصول الفضائل، ويَعِدُّ عليها بأعظم المثوبة، كما يتَوَعَّد قاطعي الرحم بأعظم العقوبة، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطعها قطعها الله، كما في الحديث القدسي الذي رواه عبد الرحمن بن عوف قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: ((أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحْمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ))؛ لذا أمر الشارع الحكيم

(١) سورة النساء، الآية: (١) .

(٢) من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع.

بتعلّم الأنساب ومعرفة القربات التي تعين على صلة الأرحام والإحسان إليهم، قال ﷺ: ((تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأثر))^(١)، فصلة الرحم من الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت))^(٢)، فهذه الأمور الثلاثة -إكرام الضيف، وصلة الرحم، والكلمة الطيبة- تُحقّق التعاون والمحبة بين الناس؛ لذا ربطها الرسول ﷺ بالإيمان الذي من أهم مقاصده المحبة والتعاون. ورضي الله عن الشيخ محمد المنصور سي -نموذج هذه الدراسة- فقد كان من أقواله البليغة، وتعاليمه الحكيمة: صلة الرحم تتم بثلاثة أعضاء لا شعر لها: الكف، واللسان، والقدم. وصلة الرحم سبب للبركة في الرزق والعمر: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من سرّه أن يُيسّط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه))^(٣)، كما أنها من أسباب دخول الجنة: فعن النبي ﷺ

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب، رقم الحديث: ٢٠٤٥
www.alminbar.net

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، رقم الحديث: ٦١٣٨ المرجع السابق.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم - رقم الحديث: ٥٩٨٥ - المرجع السابق.

أنه قال: ((يأيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام))^(١).

وفي المقابل، فقد جاءت النصوص الصريحة في التحذير من قطيعة الرحم وعدّها ذنبا عظيما؛ إذ إنها تفصم الروابط بين الناس، وتُشيع العداوة والبغضاء، وتعمل على تفكُّك التماسك الأسري بين الأقارب، قال عليّ بن الحسين لولده: يا بُني، لا تصحبنّ قاطع رحم؛ فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواطن:

١ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، فقد جعل الله من صفات الفاسقين الخاسرين الضالين قطع ما أمر الله به أن يوصل، ومن ذلك صلة الأرحام.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٣).

(١) سنن ابن ماجه - كتاب الأطعمة - باب إطعام الطعام - رقم الحديث: ٣٢٥١ - shamela.ws

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٧).

(٣) سورة الرعد، الآية: (٢٥).

٣- قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^(١).

كما أن قاطع الرحم تعجل له العقوبة في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم))^(٢)، فهو لا يدخل الجنة؛ عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ))^(٣).

وبما أن الزواج هو الأساس الذي تنبني عليه الأسرة والنسب والرحم التي يجب صلتها، فقد حرص الإسلام على الترغيب فيه، ف"عن أنس رضي الله عنه: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (وجدوها قليلة) فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

(١) سورة محمد، الآية: (٢٢-٢٣).

(٢) سنن أبي داود- كتاب الأدب- باب في النهي عن البغي- موقع جامع السنة وشروحاتها
hadithportal.com

(٣) أخرجه مسلم. انظر مجلة الابتسامة الإلكترونية- الموضوع: مكانة الأرحام في الإسلام-
الكاتب: عادل الأسد التاريخ: ٢٤/٢/٢٠١٥م.

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" ^(١)، وقال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ^(٢).

فالإسلام يعالج تربية الأفراد من تكوين الخلية الأولى للأسرة؛ يعالجها بالزواج؛ لكونه يلبي حاجة الفطرة، ويساير أشواق الحياة، ولكونه يلحق نسب الأبناء بأبائهم، ويحرر المجتمع من الأمراض الفتاكة، والانحلال الخلقي، ويحقق التعاون الكامل بين الزوجين في تربية الأولاد، ويؤجج عاطفة الأبوة والأمومة في نفسيهما ^(٣). أجل، ربط ديننا الزواج بغايات وأهداف، لأنه ليس بالأمر الهين الممكن قيامه على الحس والعاطفة فقط، لأن هذا الأمر المهم

(١) متفق عليه.

(٢) سورة النحل، الآية: (٧٢). انظر تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان-

ط: دار السلام- القاهرة- م: ١- ص: ٢٦-٢٧.

(٣) المرجع السابق- ص: ٣٦.

إن لم يقيم على أسس سليمة، فلا يستغرب أن تكون نهايته أناسا على أبواب المحاكم، وأرامل وأطفالا لا عائل لهم، ولذا فإن الدين قد أقام من البداية سدًا لكل هذا، وحجّر على الناس الإقدام إلى مثل هذا الزواج درءًا لما بعده من السلبات، وأدرجه في قائمة الحرام والمكروه، وفضل في هذه المسألة طريق العقل والمنطق والمحكمة العقلية على الحس والعاطفة^(١). فالإسلام يحرم الزواج الذي يفضي إلى اتخاذ الشخص طرقًا للكسب غير مشروعة من أجل الإنفاق على بيته وأسرته، أو كان سيفضي إلى ارتكاب المحرمات، مثل الغش، والاختلاس، والرشوة، ومن الفقهاء من يرى هذا الحكم منطبقًا على فاقد الاتزان الذي قد يتأتى منه ظلم زوجته. ويكره الزواج الذي يُحتمل أن يوقع الإنسان في الحرام، أو يحجّره إلى الظلم^(٢).

فاهتمام الإسلام بالأسرة ودورها في تربية الإنسان المسلم يعد من الجوانب التي تنفرد بها التربية الإسلامية عن غيرها من كل أنظمة التربية الأخرى، حيث يأتي الاهتمام بالأسرة في الإسلام كمرحلة سابقة على الإنجاب ووجود الأطفال، وذلك تقديرًا لدور الأسرة المستقبلي في العديد من مجالات الحياة الإسلامية ولا سيما

(١) من البذرة إلى الثمرة: تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة - ص: ٤٤ .

(٢) المرجع السابق (من البذرة إلى الثمرة) ص: ٤٣ .

في تربية الأولاد وبناء المجتمع؛ لذا فقد حدد الإسلام من التشريعات التي نظمها الفقه الإسلامي ما يكفل قيام الحياة الزوجية على دعائم قوية، تساعد على الاستمرار وتحقيق مهام الأسرة المسلمة في الإنجاب وحفظ الأنساب وتربية الأولاد وبناء المجتمع المسلم.

ومن تلك التشريعات:

- عدم توقيت الزواج، بمعنى أن النية في عقد الزواج لا بد أن تكون على التأييد، حتى يتهيأ الجو المناسب لتربية الأولاد، ومن ثم فقد حرم الإسلام نكاح المتعة والنكاح المؤقت؛ لأنه لا يتحقق من خلاهما مقاصد النكاح، ولا سيما الاستقرار اللازم لتربية الأطفال.

- قيام الحياة الزوجية على المودة والرحمة والعشرة بالمعروف كأهم مقوم لاستمرار الحياة الزوجية، التي إن فقدته كان في ذلك إمّا: نهايتها بعد فترة وجيزة من تأسيسها، أو استمرارها مع الخلافات الدائمة والمشاجرات المستمرة، التي لها مردودها السيئ على الأطفال.

- حل الخلافات الزوجية بكافة الوسائل العلاجية التي نصّت عليها الشريعة الإسلامية، من النصح والعظة والهجر في المضاجع والضرب غير المبرح والصلح عن طريق التحكيم؛ حتى يتوقّر الجو النفسي والاجتماعي الصالح لتربية الأبناء.

- إقرار الطلاق كحل مؤقت أو نهائي إذا استحال حل المنازعات بين الزوجين بطرق الإصلاح الشرعية، وذلك حتى لا ينشأ الأطفال في جو من عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي، بعد أن تصبح الأسرة بنيانا متهالكا لا يسمح بتربية ولا يفيد في تأديب^(١).

إن الأسرة هي أهم ركن في المجتمع، وسلامة هذا الركن تعني سلامة الأمة والدولة، لذا فإن الإهمال في هذا الركن بمثابة إهمال للأمة بأسرها^(٢)، فكمال أيّ أمة أو مجتمع يبدأ من الأسرة، ومن المنزل الذي أقامه الزوجان وتعاونًا على تأسيسه، ولذا لا بد للتربية أن تبدأ من المنزل حتى يُكتب لها البقاء والاستمرارية؛ فلا يُتصوّر مجتمع فاضل دون أن يقوم المنزل على أسس تربوية^(٣)، فالأمة تتشكل من أفراد العائلة، فإن صلحت البيوت صلحت الأمة، وإن فسدت البيوت فسدت الأمة، ويا ليت الذين يرومون صلاح الأمة يبدؤون بإصلاح الأسرة والبيوت قبل أي شيء آخر، فالبيت أمة صغيرة، والأمة بيت كبير، فمن ينجح في إدارة بيت - كبيراً كان أم صغيراً - إدارةً صحيحة، ويرتفع بأفراد ذلك البيت إلى المستوى الإنساني

(١) رعاية الطفولة من منظور إسلامي للأستاذ الدكتور/ عبد القوي عبد الغني محمد - ط: دار الفكر العربي - الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م - ص: ٢٥ وما بعدها.

(٢) من البذرة إلى الثمرة - ص: ٥٩ .

(٣) المرجع السابق - ص: ٤٠ .

اللائق، يستطيع -ببذل جهد صغير- القيام بإدارة مؤسسات أكبر إدارة ناجحة^(١).

فقد أدرك الإسلام بتشريعاته الحكيمة مكانة الأسرة ودورها في تربية الإنسان المسلم الذي هو موضوع التربية الإسلامية ومحورها الأساسي، وذلك حين جعل الإسلام تربية الطفل تربية إسلامية صحيحة مسئولة دينية على الأسرة (الأب والأم معا) قبل أن تكون مسئولة اجتماعية، بدا ذلك واضحا في التوجيه القرآني والنبوي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢)، وقال ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول، فكلكم راع وكلكم مسئول))^(٣)، فسرُّ الترابط الأسري بين المسلمين هو التوصية الإلهية للزوج بإعطائه الحق الواجب لزوجته، وللزوجة بقيامها بحقوق زوجها، وبالعناية بالأطفال، وبالبر للأبوين، هكذا جعل الإسلام في تشريعاته حقوقا قانونية لكل أفراد الأسرة

(١) المرجع السابق (من البذرة إلى الثمرة) ص: ٢٠٠ .

(٢) سورة التحريم، الآية: (٦) .

(٣) صحيح البخاري- ج: ٦- كتاب النكاح- باب: "قوا أنفسكم وأهليكم نارا" - ص: ١٤٦ انظر رعاية الطفولة من منظور إسلامي- ص: ٢٤ .

نحو بعضهم البعض، وقد أكد الإسلام على هذه الحقوق والواجبات تأكيداً شديداً حتى أنه في الآيات التي أمر الله ﷻ فيها بتوحيده وعبادته ربط ذلك بالإحسان والبر إلى الوالدين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)، وجعل الله ﷻ دخول الجنة بل ورضاه مقرونا برضا الوالدين، فقال ﷺ: ((رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد))^(٢)، وقال ﷺ: ((الجنة تحت أقدام الأمهات))^(٣)، ومن هذا المنطلق يرى الشيخ محمد المنصور سي رحمه الله ضرورة ضرب الخلف على غرار السلف الصالح، ومواصلة المسيرة التي كانوا عليها، فيُحيي ويستحسن اقتفاء اللجنة الإسلامية لإصلاح قانون الأسرة في السنغال آثار أسلافهم الكرام ومشايخهم العظام، قائلا:

لا رَيْبَ هَذَا السِّفَرُ خَيْرُ وَرَاثَةٍ يُهْدِي الأبُ لَدَرْيِهِ وَوَصِيٍّ بِلْ أَنْفَسُ مَا قَدْ يُخْلَفُ أُمَّةٌ مَسْئُولَةٌ تُنْجِي الْوَرَى مِنْ غِيٍّ ف"الفرع يدل على الأصل"، ولا "يشين السلف ويهدم الشرف"^(٤)، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

(١) سورة الإسراء، الآية: (٢٣) .

(٢) رواه الترمذي وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) مسند الشهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه - انظر حوارات الإنسان المعاصر للشيخ فوزي محمد

أبو زيدان - ط: دار الإيمان والحياة - ص: ٤٨-٤٩ .

(٤) عنوان البيان وبستان الأذهان ص: ١٠٧، ص: ٤١ .

وَلَاخَوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ^(١)، ولهذا قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ثلاث في القرآن الكريم نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة منها دون الأخرى، وهي قوله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ^(٢)﴾؛ إذ لا تقبل طاعة الله مع معصية رسوله ﷺ، وقوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ^(٣)﴾، فمن ضيع الزكاة مع وجوبها عليه لم تُغْنِ عنه صلاته من الله شيئا، وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ^(٤)﴾، فمن لم يشكر لوالديه جميلهما وصنيعهما لم يشكر الله ﷻ^(٥). فقد جعل الله تعالى من كل شيء اثنين؛ لأنه ﷻ هو الفرد، ولكنه ﷻ ومن عظم شأنه أن جعل للإنسان أبا واحدا وأما واحدة، ولم يكن في الأم أو الأب تعدد، مع أن التعدد وُجد في جميع المخلوقات والمسميات، ومن أجل هذا قرن طاعتها بعبادته ﷻ، وجعل طاعته سببا

(١) سورة الحشر، الآية: (١٠) .

(٢) سورة المائدة، الآية: (٩٢)، سورة التغابن، الآية: (١٢) .

(٣) سورة البقرة، الآيات: (٤٣، ٨٣، ١١٠)، سورة النساء، الآية: (٧٧)، سورة النور، الآية: (٥٦)، سورة المزمل، الآية: (٢٠).

(٤) سورة لقمان، الآية: (١٤) .

(٥) في فضاء الثقافة: مقالات في الدين والحياة للأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة - الإصدار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ص: ١٤١-١٤٢ .

لدخول الجنة والشرك به سببا للخلود في النار، كما جعل برّ الوالدين سببا في دخول الجنة وعقوقهما سببا للخلود في النار، وجعل لنفسه جَلَّالَهُ تكليفات ليطاع بها، كما جعل للوالدين تكليفات يُبرَّان بها، فقال جَلَّالَهُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا^(١).

وبالنظر في هذه الآية نجد أن الله جَلَّالَهُ فرض طاعته لربوبيته، وفرض طاعة الوالدين لتوليتهما تربية الأبناء وتحملهما مسئوليتهم، فمن وُلِّيَ ونُصِّب جعل له سلطة السمع والطاعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ^(٢)﴾، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ^(٣)﴾ لأن الرسول ما عليه إلا البلاغ، والممثل ما عليه إلا القيام بدور ممثله، فللخليفة ما للمخلف وللوارث ما للموروث، من هنا نرى أن تربية الأبناء ورعايتهم مسئولية ربانية

(١) سورة الإسراء، الآية: (٢٣-٢٤) .

(٢) سورة النساء، الآية: (٦٤) .

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٧٩) .

وتكلفة إلهية، لذا فرض المولى ﷺ على الأبناء للآباء والأمهات تكاليفات تتمثل في نهيين: (عدم التأفف - وعدم النهر) وثلاثة أوامر: (القول الكريم - وخفض جناح الذل من الرحمة - والدعاء بالرحمة).

فقد جعل الله ﷻ للأم عرشا وسلطانا؛ فالأم تُسيطر وتُهيمن وتطاع من عرش الأمومة حتى للأنبياء؛ لقوله ﷺ في وصف سيدنا يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ وقوله ﷺ في وصف سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(١)، فلننظر جميعا ولنتنظر النساء ما ذا أعطى الله ﷻ للأم، أَيْسْتَبَدَلْ عرش الأمومة بالمساواة بالرجل الذي يجلس تحت هذا العرش، وجعله الله ﷻ تحت أقدام صاحبة هذا العرش؟!^(٢)، أجل، لقد منح الإسلام الأم منزلة عالية جدا، حتى إن محاولة منحها منازل جديدة -مقارنةً مع منزلتها في الإسلام- تهوين من شأن هذا الكائن المقدس^(٣)، فالأم هي المعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية؛ فهي التي تقوم بتعليم الأطفال وتربيتهم وتوفير السعادة والنظام في البيت، لذا فإن إعداد الأمهات كمرقيات

(١) سورة مريم، الآية: (١٤، ٣٢) .

(٢) انظر العقيدة الإسلامية وأثرها في حماية الفرد والمجتمع للواء الدكتور/ فتحي إبراهيم منصور -

ط: دار البيان - ص: ٣٥٨-٣٥٩ .

(٣) من البذرة إلى الثمرة - ص: ٥٦-٥٧ .

صالحات أساسٌ مهمٌّ من أسس بقاء الأمة ودوامها^(١)، "وإنني على قناعة تامة بأن تذكيرنا للمرأة مرة أخرى بهذا الموقع الممتاز، الذي أنعمت به عليها يدُ القدرة الإلهية، في هذه الأيام التي يتم فيها البحث عن مواقع جديدة لها خارج البيت؛ سيمنعها من التفكير في هذه الأمور التي هي في غنى عنها"^(٢)، وما أروع قول الدكتور مصطفى محمود: "إذا كان الله قد اختار المرأة للبيت والرجل للشارع؛ فلأنه عهدٌ إلى الرجل أمانة التعمير والبناء والإنشاء، في حين عهدٌ إلى المرأة أمانةً أكبر وأعظم: هي تنشئة الإنسان نفسه، وإنه من الإعظام لشأن المرأة أن تُؤمن على هذه الأمانة، فهل ظلم الإسلام النساء؟"^(٣).

مما سبق يتّضح لنا أن الإسلام يشمل جميع ميادين القيم الثرية التي هي: الدين والأخلاق، والصدقة، والحب، والعمل، والأسرة، والمال، والسياسة والتنظيمات الاجتماعية، ووقت الفراغ^(٤)، فالإسلام هو مصدر القيم الأخلاقية، والأساس في توجيه سلوك الإنسان والتمييز بين الخير والشر، وهذا ما جعل بعض الباحثين

(١) من البذرة إلى الثمرة - ص: ١٠١ .

(٢) المرجع السابق - ص: ٢٠١-٢٠٢ .

(٣) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ٣٥ .

(٤) انظر فلسفات في التربية للدكتورة نادية يوسف كمال - ص: ٥٣ .

يعرّف القيم بأنها: "عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد، والمثل العليا، التي حددها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتي توجّه سلوك الفرد، وتنظّم حياته، وتدفعه لفعل الخير واجتناب الشر؛ للوصول إلى مرضاة الله وَعَلَيْكُمْ"^(١)، كما جعل بعضهم يعرّف الأخلاق بأنها: "عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد التي حدّدها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بربه، وبنفسه، وبالأخرين، وسائر المخلوقات، على نحوٍ يحقّق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"^(٢).

نعم "الفضيلة صفة إنسانية وليست حكرا على دين بعينه، ولا على مجتمع بعينه، ولا على شخص بعينه، ولم تكن في يوم من الأيام خاصة بنا نحن المسلمين دون سوانا، ولكننا الأولى بها بكل تأكيد"^(٣)؛ ذلك أن الإيمان الذي هو أساس الإسلام ومناطق جميع تكاليفه، لا شيء مثله في غرس الأخلاق الفاضلة في النفوس والمحافظة عليها، يظهر هذا جليّا من خلال العناصر المؤثرة في العمل الأخلاقي والنمو القيمي التي من أهمها:

١) تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة (مرجع سابق) ص: ٧٥-٧٦ .

٢) المرجع السابق (تنمية القيم الأخلاقية) ص: ٧٩ .

٣) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ١٣٢ .

الفطرة: فالإنسان مفطور على معرفة الحسن والقبح، كما هو مفطور على الميل نحو الخير والحسن، ولكن لا يمكن الاتكال على المعرفة والميل الفطري للوصول إلى الكمال المطلوب؛ وذلك لأنّ عند الإنسان عناصر أخرى أقوى وأكثر تمرداً من أن تكون مقهورة بالضرورة لحكم العقل أو الفطرة، بل لحكم العادات والآداب الاجتماعية، وهذه العناصر هي: القوة البهيمية، والسبعية وطغيان الشهوات، فهي تعمي عيون الفطرة الميالة نحو الخير والعدالة عن عالم الملكوت، وتجعلها فطرة مُشوّهة ترى الباطل حقاً، والشر والشقاء خيراً وسعادة، متعلقة بالدنيا وزخارفها المادية.

المعرفة: المعرفة مقدّمة ضرورية للعمل الاختياري، فالإنسان كائن علمي وكثير من أعماله الإرادية مبنية على نوع من الإدراك والمعرفة، فهو لا يريد إلا ما يراه كمّالاً له، وعليه يتبيّن أن النمو الأخلاقي مرهون بالمعرفة الأخلاقية، وهذه المعرفة تؤدّي إلى التعرّف إلى الأعمال الأخلاقية والتمييز بين هذه الأعمال وبين نتائجها وآثارها ومبادئها.

العواطف والمشاعر: أهم ما تؤدّيه المعرفة هو أنها تنير الدرب في وجه الإنسان، ولكنها لا تكفي لتحريكه دائماً لتحقيق العمل، فهذا وظيفة العواطف، فجميع أنشطة الإنسان وفعالياته تُدار

بواسطة عاطفتي الحب والبغض، ولكن لا بد من الالتفات إلى عدم صحة الاعتقاد بأن الإنسان محكوم بشكلٍ قهري لعواطفه ومشاعره؛ لأن الإنسان عندما يتعلّق بما يحب بشدّة، يغمض عينيه ويصمّ أذنيه عن تحذيرات العقل وتنبيهاته، فتحوّل العاطفة إلى هوى، و"من أطاع الهوى ندم، ومن عصاه عُصِم":

وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا^(١)
ولله درّ الشيخ محمد البوصيري إذ يقول:

فصرف هواها وحاذر أن تؤيّه إن الهوى ما تولى يُصم أو يصم
الإرادة: الإرادة هي الحلقة الأخيرة التي تتمّ بها علّة الفعل، فهي الجزء الذي له صلة مباشرة بالعمل الإنساني، والعناصر السابقة -الفطرة، المعرفة، العواطف- ما هي إلا مقدمات تساعد على الاختيار وتولّد الإرادة عند الإنسان.

الإيمان: وهو العنصر الأهم الذي يمنع كثيرا من الانحرافات الأخلاقية، وأهمّ ضمانات التخلّق، فلا شيء يحول بين الإنسان وبين طبع الاستغلال والاستئثار وتمرّد قوى الشهوة والغضب على القوانين الاجتماعية وعلى الفطرة سوى الإيمان بالله وعجلّ، فهو عنصر حيوي لا يؤثر في الفعل الأخلاقي فحسب، بل يخضع سائر العناصر

(١) البيت لابن دريد في مقصورته. انظر عنوان البيان وبستان الأذهان - ص: ١١٧ .

لتأثيره. فدور الإيمان الأساس هو مواجهة الغفلة والجهالة، وتحويل المعرفة إلى عنصر مؤثر في السلوك عند المؤمن، كما أن الإيمان يؤدي إلى تقوية محبة الإنسان لله ﷻ، بحيث لا يُبقي هذا الحب محلاً في قلب المؤمن لأي حب مهما كان منسجماً مع أهواء النفس وميولها، ومثل هذا الشخص تزهو في قلبه محبة الله وتنير له الدرب وتدفعه نحو فعل الخيرات، ومن هنا نجد أن المؤمن يقدم على فعل الحسن دون تردد ولا استئصال له. وهذا الإيمان هو الإيمان الحق الذي يريده الله ﷻ من عباده، والذي لا يتخلف عنه أثره، لا في القلب بعروض شك أو اضطراب أو اعتراض أو سخط في شيء مما يصيبه مما لا ترتضيه النفس، ولا في خلق ولا في عمل^(١). ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾^(٢).

ويظهر -أيضاً- من خلال المسالك الثلاثة لتهديب الأخلاق التي هي:

١ - مسلك الحكماء والعقلاء: ويعتمد في تهديب الأخلاق على الغايات الصالحة الدنيوية، والعلوم والآراء المحمودة عند الناس، أي انتخاب الممدوح والمستحسن عند الناس والمجتمع، وترك المذموم

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ٦٧ وما بعدها.

(٢) سورة التغابن، الآية: (١١) .

والمستقبح عندهم، فالأساس الذي يبنى عليه هذا المسلك هو المدح والثناء الاجتماعيين، ومن ثم تنبثق منه الأخلاق الإنسانية والفطرية، وهذا هو المسلك المعهود الذي رُتب عليه علم الأخلاق، والمأثور من بحث الأقدمين من يونان وغيرهم.

٢- مسلك الكتب السماوية: ويعتمد في تهذيب الأخلاق على الغايات الأخروية الشريفة، التي هي كمالات حقيقية غير ظنية، يُتسبب فيها إلى إصلاح الأخلاق بالمبادئ، كالقضاء والقدر، والتخلق بأخلاق الله ﷻ والتذكر بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. والأساس الذي يبنى عليه هذا المسلك هو الخوف من النار أو الطمع بالجنة، وبالتالي تنتج منه الأخلاق الدينية المتعارفة.

٣- مسلك القرآن الكريم: وهذا المسلك مخصوص بالقرآن الكريم؛ لا يوجد في شيء مما نقل إلينا من الكتب السماوية السابقة، ويعتمد في تربية الإنسان وتهذيبه وصفاً وعلماً على علوم ومعارف لا يبقى معها موضوع الرذائل، فعندما تكون العزة والقوة لله جميعاً، فإن التصديق بهذا العلم لا يبقى موضوعاً لرياء ولا سمعة، ولا خوفٍ من غير الله، ولا رجاء لغيره ولا ركونٍ إلى سواه، فهاتان القضيتان إذا صارتا معلومتين للإنسان، تغسلان كل ذميمة وصفاً كان أم فعلاً، وتحلّيان نفسه ما يقابلها من الصفات الكريمة الإلهية، من التقوى

بالله أو التعزُّز بالله وغيرهما من مناعة وكبرياء واستغناء وهيبة إلهية ربانية. والأساس الذي يبنى عليه هذا المسلك هو رضا الله وَعَجَلَ ومحبته؛ لذا يُعدّ ما يصدر عنه، من الأخلاق الدينية المتعالية.

ويؤكد هذه المسالك الثلاثة قول أبي دلف العجلي:

إذا لم تُصْنِ عرضاً ولم تُخَشِ خالقاً وتَسْتَحِ مخلوقاً فما شئت فافعل^(١)
وقول أبي تمام:

إذا لم تُخَشِ عاقبة الليالي ولم تَسْتَحِ فافعل ما تشاء
فلا والله ما في الدين خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء^(٢)
ف"من أيقن بالمجازاة لم يعمل سوءاً"، و"من قلّ حياؤه كثر ذنبه"^(٣).
وقول العلامة الإمام الشافعي رحمته الله:

تَعَصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَّاسِ بِدِيعِ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

فالمسلكان الأوَّلان مبنيان على معالجة الرذائل ورفعها، أما المسلك الثالث والأخير فإنه يقوم على الحيلولة دون ظهورها، وذلك في ظل عقيدة التوحيد التي تُحصِّن القلب من التلوُّث بالرذائل إثر تحلّيه

(١) عنوان البيان وبستان الأذهان - ص: ٥٧ .

(٢) المرجع السابق (عنوان البيان) ص: ٨٨ .

(٣) المرجع السابق - ص: ٣٣، ١٢٠ .

بالمعارف الإلهية، حيث يتعدّى التقوى بالقلب دور الحراسة والرقابة -الذي يعطي الإنسان قدرة على حفظ نفسه عند عروض الوسوسة عليه؛ كي لا تنزل قدمه عند ما يمسه طائف من الشيطان، ويتيح له القدرة على التراجع وجبران ما فات وإصلاح ما أفسده إذا تورط في مخالفة- إلى دور الوقاية الذي يبعد الإنسان عن الأفكار التي قد تؤدي به إلى ارتكاب الذنب، ويمنحه حصانة روحية وأخلاقية تمنعه عن التلوث بالمعصية حتى لو توفرت كل دواعي المعصية وأجوائها، وهذه الدرجة العليا من التقوى هي التي تتوفر عند الخواص والمقربين، وقد يجد بعض درجاتها المؤمنون من أهل الدرجات الأدنى.

ورحم الله العلامة الدكتور مصطفى محمود إذ يقول: "لأن الشيطان مخلوق من النار؛ فلا مدخل له على الإنسان إلا إذا تهابط إلى المرتبة النارية من نفسه، -وهي مرتبة الشهوة، والجوع، والغضب، والحقد، والحسد، والغل- حينئذ يمكن أن يتم التواصل بين الاثنين بحكم المجانسة؛ فيستطيع الشيطان أن يوصل إلى الإنسان وسوساته، وأن يؤجج شهواته، ويؤشعل غضباته، ولكنه يظل معزولا عنهم في المراتب الروحية العالية بحكم عدم التجانس؛ فهو لا يستطيع أن يوصل إليهم وسوسته"^(١).

(١) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود- ص: ٣٨ .

كما أن أول المسالك يدعو إلى الحق الاجتماعي، وثانيها يدعو إلى الحق الواقعي والكمال الحقيقي الذي فيه سعادة الإنسان في حياته الآخرة، وثالثها يدعو إلى الحق الذي هو الله الأحد الفرد الصمد. فمسلك القرآن هو أعلى المسالك وأشرفها في مجال التخلّق وتهذيب الأخلاق، فهو مبني على مراتب عالية من الإيمان والمحبة الخالصة للمولى عجل الله فرجه - وليس على المدح والثناء الاجتماعيّين، ولا على الخوف من النار أو الطمع بالجنة-؛ وبالتالي التخلّق بأخلاقه الحسنى، والاتصاف بصفاته العليا، والعبودية المحضة لله عجل الله فرجه، الأمر الذي لا يتوفّر عليه جميع الناس^(١)، وهذا حقيقة ثابتة نراها جلية في حديث عروة عن سيدتنا عائشة - رضي الله عنها - قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله! أتصنع هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟))^(٢).

كما يظهر هذا الفرق والتميّز في شمولية تربية الإسلام وعمق قيمه: فالتربية الإسلامية تربط التربية بثلاثة أقطاب هي:

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ٨٧-٨٩ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - ١٨ - باب إكثار الأعمال والاجتهاد في

العبادة - حديث رقم ٢٨١٩ - جامع السنة وشروحها: www.HADITHPORTAL.COM .

- ١- قطب الفرد، وهو الذي تتمسك به التربية الذاتية.
 - ٢- قطب الجماعة، وهو الذي تتمسك به التريبات الاشتراكية الجماعية.
 - ٣- ولكن الفرد والجماعة في الإسلام خاضعان لما هو أكبر منهما، وذلك هو الخالق البارئ المصور.
- لذا فمنظومة القيم الإسلامية تشمل الأحكام العقدية، وأحكام العبادات والمعاملات، والأخلاق الراقية المضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية، ولهذا نرى أن فقهاء المسلمين لم يفردوا أبوابا خاصة بالقيم؛ وذلك أن القيم الإسلامية هي الدين ذاته، فهي الجامع للعقيدة، والشريعة، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، ومنهاج الحياة، والمبادئ العامة للشريعة^(١).
- وتُقسّم القيم في ضوء النظرة إلى الإنسان على ثلاثة أقسام هي:

- ١- قيم متصلة بعلاقة الإنسان بربه.
- ٢- قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه.
- ٣- قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين.

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١١١، ١١٤ .

وقد تم تحديدها في ستة أبعاد:

أ- البعد الروحي، ويشمل: التوحيد، الصلاة، التقوى، الخشية، الرجاء.
ب- البعد الحيوي، ويشمل: رعاية الجسم، قوة الجسم، الإشباع، عمران الحياة، السعي للرزق.

ج- البعد العقلي، ويشمل: النشاط، التفكير، التعلم، التعليم.

د- البعد الانفعالي، ويشمل: المحبة، الرضا، الأمل، الاعتدال.

هـ- البعد الاجتماعي، ويشمل: الأخوة، الدعوة، المعاملة، المسؤولية، التعاون.

و- البعد السلوكي، ويشمل: الإحسان، الأمان، الصدق.

كل هذا يفيد بأن الإسلام يشتمل على منظومة قيمٍ تربوية، تُعنى بصيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية:

- حفظ الدين، والقيم التي تعبّر عن هذا المقصد هي تلك المتعلقة بصلة الإنسان بربه.

- حفظ النفس، والقيم التي تعبّر عن هذا المقصد هي تلك المتعلقة بصلة الإنسان بنفسه، ودفع المظالم عن نفوس الآخرين.

- حفظ العقل، والقيم التي تعبّر عن هذا المقصد هي تلك المتعلقة بالعقل، كالتعلم، والتفكير، والاجتهاد.

- حفظ النسل والعرض، والقيم التي تعبّر عن هذا المقصد هي تلك المتعلقة بنظام الزواج وضوابطه ومقاصده، وصلة الإنسان بغيره على وجه العموم.

- حفظ المال، والقيم التي تعبّر عن هذا المقصد هي تلك المتعلقة بتنظيم أوجه التصرف بالمال والأشياء والمكاسب^(١).
ولله در القائل:

قد أجمع الأنبياء والرسل قاطبةً على الديانة بالتوحيد في الملل
وحفظ نفسٍ ومالٍ معهما نسبٌ وحفظٌ عقلٍ وعرضٍ غيرٌ مبتذلٍ^(٢)
وهذا ما يؤكد حديث الرسول ﷺ الذي رواه أبو هريرة رضي عنه:
((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا))
وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ
أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ"^(٣).
ورحم الله العلامة الإمام الشافعي إذ يقول:

إذا شئت أن تحيا ودينك سالم وجأهك موفورٌ وعرضك صيّنٌ
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فعندك عورات وللناس ألسن

(١) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٢٠-١٢٣ .

(٢) كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين - ص: ٨٤ .

(٣) أخرجه أحمد - ج: ٢ - ص: ٢٧٧ - رقم: ٧٧١٣، ومسلم - ج: ٤ - ص: ١٩٨٦ - رقم: ٢٥٦٤، وأخرجه أيضاً البيهقي - ج: ٦ - ص: ٩٢ - رقم: ١١٢٧٦: منتديات رسالة الإسلام.

وعينك إن أبدت إليك معايها فصنّها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكنّ بالتي هي أحسن
ورحم ﷺ العلامة الشيخ زروق حيث يقول: فهذه الأبيات جامعة
لجميع ما يؤلم القلوب بطريق الاجتناب، فمن عمل عليها سلم من هذه
الآفات التي أصلها كلها التجسس عن أخبار الناس، وسوء الظن بهم^(١).

فالقيم الإسلامية تتميز بخصائص تميّزها عن باقي القيم والفلسفات
الوضعية، فهي: ربانية المصدر؛ مصداقا لقوله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).
وربانية المنهج؛ مصداقا لقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).
وربانية الهدف؛ مصداقا لقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤). كما أنها تتميز ب:
- التوازن والوسطية بين مطالب الروح والآخرة، واحتياجات الجسد
والحياة الدنيا- الشمولية والعمومية- الإيجابية والإنسانية- الثبات
والاستمرارية- الوضوح والبساطة- العمق والواقعية^(٥).

(١) تربيّتنا الروحية للدكتور سعيد حوى- ط: دار السلام- القاهرة- ص: ٢١٢-٢١٣ .

(٢) سورة النحل، الآية: (٨٩) .

(٣) سورة يوسف، الآية: (١٠٨) .

(٤) سورة الذاريات، الآية: (٥٦) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية- ص: ١٢٤ .

(٥) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية- ص: ١٢٥ وما بعدها، ص: ٢٢٦ .

من هنا يتّضح أن للأخلاق في الإسلام مكانةً خاصةً ومنزلةً عاليةً، فهي لبّ الدين وجوهره، فقد سئل ﷺ ما الدين؟ قال: "حسن الخلق"^(١)، فمن جوانب العظمة في الدين الإسلامي أنه ما ترك فضيلة من الفضائل، ولا خصلة من خصال الخير تقربنا من رحمة الله ﷻ وجنته ورضوانه، إلا وأمرنا بها ورغبنا فيها، وما ترك خُلُقًا ذميماً، ولا خصلة من خصال الشر تبعدنا عن رحمة الله ﷻ إلا ونهانا عنها وحذّرنّا منها، فهو دين يجمع بين القيم والمثل الإنسانية الرائعة، التي تُجسّد الصورة المثلى للأخلاق الفاضلة^(٢).

يَتَمَخَّضُ عما سبق، أن الركيزة الأهم في بناء الأخلاق هي الإيمان والعقيدة، ولكن ليس الأمر اعتقاداً فحسب، فالعقيدة إن لم تُدعّم بالتطبيق العملي، ولم يسلك الإنسان طريقاً يقتضيه إيمانه، فستظل العقيدة مجرد قناعة ليس إلّا، وهذا أمر يجعل العقيدة غير موجّهة للفرد ولا مؤثرة في حياته الشخصية والأسرية والاجتماعية؛ ولذا لا بدّ أن تكون عقيدة الفرد والمجتمع متينة جداً حتى تحفظهما قوة الإيمان من شتى الأحاسيس المضلّلة، فلا خير يُرجى من عائلة أو مجتمع أو أمة تتشكّل من أفرادٍ مذبذبين بين الإيمان وعدمه^(٣)،

(١) رواه مسلم. الإسلام يتحدث عن نفسه - ص: ١٦ .

(٢) المرجع السابق - ص: ١٤ .

(٣) من البذرة إلى الثمرة - ص: ٣٨، ٣٩ بتصرف .

ف"تراجع القيم الخلقية والدينية، وسيادة مبدأ المصلحة والمكسب، وغلبة مبدأ القوة، وتحكم الهوى في الناس، يؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية، فالقيم هي التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، بينما المصالح تفرقهم، والأهواء تشتتهم"^(١)؛ لذا لما كان قانون الأحوال الشخصية غير ملائم لاختيار قيم أغلب الشعب السنغالي الذين يدينون بالدين الإسلامي، قام الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله بهذه المبادرة؛ إنقاذاً لهذه الأمة الغراء من تلك الفتن والويلات، وهنا تتجلى علاقة المضامين (المثل - القيم - الأخلاق - الدين - الأمة - المجتمع - الأسرة - الأم - الذرية) بالعنوان (المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء)؛ فالحفاظ على هذه المضامين هو الحفاظ على الدين، وإهمالها هو إهماله بعينه، والمصيبة كل المصيبة في الإعراض عن الدين، ف"من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم":

كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا إِنَّ أَسْعَفَ الْمَرْءِ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانٌ
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ^(٢)
فالتدوين ضرورة اجتماعية، إنه الماء والهواء بالنسبة لهذا الزمان المنكود^(٣).

(١) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ٩٢ .

(٢) عنوان البيان وبستان الأذهان - ص: ٥٥، المقولة من أقوال الأحنف، والشعر من أشعار أبي الفتح البستي.

(٣) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ١٢٢ .

المبحث الثالث: المضامين التربوية المتعلقة بجانب التوجيه والإرشاد:

رأينا في المبحث السابق كيف شخّص الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله المشكلة وحددها، وذلك حين كان -رحمة الله عليه- يقول: "قد وضع الرئيس سنغور في أيامه قانون الأسرة وباركته حكومته، ولكن ذلك القانون لا يلائمنا نحن المسلمين؛ لأنه ما أخذ بعين الاعتبار اختيار المجتمع ومثله وقيمه الأخلاقية والدينية". وفي هذا المبحث نريد أن نكشف اللثام عن الحل الذي طرحه رحمته الله، وما يحمله من المضامين التوجيهية والإرشادية، التي يمكن تصنيفها على النحو التالي: (الرجاء - الاهتمام - التطبيق - العمل - الالتزام - التعاليم - التوصيات). وفيما يلي بيان كلٍ بالتفصيل:

• الرجاء:

الرجاء لغة: الطمع فيما يمكن حصوله، ويرادفه الأمل، ويستعمل في الإيجاب والنفي، قال الله عز وجل: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(١). واصطلاحاً: تعلّق القلب بحصول محبوب في المستقبل^(٢).

(١) سورة النساء، الآية: (١٠٤) انظر الكليات للعلامة أبي البقاء الكفوي، ص: ٣٩٢

(٢) التعريفات للعلامة علي الجرجاني.

• الاهتمام:

الاهتمام لغة: من اهتمّ، والثلاثي منه هَمَّ، يقال: اهتم الرجل بالأمر: عُنِيَ بالقيام به. والهم أول العزيمة^(١). قال العلامة عليّ الجرجاني: الهم: عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر^(٢). واصطلاحاً: اتجاءً نفسيّ إلى تركيز الانتباه حول موضوع معيّن^(٣).

• التطبيق:

التطبيق لغة: من فعل طَبَّق، والطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطّيه، من ذلك: طَبَّقَ الحقّ، إذا أصابه، ومعناه: وافقه حتى صار ما أراده وفقاً للحق مطابقاً له، ثم يحمل على هذا حتى يقال: طَبَّقَ، إذا أصاب المفصل ولم يخطئه^(٤)، ف"تطبيق الشيء على الشيء جعله مطابقاً له، بحيث يصدق عليه"^(٥).

(١) المعجم الوسيط - باب الهاء.

(٢) التعريفات للجرجاني.

(٣) معجم المعاني الإلكتروني.

(٤) انظر مقاييس اللغة لابن فارس.

(٥) الكليات لأبي البقاء الكفوي - ص: ٤٩٣ .

واصطلاحاً: إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوها^(١).

• العمل:

العمل لغة: من عمل: فعل فعلاً عن قصد^(٢).

واصطلاحاً: المسؤولية المترتبة على الفرد للقيام بمهمة معينة تُلزم تطبيق مجموعة من النشاطات المهنية، أو الإدارية، أو المكتبية، أو الميدانية^(٣).

• الالتزام:

الالتزام لغة: من التزم، والثلاثي منه لزم، و"اللام والراء والميم أصل واحد صحيح، يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً"^(٤)، فالالتزام يطلق على الاستمساك والاعتناق والالتصاق؛ عن الصحابي

(١) المعجم الوسيط - ص: ٥٥٠ .

(٢) المرجع نفسه - ص: ٦٢٨ .

(٣) للعمل تعريفات اصطلاحية أخرى، منها: "الجُهد الجسديّ الذي يقوم به الإنسان من أجل تحقيق هدفٍ مُعيّن يعود عليه بالنفع". "الواجبات المترتبة على الأفراد في مهنة ما، ويجب عليهم تطبيقها بطريقةٍ صحيحة؛ حتى يحصلوا على عوائد ماليةٍ مُحددة بفترة زمنيةٍ مُعيّنة" انظر موقع موضوع، بواسطة: مُحمّد أبو خليف - ٢٩ نوفمبر ٢٠١٦ م.

(٤) مقاييس اللغة للعلامة ابن فارس.

الجليل عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قال: "أصبتُ جِراباً من شحمٍ يوم خبير، قال: فالتزمته فقلتُ لا أعطي اليوم أحداً من هذا شيئاً، قال فالتفتُ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متبسماً"^(١). ويطلق على الفرض والإيجاب؛ تقول: التَّزَمَ الشيءَ. أي: فرضه على نفسه^(٢). ويطلق (لزم) على المداومة والمواظبة على الشيء أو المصاحبة له: ففي الحديث: ((من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب))^(٣)، وفي الأثر: "كانت عائشة -رضي الله عنها- إذا عملت عملاً لزمته"^(٤).

واصطلاحاً: واجبٌ ثابت يستلزم من الشخص القيام به والمداومة عليه لمصلحة معينة هو المسؤول عنها، ولا يمكنه تركها أو التخلف عن أدائها، مثل الالتزام بإعطاء شيءٍ ما، أو أداء عمل^(٥).

(١) رواه مسلم. وقوله: "فالتزمته" أي: عانقته وضممته إليّ. وقد قال العلامة الطيبي رحمته الله: في قوله: "اليوم" إشعار بأنه كان مضطراً إليه، وبلغ الاضطرار إلى أن يستأثر نفسه على الغير، ولم يكن ممن قيل فيه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ومن ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر موقع المكتبة الإسلامية.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه.

(٤) انظر شبكة الألوكة.

(٥) موقع موضوع، بواسطة: ياسمين عدنان أبو سالم - ٢٨ يناير ٢٠١٦م.

• التعاليم:

التعاليم لغة: جمع تعليم، والعين واللام والميم أصل واحد، يدل على أثرٍ بالشيء يتميّز به عن غيره. من ذلك: العلامة، يقال: علّمتُ على الشيء علامة. والعلم: الرؤية، والجمع أعلام. والعلم: الجبل، وكل شيء يكون معلّماً: خلاف المجهّل. والعلم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة^(١). فالعلم في اللغة يطلق على الدلالة، والإشارة، والعلامة، والشعور، والأثر الذي يستدل به^(٢).

والعلم اصطلاحاً: يطلق على ثلاثة معان بالاشتراك:

- ١ - يطلق على نفس الإدراك (حصول صورة الشيء في العقل).
- ٢ - يطلق على الملكة المسماة بالعقل في الحقيقة. وهذا الإطلاق باعتبار أنه سبب في الإدراك، فيكون من إطلاق السبب على المسبب.
- ٣ - يطلق على نفس المعلومات، وهي القواعد الكلية التي هي مسائل العلوم المركبة. وهذا الإطلاق باعتبار متعلق الإدراك؛ إما على سبيل المجاز أو النقل^(٣).

(١) انظر مقاييس اللغة.

(٢) انظر موقع موضوع، بواسطة: كفاية العبادي - ٣ يناير ٢٠١٦ م.

(٣) الكليات - ص: ٥١٨-٥١٩ .

فالمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلق وهو المعلوم، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة، فأطلق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية، أو اصطلاحية، أو مجازاً مشهوراً^(١).

فالعلم -إذا- يطلق على مجموع مسائل وأصول كَلِيَّة تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام، وعلم النحو، وعلم الآثار...^(٢). وهذا المعنى هو المقصود من التعاليم (تعاليم الإسلام).

• الوصية:

الوصية لغة: ما يُوصَى به، وأصلها يدل على وصل شيء بشيء، يقال: وطئنا أرضاً واصمة، أي: إنَّ نبتها متّصل قد امتلأت منه. ووصيتُ الليلة باليوم، أي: وصلتها في عمل. فكأن الوصية كلام يوصى أي يوصل. يقال: تَوَصَّى القوم: أوصى بعضهم بعضاً وأَوْهَمَ آخرهم. وسميت وصية الميت وصية؛ لأنه يصل تصرّفه بعد الموت بتصرّفه حال الحياة. وتطلق الوصية على العهد؛ لأنَّ العهد مما ينبغي الاحتفاظ به، يقال: أوصى فلاناً: عهد إليه. ووصَّى الله الناس

(١) المرجع السابق - ص: ٥١٥ .

(٢) المعجم الوسيط.

بكذا: أمرهم به وفرضه عليهم. فالوصية إذاً إيصال شيء أو مهمة إلى آخر على وجه فرض وإلزام نظراً لمهمتها لدى الموصي^(١).

واصطلاحاً: إلزام شيء من مال أو منفعة لأحد بعد الموت، بأن يجعل الموصي الموصى له مالاً له بعد موته، أو يفوض التصرف في ماله ومصالح أطفاله إلى الموصى إليه بعد وفاته^(٢).

وهذه الوصية هي المتعلقة بالأمور المادية والمرتبطة بالوفاة، كما في قوله ﷺ في الوصية للوالدين والأقربين: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وقوله ﷺ في الوصية للزوجة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾^(٤)، وقوله ﷺ في الميراث: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٥).

وقد تكون الوصية غير متعلقة بالأمور المادية ولا مرتبطة بالوفاة،

(١) انظر: مقاييس اللغة - المعجم الوسيط - alkafeel.net/islamiclibrary/public/prophetwill/02.html

(٢) كشف اصطلاحات الفنون لمحمد أعلى بن علي التهانوي - ط: دار صادر - بيروت - ج:

٣ - ص: ١٥٢٥-١٥٢٦ بتصرف.

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٨٠).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٤٠).

(٥) سورة النساء، الآية: (١١).

كالوصية بالتقوى في قوله ﷺ، الذي يتبين فيه أن الوصية بتقوى الله لم تكن قاصرة على الرسول ﷺ والذين آمنوا معه فقط، بل كانت أمراً من الله لأهل الكتاب السابقين لنزول القرآن: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾^(١)، والوصية باجتناب المحرمات التي هي الوصايا العشر المذكورة في ثلاث آيات متتالية في سورة الأنعام، وهي قوله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢)،

(١) سورة النساء، الآية: (١٣١).

(٢) سورة الأنعام، الآيات: (١٥١-١٥٣).

والوصية بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة التي أوصى بها الله ﷻ نبيه عيسى عليه السلام، ونطق بها وهو في المهد؛ دلالة على الفطرة السليمة التي فطر الله الأنفس عليها وقت الخلق: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(١)، والتواصي بالحق والصبر في قوله ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٢).

وهذا النوع المتعلق بالمعنويات هو المتصل والمقصود بدراستنا، فلما كانت تعاليم الإسلام عادلة ومقدسة لا ظلم ولا هضم فيها لحق أحد، ولا نقص ولا عيب؛ لأنها من العدل القدوس، كانت وصية يجب تنفيذها؛ فكل وصية عادلة لا ظلم فيها ولا هضم لحق أحد، يجب تنفيذها.

وبعرض شيء من أحكام الطلاق والميراث وخاصة ميراث المرأة في الإسلام، ومقارنتها بالتشريعات والأنظمة الأخرى، يتبين مدى عظمة الإسلام ودقته وعدالته؛ ذلك لأنه من لدن حكيم خبير، خالق الخلق، العالم بما يناسب فطرتهم من الأحكام والتشريعات،

(١) سورة مريم، الآية: (٣١، ٣٢).

(٢) انظر الوصية في القرآن - نجلاء محمد - موقع أهل القرآن - الجمعة ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦ م.

قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).

فما من ملة أو مبدأ أو قانون شرقيا كان أم غربيا، أنصف المرأة، ورفع قدرها على النحو الذي يضمن حقها، ويفرض احترامها ويحفظ كرامتها، ويتناسب مع فطرتها وتركيبها الجسدي والوظيفي، كما أنصفها الإسلام. ولا يسع المنصف صاحب البصيرة والدراية وصاحب الدراسة والتجربة إلا أن يقرّ بهذه الحقيقة، وأن لا عزّة للمرأة إلا بما أقرّه الإسلام لها من الأحكام والتشريعات^(٢). والله درّ العلامة الشيخ محمد عبده حيث يقول: "هذه الدرجة التي رفع النساء إليها، لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده"^(٣)، فقد كانت المرأة قبل الإسلام تعاني من الدونية واحتقار دونيتها في المجتمع، فهم لا يورثونها بل اعتبروها متاعا يُورث، فكان الوارث يأتي ويلقي ثوبه على أرملة أبيه ثم يقول: ورثتها كما ورثتُ مال أبي. فإذا أراد أن يتزوجها تزوّجها بدون مهر، أو زوّجها من أراد، وتسلم مهرها ممن يتزوجها، أو حبر عليها لا يزوّجها ولا يتزوجها، فمنعت

(١) سورة فصلت، الآية: (٤٢).

(٢) انظر أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي: رسالة ماجستير للباحث/ عادل إبراهيم

عورتاني - جامعة النجاح الوطنية - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - ص: ٦ .

(٣) العقيدة الإسلامية وأثرها في حماية الفرد والمجتمع - ص: ٣٣٠ .

الشريعة الإسلامية هذا الظلم حين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ^ط وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾^(١)، وكانت المرأة قبل الإسلام تُكره على البغاء، فجاء الإسلام ونزل قوله ^{جلالة}: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾^(٢)، وكان الرجل في الجاهلية يتزوج ما شاء من النساء، فأبطل الإسلام ذلك، ونزل قوله ^{جلالة}: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^(٣)، وكان المولود الأنثى في الجاهلية يُقتل حيا، قال ^{عنه}: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ^{يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ} ^{أُيمِسُّهُ} ^{عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴾^(٤)، وقال ^{عنه}: ﴿وَإِذَا أَلْمُوءَدَةُ سُئِلَتْ﴾^(٥)، ولم تكن للمرأة ذمة مالية مستقلة، فجاء الإسلام فأعطاهم حقها في امتلاك المال، وجعل لها ذمة مالية

(١) سورة النساء، الآية: (١٩) انظر مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ٢٥٠، وأحكام ميراث

المرأة في الفقه الإسلامي - ص: ٨ .

(٢) سورة النور، الآية: (٣٣).

(٣) سورة النساء، الآية: (٣).

(٤) سورة النحل، الآية: (٥٨، ٥٩)

(٥) سورة التكوين، الآية: (٨).

خاصة بها، وجعل لها ولاية على نفسها، وأصبحت ترث ضمن نظام الإرث الإسلامي العادل^(١)، قال ﷺ: ﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾^(٢)، فقد نص القرآن الكريم هنا على حق الرجال فيما ترك الوالدان والأقربون، مع أنه كان معمولاً به في أنظمة أهل الجاهلية؛ وذلك لتقرير حق النساء في التركة، وتأكيد مساواتهن للرجال في مبدأ التوريث، فعطف النص على نصيب النساء من التركة على النص الذي يقرر نصيب الرجال فيها، يُعلن عن جعل حق النساء في الميراث أمراً لا مرية فيه كما أن حق الرجال كذلك، والحقان في لسان القرآن سواء؛ كلُّ منهما أصيل في تقديره ومقتضياته وآثاره، ليس حق النساء فرعاً أو تابعا أو لاحقا لحق الرجال: ﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وكان من الممكن الاكتفاء بعود الضمير عليه، كأن يقال: وللنساء نصيب منه^(٣).

إن الإسلام عالج مسألة ميراث المرأة بشكل رائع، حيث حدّد لها نصيبها في كل مسألة إرثية بما فيه تحقيق العدالة والمساواة،

(١) مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ٢٥٠-٢٥١ .

(٢) سورة النساء، الآية: (٧).

(٣) العقيدة الإسلامية وأثرها في حماية الفرد والمجتمع - ص: ٣٣٥ بتصرف بسيط.

وبالبحث في ميراث المرأة، نجد أن القرآن الكريم يورثها عن طريق الفرض غالباً وليس التعصيب، وما ذلك إلا لحكمة أرادها الله وَعَلَّكَ تتجلى فيها النظرة الخاصة للمرأة:

أ- تكريماً بأن جعل أصحاب التعصيب لا يأخذون إلا ما يتبقى بعد أصحاب الفروض.

ب- وإنصافاً حتى لا يجرؤ الذكور على التلاعب بأنصبة النساء أو حرمانهن مما لهنّ.

هكذا رفع الإسلام بنوره وعدله عن المرأة ما لحق بها من البغي والإجحاف، وأقرّ أنها إنسان كالرجل، لها من الحقوق ما لا يجوز المساس به أو نقصانه، كما عليها من الواجبات ما لا ينبغي التفريط أو التهاون به، قال وَعَلَّكَ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، وقال ﷺ: ((إنما النساء شقائق الرجال))^(٢)، كما قرر أن الأفضلية في ميزان الله جَلَّالَهُ لأتقاهما ذكراً كان أو أنثى، فالذكورة والأنوثة وصفان لا اعتبار لهما في ميزان الآخرة، إنما العبرة بالإيمان والعمل الصالح، قال جَلَّالَهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣)، وقال

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٢٨).

(٢) الترمذي- كتاب الطهارة- باب ما جاء فيمن يستقيظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً- الموقع الرسمي للإمام ابن باز.

(٣) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

وَعَلَّكَ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(١).

وبمقارنة سريعة بين نظام الإسلام في الميراث وخاصة ميراث المرأة، وبين الشرائع والأنظمة القديمة والحديثة، نجد:

١- أن الذي تولى أمر تقسيم التركات في الإسلام هو الله ﷻ وليس البشر، فكانت بذلك من النظام والدقة والعدالة في التوزيع، ما يستحيل على البشر أن يهتدوا إليه لولا أن هداهم الله، قال ﷻ: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢).

٢- أن الإسلام لم يحرم المرأة والأطفال من الميراث، بخلاف نظام اليهود الذي كان يتميز بحرمان الإناث من الميراث، سواء كانت أمًّا أو أختًا أو ابنة أو غير ذلك إلا عند فقد الذكور، فلا ترث البنت مثلاً إلا في حال انعدام الابن، وبعكس ما كان عليه الأمم الشرقية القديمة^(*)

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩٥).

(٢) سورة النساء، الآية: (١١).

(*) ونعني بهم الطورانيين والكلدانيين والسريانيين والفينيقيين والسوريين والأشوريين واليونانيين وغيرهم ممن سكن الشرق بعد الطوفان الذي كانت أحداثه جارية قبل ميلاد المسيح عليه السلام. انظر أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي - ص: ٧

والعرب في الجاهلية؛ حيث كان الميراث عندهم خاصا بالذكر والقادرين على حمل السلاح والذود، دون النساء والأطفال.

٣- أن الإسلام نظر إلى الحاجة فأعطى الأكثر احتياجا نصيبا أكبر من الأقل احتياجا؛ ولذلك كان حظ الأبناء أكبر من حظ الآباء، لأن الأبناء مقبلون على الحياة والآباء مدبرون عنها؛ ولذلك -أيضا- كان للذكر مثل حظ الأنثيين في معظم الأحيان، فلا شك أن الابن الذي سيصير زوجا باذلا لمهر زوجته، منفقا عليها وعلى أولاده منها، أكثر احتياجا من أخته التي ستصير زوجة تقبض مهرها، ويرعاها وينفق عليها زوجها؛ لذا فمبدأ المساواة المطلقة بين الذكور والإناث في الميراث كما هو الحال في القانونين الفرنسي والروماني، مبدأ يرفضه الإسلام تجسيدا لمطلب العدل والتوازن الاجتماعي؛ قال ﷺ: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ^(١)﴾؛ ولهذا نجد أن الله ﻋَﻠَﻤَ جعل آدم هو القائد والدليل لحواء، وجعلها تابعة له لأنها زوجته، حين وجه إليه الخطاب فقال: ﴿يَعَادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ بينما نجد الخطاب بالثنية بدلا من العطف في قوله ﷺ: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ^(٢)﴾

(١) سورة النساء، الآية: (١٧٦) انظر أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي - ص: ١٢ وما بعدها.

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ... ﴿٣٦﴾؛ وذلك إشارة إلى ما لكلٍ من الإرادة في الأكل، والامتناع، والمساواة في التكليف للعبادة، ومن ثم تحمّل تبعه الخطأ، وهنا نفهم أن الزوج مسئول عن التبليغ والتعليم والتوجيه، وليس مسئولا عن خطأ امرأته، فرغم خطأ آدم وحواء وسيطرة الشيطان على كل منهما منفردا، إلا أن الله لقن آدم طريق التوبة ولم يلقيه لحواء، لأنه القائد والمعلم: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، فالرجل هو المسئول والراعي لزوجته وأسرته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢)، وقال جلّ جلاله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٣). وعلى غرار ما سبق من الإفرادات والتشنيات جاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٤) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَسْأَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٥)، ولم يقل فتشقى؛ دلالة على مسؤولية آدم عن حواء

(١) سورة البقرة، الآية: (٣٥-٣٧).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٣٣).

(٣) سورة النساء، الآية: (٣٤).

(٤) سورة طه، الآيات: (١١٥-١١٧).

في التوجيه والقيادة والإنفاق وجميع أمور الحياة، لأن اللجنة ليس فيها شقاء^(١).

٤- أن المساواة بين الأقارب في القانون المصري القديم أمر يرفضه الإسلام أيضا؛ لتعلّق توارث الأقارب بمفهوم القرب والبعد من المورث، وعليه فالبنوّة مقدمة على الأبوة وهذه مقدمة على الأخوة، وهكذا، كما لم يقرّ الإسلام المساواة في الإرث بين الإخوة بالشكل الذي ذهب إليه القانون الفرنسي والروماني، بل جعل الإخوة على درجات ثلاث (لأبوين، للأب، لأم) وقد راعى تلك الدرجات وورّث الأقوى والأقرب.

٥- أن الإسلام كرّم رابطة الزوجية، وجعل ما بين الزوجين من مودة ورحمة حال الحياة سببا للتوارث عند الوفاة، فلم يهملها كما فعل الروم الذين لم تكن الزوجية عندهم سببا من أسباب الإرث، حتى لا ينتقل الميراث إلى أسرة أخرى؛ إذ كان الميراث عندهم يقوم على استبقاء الثروة في العائلات وحفظها من التفتت.

٦- أن حق الملكية الفردية واعتبارها سببا للتوارث بين الناس من الأمور التي أقرها الإسلام، بخلاف ما ذهبت إليه الاشتراكية؛

(١) العقيدة الإسلامية وأثرها في حماية الفرد والمجتمع - ص: ٣٢٦-٣٢٩ بتصرف.

حيث أنكرت الإرث بين الناس، وإن أقرت الشيء اليسير منه مؤخرًا.

٧- أن إيثار أرشد الذكور وتمييزه عن باقي إخوته في النصيب الإرثي، كما درجت عليه شرائع الأمم الشرقية القديمة والعرب في الجاهلية مبدأً لم يقرّه الإسلام.

٨- أن الشريعة الإسلامية قضت بأنه ليس لأولاد الوارث (ابن الابن، أو بنت الابن) حق في مشاركة أبيهم بالإرث؛ إذ إنه في المرتبة الأولى وهم في المرتبة الثانية، فهو الجدير بالإرث وحده دونهم فلا يتجاوزون درجتهم، بينما ذهب القانون الروماني والفرنسي إلى توريث ابن الابن مع الابن، وابن الأخ مع الأخ.

٩- أن الجدود والإخوة في حقهم في الإرث سواء؛ لأنهم يتساوون مع الإخوة بالإدلاء بالأب بدرجة واحدة، فهم لا يحجبون بالإخوة كما أقرّ القانون الفرنسي.

١٠- أن الشريعة الإسلامية قضت بتوريث كلٍّ من الزوجين الآخر بشكل منتظم، ولم يعلّق توريثهما على حكم قضائي كما اشترط القانون الفرنسي.

بهذا الاستعراض وهذه المقارنة يتبين لنا حقيقة ساطعة، وهي أن نظام الإسلام في الميراث عامة وما يتعلق منه بالمرأة خاصة،

هو النظام الوحيد الذي يوافق حركة السعي والنشاط في الجماعات البشرية، ولا يعوقها عن التقدم الذي تستحقه بسعيها ونشاطها، بل ويرجع إليه الفضل الكبير فيما بلغته من الحضارة والارتقاء^(١).

كما يتجلى هذا الفضل وهذه الميزة في المقارنة بين قانون الأحوال الشخصية السنغالي، وبين الشريعة الإسلامية في أحكام الطلاق، فالطلاق في قانون الأحوال على صورتين: المتفق عليه، والمتنازع فيه.

١- الطلاق المتفق عليه (المبني على إرادة الطرفين):

يمكن أن يقع الطلاق باتفاقٍ وتراضٍ بين الزوجين شريطة أن تكون إرادة كلا الطرفين سالمة من أي عيب من عيوب الرضى، كالإكراه وعدم الوعي. ولا يعتبر الطلاق نافذاً إلا بقرارٍ من قاضي الصلح أو بحكم قضائي؛ حيث يلزم القانون على الزوجين المثول بذاتهما أمام قاضي الصلح والإعلان له كتابة أو شفويا عن رغبتهما في الانفصال، مرفقاً بشهادة عقد الزواج وشهادة الميلاد أو الوفاة للأولاد إن وجدوا^(٢)؛ ذلك لأن "هذا الطلاق يحل

(١) انظر أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي - ص: ١٢ وما بعدها.

(٢) راجع المواد ١٥٧-١٥٨-١٥٩ من قانون الأسرة السنغالي.

جميع العلاقات الزوجية، ويؤدي إلى تنفيذ جميع الاتفاقيات التي تمت بين الزوجين فيما يتعلق بالملكات وبالأولاد"^(١).

٢- الطلاق المتنازع فيه (المبني على إرادة أحد الطرفين):

لكل واحد من الزوجين حق في الطلاق شريطة أن يتوفر سبب من الأسباب العشرة التي هي:

- ١- غياب أحد الزوجين.
- ٢- وقوع أحدهما في الفاحشة (جريمة الزنى).
- ٣- إدانة أحدهما بحكم في فضيحة (جريمة مخلة بالشرف).
- ٤- عدم الحماية الواجبة من الزوج بالنسبة للزوجة.
- ٥- رفض أحدهما القيام بمسئوليته الواجبة تجاه الآخر.
- ٦- التخلي عن الأسرة أو هجران بيت الزوجية.
- ٧- المعاملة السيئة كالإهانة، والعنف، والشتيم، وكل ما يعكّر صفو المعاشرة.
- ٨- العقم النهائي المثبت طبيا.
- ٩- المرض المزمن الذي لا يرجى برؤه.
- ١٠- عدم تطابق في المزاج الذي لا يمكن تحمله في الحياة الزوجية^(٢).

(١) راجع المادة ١٦٤ من القانون.

(٢) راجع المادة ١٦٥ من القانون.

وفي هذا القانون مسألتان مخالفتان للفقهاء الإسلامي هما:

١ - تقسيم الطلاق إلى متفق عليه ومتنازع عليه، فالطلاق في الفقه الإسلامي ليس أمراً مشتركاً بين الرجل والمرأة، ولا موضوعاً للتشاور فيما بينهما، بل هو في يد الرجل، فالذي يقع طلاقه هو الزوج العاقل، البالغ، المختار اختياراً صحيحاً، الذي يعي ما يقول، سواء كان صحيحاً أو مريضاً، فإذا توفرت فيه هذه الشروط وقع الطلاق منه أو من رسوله أو وكيله.

والحكمة من جعل الطلاق بيد الرجل تتجلى في أن جل الآثار المادية الناتجة عن الطلاق يتحملها الرجل ويثقل بها كاهله، فالطلاق بالنسبة للرجل تخلّ عن سلطة، ومِلْكٍ بذلّ من أجله الكثير والكثير؛ فهو الذي بذل الصداق للمرأة نحلة، وتكَلَّفَ بالنفقة والكسوة والسكنى طيلة الحياة الزوجية للمرأة وولدها، بل وأثناء فترة العدة طالت أم قصرت، وعلاوة على ذلك فهو أملك لنفسه عند الغضب، وأحكم في اتخاذ القرار عند فورانه، والدليل على صحة هذا التعليل أن الإفرنج لما جعلوا طلب الطلاق حقاً للرجال والنساء على السواء، كثر الطلاقُ عندهم فصار أضعاف ما عند المسلمين.

٢- التداخل بين أحكام الطلاق والخلع واللعان؛ حيث ساقها القانون مجتمعةً تحت عنوان "أسباب الطلاق" دون تفريق في شروطها وآثارها، فقد ذكر من بينها على سبيل المثال: "رفض أحدهما القيام بمسئوليته الواجبة تجاه الآخر" و"المعاملة السيئة كالإهانة، والعنف، والشتم، وكل ما يعكّر صفو المعاشرة" ونحوهما من الأسباب التي تُناسب الخلع، الذي هو عبارة عن التحرر عن ربة الزوجية وسلطة الرجل وبطشه، بمقابل يتفق عليه الطرفان بضوابط شرعية. وذلك إذا لم يكن هناك أي علاج ناجع لتلك المشاكل؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)؛ لأن جعل الطلاق بيد الرجل لا يعني عدم الالتفات إلى رأي المرأة ومشاعرها وإرادتها للفراق، فالشارع الحكيم لم يسدّ عن المرأة المظلومة والمضطهدة في بيت الزوجية أبواب التحرر وسبل التخلص من ظلم زوجها وسوء عشرتها.

كما عدّ من أسباب الطلاق "وقوع أحد الزوجين في جريمة الزنى" وهو غالباً ما يكون تهمة يرمي بها أحدهما الآخر دون وجود شهود، وذلك ما يعرف باللعان الذي هو عبارة عن شهاداتٍ

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٢٩).

بالأيمان مقرونة باللعن، قائمة مقام حد القذف في حقه، ومقام حد الزنا في حقها، ولما كان القذف ممن ينتظر منه صيانة عرض المقدوف وهو معنى لطيف، راعاه الشارع الحكيم، فلم يوجب عليه الحد، قال وَعَنْكَ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١)، ويترتب على الملاعنة: الآثار المعروفة، من سقوط الحد، ونسبة الولد إلى أمه...، وهذا مختلف تماما عن الطلاق العادي، فليس فيه نفي للولد عن أبيه، ولا طلب بينة على سبب الطلاق، ولا إيجاب حدّ عليه عن عدمها^(٢).

هذا، بالإضافة إلى أن الإسلام لا يحب الطلاق ولا يشجع عليه، يتجلى ذلك في أوامره وتوجيهاته التي يدرأه بها، والتي منها قول المولى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣)، وقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا يفرك مؤمن مؤمنةً إن كره منها خلقا رضي منها آخر))^(٤)،

(١) سورة النور، الآية: (٦).

(٢) انظر الأحكام الفقهية المتعلقة بالنكاح والطلاق التي خالف فيها قانون الأحوال الشخصية السنغالي الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة - رسالة ماجستير للباحث/ نيوغو صامب - كلية العلوم الإسلامية - قسم الفقه - جامعة المدينة العالمية - دولة ماليزيا - ص: ١٢٩ وما بعدها.

(٣) سورة النساء، الآية: (١٩).

(٤) صحيح مسلم - كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء - موقع جامع السنة وشروحها، لا يفرك: لا يُغض.

وموقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاء إليه رجل يستشيريه في طلاق امرأته، فقال له عمر: لا تفعل. فقال: ولكي لا أحبها. قال له عمر: ويحك أو كل البيوت تُبنى على الحب؟! فأين الرعاية والتدبُّم؟! وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢)، وقوله عز وجل: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(٣)، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(٤)، بل إن الإسلام قد أوعد المتساهل المتلاعب بالطلاق بحرمان من رحمة الله وجنته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))^(٥).

(١) سنن الترمذي - كتاب المناقب - باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - hadith.al-islam.com

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٣٧).

(٣) سورة النساء، الآية: (٣٤، ٣٥).

(٤) سنن أبي داود - كتاب الطلاق - باب في الخلع - جامع السنة وشروحها، انظر خطر الطلاق وأسباب انتشاره للشيخ عبدالله الجار الله - الموقع: شبكة الألوكة - تاريخ الإضافة: ١٧/٤/٢٠١١ م.

كما يتجلى ذلك في تقسيمه الطلاق إلى السني والبدعي، فمن حكم هذا التقسيم إتاحة فرصة للزوج ليراجع نفسه بكل وسائل التفكير والتأني؛ حتى لا يوقعه الانفعال والعجلة في ندامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(١)، وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال ﷺ: ((مُرَّه فَلْيَرَاغِبْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهَرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهَرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أُمْسِكْ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلِّقْ قَبْلَ أَنْ يَمْسَ فِتْلِكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلِّقَ لَهَا النِّسَاءُ))^(٢).

ثم إلى الرجعي والبائن؛ فتحا لباب التلاقي، قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(٣)، فللزوج أن يراجع مطلقتها بلا عقد ومهر جديدين ما لم تنقض العدة، أما بعد انقضائها

(١) سورة الطلاق، الآية: (١).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف وقع...

library.islamweb.net

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٢٩).

فيجبان عليه، وهذا ما يسمى بالبينونة الصغرى، وسدًا لباب اللعب والفوضى؛ فرض الشرع بعد الطلقتين غرامة أشد وأنكى تعرف بالبينونة الكبرى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۖ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

فالطلاق ليس أمرا هينا في الإسلام؛ بل هو حلٌّ للمشكلات المستعصية، التي إن لم تُحلَّ بالطلاق أدت إلى خطرٍ عظيم وشرٍ جسيم في الحياة الزوجية وتأثيرٍ سلبيٍّ في كيان الأسرة؛ لذا أوصى الإسلام بحسن التسريح وتمتع المطلقة والتجهيز لها، حتى يبقى العهد رغم الفراق موثوقا والمعروف موصولا، والذرية التي بينهما في رعاية هامة وتربية تامة، قال ﷺ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٢)، وقال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٣٠).

(٢) سورة النساء، الآية: (٢١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٢٨).

فالإسلام هو الحلُّ الأمثل للخروج من الحالات المؤسفة للأحوال الشخصية التي تعاني منها المجتمعات، والضمانُ الأفضل للحفاظ على كيان الأسرة التي هي أساس المجتمع؛ لذا دعا الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله الرئيس عبد الله واد -الذي كان بيده زمام الدولة- وحكومته مباشرة إلى ضرورة تطبيق تعاليم الإسلام في قانون الأسرة السنغالي، مذكراً الحكومة بما قام به مشايخنا الأجلاء في عهد الرئيس سنغور؛ إشارة إلى أن اللجنة الإسلامية لإصلاح قانون الأسرة في السنغال لم يقوموا اليوم إلا بما قام به سلفهم الصالح بالأمس، فدراسة الماضي تساعد على التنبؤ بالمستقبل كما يقول التربويون. وحرصاً من الشيخ على أن يكون التطبيق تاماً وسليماً بخلاف ما كان عليه، قيّده على المسلمين دون غيرهم من أبناء الوطن، وأدرج رحمته الله في دعوته الإرشادية هذه المضامين كلها (الاهتمام- التطبيق- العمل- الالتزام) التي تتجلى علاقة كلٍّ منها بالأخرى في أنها سُلِّمَ يفضي بعضه إلى بعض، وألفاظ متعددة تدل على عدم الإهمال؛ دفعا للذريعة، وإشعاراً بالأهمية، وتأكيداً على ضرورة العمل والتطبيق، قائلاً: "وعلى الرغم من تلك الجهود الرامية إلى تسوية قضية قانون الأسرة، حيث وجد له الحل الإسلامي العاجل حينذاك، فما زلنا نحن المسلمين ينقصنا

استعمال قانون الأسرة الإسلامي، وهذا أدى إلى هذه الحالة المؤسفة للأحوال الشخصية في السنغال، ولهذا يعتبر ظهور مشروع مدونة الأحوال الشخصية اللاحقة هذا امتدادا للقانون الإسلامي السالف، وبالتالي فهو وثيقة تمنع من زعزعة كيان الأسرة التي هي أساس المجتمع الإسلامي، فإذا أصيبت الأسرة بالضرر والانحلال؛ انعكس ذلك اطرادا سلبيا على المجتمع الأم، وعلى هذا أرجو من الحكومة السنغالية وفي المقدمة فخامة الرئيس عبد الله واد والفريق العامل معه، ضرورة إعادة اهتمام وتطبيق لمشروع قانون الأسرة الحالي للمسلمين؛ عملا والتزاما بالتوصيات العادلة المقدسة من القرآن الكريم والسنة الشريفة".

ومن اللافت للنظر جمعُ الشيخ رحمته الله بين أسلوبَي الترجي والتأكيد (أرجو من الحكومة السنغالية... ضرورة إعادة اهتمام وتطبيق...)؛ وذلك أنه أراد إعلانَ كلمة الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والتعبيرَ عن مدى حرصه ورجائه في تحقُّق طلبه؛ عملا بقوله وَعَلَى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١)، وتطبيقا لمقتضى الحديث النبوي الشريف الذي كان حبه الفاني وعمه الرباني العارف بالله الشيخ عبد العزيز سي رحمته الله يذكر به كثيرا، وهو قول الرسول

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

ﷺ: ((مثلُ القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نُؤذِ مَنْ فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا))^(١)، ورضي الله عن سيدنا أبي بكر الصديق القائل: "يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾"^(٢)، وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ((إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه))"^(٣). وفي رواية: ((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه))"^(٤).

وهنا تنسجم المضامين الإرشادية (الرجاء - الاهتمام - التطبيق - العمل - الالتزام - التعاليم - التوصيات) مع عنوان الكتاب

(١) رواه البخاري عن النعمان بن بشير.

(٢) سورة المائدة، الآية: (١٠٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه في صحيحه - ج: ٢ - ص: ١٣٢٧ - برقم: ٤٠٠٤ .

(٤) أخرجه الترمذي في صحيحه - ج: ٤ - ص: ٤٦٧ - برقم: ٢١٦٨ انظر موضوع: "عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" للدكتور رياض عيدروس عبد الله في موقع

جمعية الإيمان: (www.jameataleman.org).

(المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء) وتتضح علاقتها به، فدور داعية رباني كالشيخ محمد المنصور سي رحمه الله في مثل هذه الحوادث، هو الأخذ بيد الرئيس وعونه على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان؛ بنصحه وإرشاده لما فيه مصلحة العباد والبلاد، وخير المعاش والمعاد؛ امثالاً بأمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))^(١).

نعم فدور الداعي في تغيير المنكر هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي من فوائده أنه:

دليل واضح على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
صمّام أمن الحياة وضمان سعادة الفرد والمجتمع.
يثبت معاني الخير والصلاح في الأمة.
يزيل عوامل الشر والفساد؛ حتى تسعد الأمة وتسلم.
يُهيئ الجو الصالح الذي تنمو فيه الفضائل وتختفي فيه الرذائل.
يبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل والتعاون على البر والتقوى.
سبب النجاة في الدنيا والآخرة.

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص - موقع الإسلام.

سبب للنصر والتمكين في الدنيا.

سر أفضلية وخيرية هذه الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

فالإسلام السياسي ليس تشددا وتهديدا كما ظنت بعض الحركات الإسلامية، التي حاولت في الماضي ضرب الحاكم وقلب نظامه، فدخلوا السجن بدلا من أن يدخلوا البرلمان، وقد أخطأوا مرتين: أخطأوا في حق الحاكم، وأخطأوا في حق الإسلام، فالإسلام سلاحه الإقناع وليس الإرهاب^(٢). فالإسلام السياسي دعوة وتوعية هدفها الوصول للرأي العام، ومرادها توصيل المنهج الإسلامي في صفائه وبساطته وشموله إلى عامة المسلمين، الذين يظنون أن الإسلام مجرد صلاة وصيام، فنقول لهم بل هو حياة أو معاملة، وعلم، وعمل، ومكارم أخلاق، ورحمة، وعدالة، ورفق بالضعفاء، ومعونة للفقراء، وشورى للحكام، وديمقراطية ومشاركة شعبية في القرار. فهو صناعة الرأي العام بالدعوى وبالأسوة وبالقدوة، وهدفه أن يصبح الرأي العام الإسلامي من القوة، بحيث يصبح ملزما للحاكم وموجها له في جميع قراراته.

(١) سورة آل عمران، الآية: (١١٠) مجلة أبحاث ودراسات تربوية - ص: ١٧١ .

(٢) حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود - ص: ٧٠ بتصرف يسير.

فالإسلام السياسي -إذا- كفاح علمي، ووعي ذاتي متكامل، ومعرفة، ومحبة، وعطاء، وإقناع^(١).

وعلى هذا الدرب سار الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله مع اللجنة الإسلامية لإصلاح قانون الأسرة، فكانت النتيجة بتوفيق الله وعجل وجود حالة من الهدوء في الأحوال الشخصية؛ حيث أضيف في قانون الأسرة السنغالي نظام التوريث الإسلامي، وذلك في حالتين: - أن يصرح المتوفى في حياته برغبته في تقسيم أمواله بين ورثته على وفق الشريعة الإسلامية.

- أن يكون ظاهرا في تصرفاته رغبته في ذلك، كأن يكون متدينا حقيقيا^(٢). والله درّ العملاق النابغة الدُّياني حيث يقول:

الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالْأَنَاءُ سَعَادَةٌ فَتَأَنَّ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ نَجَاحًا
ورحم الله العلامة الشيخ أحمد سحنون القائل:

ألا إن أفضــــلنا الداعية	بما اختار من رتبة عالية
وهل مثل مرتبة الأنبياء	ء والرسـل مرتبة ثانية؟
تصدّوا لإعلاء مجد السماء	فكانت مساعيتهم بانيه
وعاشوا يداوون مرض النفوس	فكانت علاجهم شافية

(١) انظر حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود- ص: ٦٩-٧٠ .

(٢) راجع المادة ٥٧١ من قانون الأسرة السنغالي.

الخاتمة:

كان البحث محددًا حول شخصية الشيخ محمد المنصور سي المباركة، والمضامين التربوية في كتابه: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء"، وقد تمخضت عن الدراسة والمعالجة نتائج وتوصيات يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

أولاً = النتائج: وتتلخص في النقاط التالية:

- ١- أهم العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية الشيخ رحمته الله هي:
 - أ- العامل البيئي: المتمثل في بيئته الخيرية الصوفية التربوية، التي يسودها الدين والمعرفة، والفضل والمروءة.
 - ب- العامل الاجتماعي: المتمثل في أسرته التي تحظى بمكانة دينية راقية، ومنزلة علمية سامية، والتي تعد منارة شامخة تنير الآفاق ومدرسة ربانية تهذب الأخلاق.
 - ج- العامل الشخصي: المتمثل في جهده وتفانيه في التحصيل والطلب، وسعيه وتراقبه إلى المعالي والرتب.
- ٢- كان الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله شخصية علمية صوفية ربانية، إنسانية اجتماعية تربوية، محبا للعلم وأهله، مؤلعا بالخير وفعله.
- ٣- التربية عند الشيخ محمد المنصور رحمته الله تربية تربط بين المادية والمعنوية،

وتجمع بين الدين والدنيا، هادفة إلى لمّ الشمل ونبذ الفرقة، ورامية إلى ما ينفع الأمة في الدنيا والآخرة، كما تُجسّد ذلك ميادينه التربوية، ومجالاته التنموية، مِنْ قصائد ومؤلفاتٍ تتعرّض لقضايا إسلامية واجتماعية، وتبرز غيخته على الإسلام وانتصابه للدفاع عنه- وتأسيس كتاتيب ومدارس، وبناء مساجد وجوامع، وإنشاء حقول ومزارع، ومساعدات وأعمال خيرية.

٤- الهدف الأسمى الذي من أجله ألّف الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله كتابه القيم: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء"، هو حث الرئيس -السابق- عبد الله واد وحكومته على ما يجمع كلمة المسلمين، ويوحد صفوفهم، وذلك بقبول المدونة التي أعدها اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال، والتي وقّع عليها جميع القيادات الدينية، وإضافتها في مشروع قانون الأسرة الجديد للمسلمين؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

٥- المضامين التربوية عند الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله من أعظم مقومات التربية الصوفية الإسلامية؛ حيث كانت أقرب إلى العقل وواقع حياة الناس والمجتمع، فالإسلام عقيدة وشرعية غايتها الكبرى

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٣).

هداية البشر عبر العصور، كما تتجلى في كتابه: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" الذي يحتوي على صنفين من المضامين؛ صنف يتعلق بالأسرة والمجتمع، شخّص فيه الشيخ رحمته الله المشكلة، وصنف يتعلق بالتوجيه والإرشاد طرح فيه رحمته الله الحل الجذري للمشكلة.

٦- المضامين المتعلقة بجانب الأسرة والمجتمع (المثل - القيم - الأخلاق - الدين - الأمة - المجتمع - الأسرة - الأم - الذرية) والمضامين المتعلقة بجانب التوجيه والإرشاد (الرجاء - الاهتمام - التطبيق - العمل - الالتزام - التعاليم - التوصيات) سلسلة متصلة وسُلم يُفضي بعضه إلى بعض، ولكلٍ منهما صلة وثيقة بالعنوان "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء"؛ لكون الازدواج والاندماج في الأولى دلالة على ضرورة التدبُّن والقُدوة والاتباع؛ إنقاذاً للأمة الغراء من فتن التفرُّق وويلات التشتُّت، والارتباط والاتصال في الثانية إشعاراً بعدم الإهمال وتأكيداً على ضرورة العمل والتطبيق؛ إنقاذاً للأمة الغراء من البلى والمصائب التي يورثها عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧- استخدم الشيخ رحمته الله دليلاً عقلياً، وهو أن عدم مطابقة القانون لاختيار وقيم الشعب لا يسبب إلا تفككا وتشتتا ومشاكل أسرية واجتماعية، وهذا حقيقة واقعية لا جدال فيها، قاس عليها

الشيخ أنّ حكم المسلمين بقانون أسرة لا يرضونه ولا يوافق دينهم وقيمهم، لا شك أنه يزعم كيانهم ويشئت شملهم، إضافة إلى الدليل النقلي الظاهر في الآيات والأحاديث التي سردها؛ إثارة وتحريك للنزعات الإيمانية، وتأكيداً على ضرورة الحكم بما أنزل الله ﷻ؛ لكونه الدستور الوحيد الذي لا يعتريه خلل ولا زلل، كيف وهو من الخالق الحكيم الخبير؟! ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

٨- كون الإسلام الحلّ الجذري للمشكلات والأزمات، وخاصة الحالات المؤسفة للأحوال الشخصية التي تعاني منها المجتمعات، والضمان الأفضل للحفاظ على كيان الأسرة التي هي أساس المجتمع؛ كما تبهرن على ذلك شموليته ودقته وعدالته في قيمه وتعاليمه اللتين لا يدانيه فيهما الأنظمة والتشريعات الأخرى.

٩- للمشايخ وزعماء الدين في السنغال دور بارز وتأثير فعال في المجتمع السنغالي والحكومة معا.

١٠- الإرشاد إلى أهمية الوحدة والثقة في إنجاح وإنجاز المهمات.

١١- الإرشاد إلى عدم السكوت عن المنكر، وذلك بالمبادرة إلى تغييره بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١) سورة الملك، الآية: (١٤).

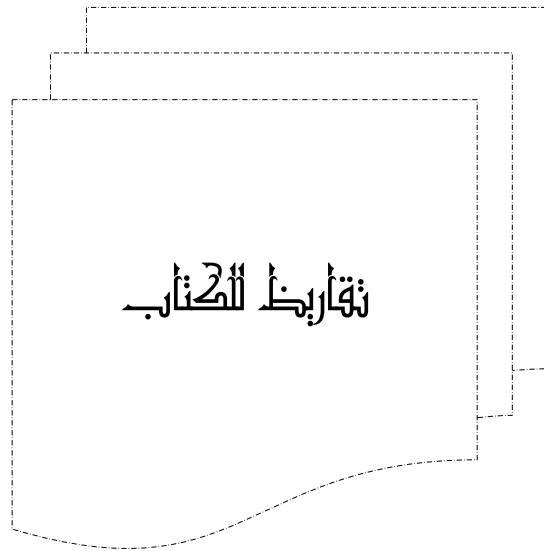
ثانياً = التوصيات: بعد أن عرض الباحث ما يمكن عرضه من النتائج، رأى أن تكون التوصيات كالتالي:

- ١- ضرورة الاهتمام بدراسة تراث علمائنا ومشايخنا الكرام؛ للكشف عن كنوزهم الملية بالثروات العلمية والتربوية والإفادة منها.
- ٢- جمع كتاباتهم وآثارهم وكل ما يتعلق بها من الدراسات والأبحاث بطريقة تسهل للباحثين الحصول عليها، كإنشاء مكتبة وصفحة إلكترونية خاصة بها.
- ٣- ضرورة مراعاة الحرمة والتقدير اللائق بالكبار والعلماء والأولياء والصالحين، خاصة في هذا الزمان الذي قلّت فيه الحرمة والأدب، وكثرت فيه الجرأة والعطب.
- ٤- على الجمعيات والمنظمات الإسلامية وزعماء الدين في السنغال، مزيد التضامن يدا واحدة وقلبا واحدا؛ للدفاع عن الإسلام والقيام بمسئولياتهم تجاه القضايا الإسلامية والاجتماعية.
- ٥- ترجمة قانون الأسرة السنغالي باللغة العربية وإجراء دراسات عليها ليعمّ النفع والإفادة.

هذا، والحمد لله أولاً وآخراً

والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم

وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من قرّت به الأحداق،
وتهدّبت به الأخلاق: النبي المصطفى، الذي رسم للأمة معالم بها
نُهدي، وعلى آله وصحبه الذين ربّوا البرية علي سواء السبيل،
والمنهج الصحيح.

وبعد:

فلست أدري إن كانت الكلمات ستخضع تحت أسنة هذا
اليراع لأعبر عن انطباعي نحو هذا البحث الذي جمعه الأخ النبيل،
والإنسان الجميل: الشيخ عمر جابي بعوان:

"المضامين التربوية الصوفية عند الشيخ محمد المنصور سي (بروم دارجي) السنغالي
كتاب: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" نموذجاً دراسة تحليلية"

ولم تقاذفت بي الحيرة حين وقفتُ أمام هذا البحث أتساءل
في نفسي هل سأقتدر على كتابة تقريرٍ شيق عنه أو مهما يكن؛
لأنني أعلم أن بضاعتي مزجاة، وأن أحرفي خرساء، لا تقوى على
الكتابة عني، فكيف لها أن تكتب عن غيري؟ وإذا كان لا بد فأقول:

لقد سبحت في عباب هذه الرسالة، التي تشي بعبقريّة صاحبها
وتمكنه في العلم، وهي ليست إلا تجسيدا لشخصيته التي غذيت

بلبان العلم والتربية والأخلاق، كما أنها تشف عن حبه للتراث السنغالي الإفريقي المليء بالفوائد، والذي قلّ أن تجد في هذا العصر من ينبشه وينفض عنه الغبار.

إن الأمة مهما كانت لا يمكن أن ترفرف بأجنحتها في آفاق من التقدم والحضارة، إذا لم يسر في شرايين أفرادها نسيم التربية والمبادئ، لأن بها تستقيم النفوس، وتطيب الأرواح، وتصحّ الأبدان، وتصبح الحياة لصاحبها وردة فواحة وواحة خضراء، والتربية من الأمور التي لا بد أن نهتمّ بها وخصوصا في هذا العصر الذي تبدلت فيه القيم، وتهدمت صروح الأخلاق، فكم من الأرواح تاهت، وكم من العقول ضلّت؛ لأنها لم تنشأ على أساس التربية الإسلامية التي تشعر العبد بلذة العبودية، ويعرف بها الطريق للوصول إلى رحاب المولى عز وجل.

ولا يفوتني أن أهنئ الباحث لأنه اختار علما من أعلام سنغال، وعالما من علماء إفريقيا، وهو الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله، ليدرس هذه الشخصية من خلال كتابه: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" الكتاب الذي يتساقط دررا وللالى من المبادئ والقيم، وهنا أقول للباحث:

أمشي فيعرفني المدى وخطاي قد ذبلت وصمت الليل يزبك أحرفي
أتحسس الكلمات لا كأس من المعنى يراق ولا الحروف لأصطفي

أَسْكَبْتَ يَا عَمْرُ الْكَوَاكِبَ بَيْنَنَا	أَلْقَا لِنَقْطَفٍ مِنْ سَنَاهَا الْمُتَرَفِّي
سَطَرْتَ بِحُثَا كَمْ حَوَانِي بَعْدَهُ	تِيَّةً أَسِيرُ بِهِ وَخَطُوي يَنْطَفِي
أَهْرَئْتَنِي لَمَّا زَرَعْتَ نَجُومَهُ	بِرُؤَايَ تَرْيَّةً عَمَائِي بِهَا شُفِي
هَذَا الْمُضَامِينِ الَّتِي اسْتَخْرَجَتْهَا	كَالْمَاءِ صَافِيَةٍ تَذِيبُ تَلْهُفِي
نَقَحَتْهَا لِتَهْدِبَ الْأَرْوَاحَ مِنْ	دَنَسٍ وَتَصْبِحَ مَعْلَمًا لِلْمَقْتَفِي
أَرْجِي نَخِيلَ الشَّعْرِ مَهْمَا سَاقَطَتْ	رَطْبًا عَلَيْكَ فَلَنْ أُبَيِّنَ وَلَنْ أَفِي

أَسْأَلُ اللَّهَ الْمَوْلَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِهَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ فِي مِيزَانِ

حَسَنَاتِ الْبَاحِثِ.

بقلم الدكتور / علي مصطفى لَوْنُ النجيري.

حرر في القاهرة - جمهورية مصر العربية في ٤/٣/٢٠١٨ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائل في محكم تنزيله مُثْنِياً ومادحاً نخبة من المؤمنين وصفهم بقوله: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١) فهؤلاء قاموا بساق الجد والهمة لمحو الجهل والأمية، وجاهدوا في الله حق جهاده؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

ومن بين هؤلاء الشيخُ العالم العلامة والأديب الصوفي الجليل ذو الهمة العليا، والمربي المرشد الزعيم الروحي مولانا الشيخ محمد المنصور سي رحمته الله الذي ينتمي إلى الفئة التي من أجلها قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((العلماء ورثة الأنبياء))؛ فقد ضحّى جلّ حياته من أجل إنشاء جيل فاضل دينا وتربويا وفكريا، فقضى معظم حياته في التعليم والتربية وإنفاق أمواله لدى المحتاجين، فكان خير مثل لذلك:

بالعلم والتعليم فُقْتُمْ غَيْرَكُمْ والبذل والإنفاق والإحسان

ومن المعلوم حقا أنه استطاع ربط علاقة الأخوة والصدقة مع كل الطوائف الدينية في البلاد، مؤكّدا أن الإسلام دين الوحدة والتفاهم والتعاون، ولم يضيّع قطّ فرصةً سانحةً مهما كانت إلا وقام فيها

(١) سورة الأحزاب، من الآية: (٢٣).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: (٦٩).

لإعلاء كلمة الحق ﷺ وحفظ تراثنا الروحي.

وحرصا لحفظ هذا التراث الخالد؛ قام أخونا وحبينا فضيلة الأستاذ: (الشيخ عمر جابي) حفظه الله ويرعاه، لتقديم بحث لنيل الدبلوم العالي في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، تحت عنوان:

"المضامين التربوية الصوفية عند الشيخ محمد المنصور سي (بروم دارجي) السنغالي
كتاب: "المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" نموذجاً دراسة تحليلية"

فجزى الله الباحث والكاتب الأديب جزاء وافرا وأمدّه بعمر مديد.
وأختتم بهذه القصيدة تقريرا لخطاه المباركة، فقلت:

هل ومض برق بان في الأقطار	أم تغر صبح لاح بالأسحار
أم هب ريح صبا بنا متشائم	أم روضة غناء ذات ثمار
أم عقد در خالص وزبرجد	في جيد غانية بدت كنصار
بل إنه سفر نفيس مرجع	قصب السباق حواه في المضمار
حلم طويل قد أتى في وقته	من سيد خبر من الأخبار
أعني به عمر العلي ذا همّة	بين الأنام كصارم بتار
تربية للشيخ قد بينتها	أسلوبه في منهج الأخيار
لا غرو في ذا إذ تربيتهم على	حجر له ما العين كالإخبار
شيخ فريد مرشد متصوف	ربي ورقى دونما إنكار
شيخ فقيه عالم ومعلم	فهدى نفوسا فاهتدت للبار

فَمَعَارِفٌ وَمَكَاسِبٌ مِنْ رَبَّنَا	تَهْدِي بِهَا مَنْ جَاءَ مِنْ أَبْرَارِ
تَلُكُمُ وَرَاثَةُ مَالِكٍ بِدْرِ الدُّجَى	مَنْ فِيضُهُ يَهْمِي عَلَى الزُّوَارِ
جَازَاكَ رَبُّكَ عَنْ بَنِي السُّودَانِ وَالـ	بَيْضَانِ فِي إِحْيَاءِ ذِي الْآثَارِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ كَذَا السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ	وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ أَهْلِ خِيَارِ

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بقلم الأستاذ الحاج مؤد مالك صو المشرف العام لمدرسة الشيخ محمد المنصور سي في مدينة تواوون المحروسة - السنغال في ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٧ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،
سيدنا ونبينا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إني لعاجز عن التعبير -بحر قلم أريقه في صفحة- عمّا يحيط بي
من السرور وما يغمري من الحبور بعد قراءتي هذا الكتاب القيم
للباحث والأديب الأريب: الشيخ عمر جابي:

"المضامين التربوية الصوفية عند الشيخ محمد المنصور سي (بروم دارجي) السنغالي
كتاب: "الحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء" نموذجاً دراسة تحليلية"

وما مصدر السرور والحبور إلا لأن الكتاب -بعد أن أتحفنا
الباحث بما تضمّنه من أساليب تربوية وأسرار ربانية- جاء ليميط
اللثام عن وجه كنز ثمين، ولينفض الغبار عن إرث تليد من تراثنا
السنغالي العربي الإسلامي عامة، ولهذه الشخصية الربانية الصوفية
خاصة، الشيخ محمد المنصور سي "بروم دارجي" الذي يكفيك لقبه
"بروم دارجي" عن تعريفه علماً، وسلوكاً، وصلاًحاً، وتربية، وإنا
لنقدّر هذا العمل الجليل الذي يساهم في إحياء تراثنا وفي إثراء
مكتباتنا وسدّ بعض ثغراتها.

وأخيرا أحثّ نفسي وغيري من أبناء جلدتي على الاهتمام بترائنا الأصيل، والعض عليه بالنواجذ، والقيام بدراسته وتحليله؛ لاستخراج ما فيه من النفائس والدرر، بغضّ النظر عن الانتماءات الطائفية؛ لنقدمه للعالم أجمع على أحسن وجه؛ فلأن نقوم بذلك أحقّ وأولى من أن يقوم به غيرنا.

ولقد تطّقت على مائدة الشعراء قائلا عن الكتاب:

هذا كتاب حوى في طيّه عجا	لباحثٍ لَبِقٍ يُدعى: عمر جاي
أبدى لنا من كتاب الشيخ سلسلة	من المعارف نالت كلّ إعجاي
من فنّ تربيّة صوفيّة جمعت	دينا ودنيا تقود الشعب للباب
من بعد ما غاص في بحر الكتاب لكي	يستخرج الدرّ منه غير هيّاب
فلم يدع لؤلؤا ممّا تضمّنه	إلا وأخفّفه لكلّ أحياب
أسلوبه أدبيّ رائع سلس	عذب فُراتٍ لدى قصرٍ وإطنا
ألفاظه أليست زيّ التصوف من	بدء إلى ختمه يُسدى كجلباب
يهدي لقارئه معنى فيطربه	عند القراءة نشؤا أيّ أطراب
لا يشتكي من غموض في مقاصده	دقّ الفصاحة فيه كلّ أبواب
إني أقدر هذا الصنع من خلدي	به أرخب قلبا أيّ ترحاب
بمثل هذا يُرى للكنز قيمته	فواصل الدرب فيه غير مراتب
جزاك ربّك عمّا صُنّت من عمل	خيرا يضاعفه يا شيخ عُمر جاي

بقلم الأستاذ/ إبراهيم نيانغ

القاهرة- جمهورية مصر العربية في ٢٢/٠١/٢٠١٨ م.



أهم المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ٢- المحجة البيضاء في إنقاذ الأمة الغراء- العلامة الشيخ محمد المنصور سي (بروم داري).
- ٣- الشيخ محمد المنصور سي الثاني (بروم داري) وجهوده العلمية- بحث أعده السيد/ غورم غاجو في كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين- قسم اللغة العربية- جامعة شيخ أنت جوب بديكار؛ لنيل شهادة الكفاءة للتعليم الإعدادي- العام الجامعي: ٢٠١٢-٢٠١٣م.
- ٤- شذى العطور من نفحات الشيخ محمد المنصور- الحاج مؤد مال ك صو- الطبعة الأولى- ٢٠١٦م- مكتبة الشيخ محمد المنصور- توارون.
- ٥- منور الصدور بحقائق المعرفة واليقين- الأستاذ هادي جوف.
- ٦- دور الكتابات في بناء المجتمع: الشيخ محمد المنصور سي نموذجاً"- جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سي، بمناسبة الدورة الأولى لليوم القرآني عام: ٢٠١٦م.
- ٧- كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين- العلامة الشيخ الحاج مالك سي السنغالي.
- ٨- زجر القلوب عن حب دار الخلوب- العلامة الشيخ الحاج مالك سي.
- ٩- تسهيل المطلوب من زجر القلوب- العلامة عبد الله فال.
- ١٠- شاعرية الشيخ الحاج مالك سي في مدح النبي ﷺ والدفاع عن الإسلام: دراسة تحليلية فنية- رسالة ماجستير للباحث/ حسين فال- الجامعة الأمريكية المفتوحة- القاهرة- العام الجامعي: ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- ١١- تزود الشبان- العلامة الشيخ أحمد بامبا السنغالي- عناية وتعليق: دائرة فتح الغفار بالمغرب.
- ١٢- روح الأدب لما حوى من حكم وأدب- ضمن جامع جوامع الدواوين- العلامة الشيخ الحاج إبراهيم نياس السنغالي - دار الحسام- القاهرة.
- ١٣- الأدب السنغالي العربي- الدكتور عامر صامب.

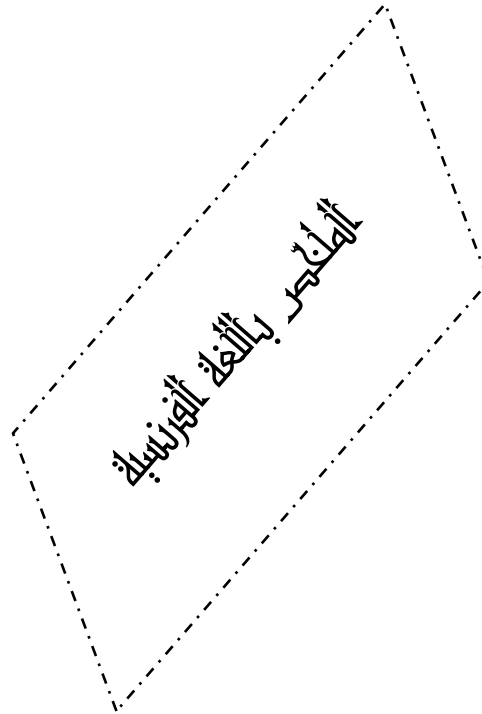
- ١٤- جواهر المعاني- العلامة الشيخ أبو العباس أحمد التجاني المغربي.
- ١٥- إحياء علوم الدين- العلامة الشيخ أبو الحامد الغزالي.
- ١٦- إيقاظ الهمم في شرح الحكم- العلامة الشيخ أحمد ابن عجيبة الحسني.
- ١٧- دليل العقلاء لفهم حكم ابن عطاء- د/ علي عبد المقصود حسين أبو النجا.
- ١٨- البيان الجازم أن التصوف لتزكية الإنسان نهج لازم- د/ سعيد أبو الأسعاد- شركة الفتح- الطبعة الثانية.
- ١٩- الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة- الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي- الكويت- الطبعة الأولى: ٩١٤١ هـ- ١٩٩٩ م.
- ٢٠- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام- العلامة الشيخ ابن قيم الجوزية- دار البيان- دمشق- بيروت- الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م.
- ٢١- السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث- د/ علي محمد الصلابي- مؤسسة زاد.
- ٢٢- مناقب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي عليه السلام جمع وترتيب السيد/ محمد علي صالح قزني- دار جوامع الكلم- القاهرة.
- ٢٣- السير والسلوك إلى ملك الملوك- العلامة الشيخ قاسم بن صلاح الدين الخاني- التحقيق: محمد عيد الشافعي.
- ٢٤- حكم وأقوال الدكتور مصطفى محمود- جمع وتحقيق: محمد البحراوي- دار الحياة- الطبعة الثالثة.
- ٢٥- عنوان البيان وبستان الأذهان في الأدب والأخلاق والوصايا والنصائح- الإمام الشيخ عبد الله الشبراوي- التحقيق: د/ رفعت علي محمد- سلسلة تراث الأزهريين- الناشر: كشيدة.
- ٢٦- حوارات الإنسان المعاصر- العلامة الشيخ فوزي محمد أبو زيدان- دار الإيمان والحياة.
- ٢٧- في فضاء الثقافة: مقالات في الدين والحياة- أ.د/ محمد مختار جمعة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة.
- ٢٨- الإسلام فطرة الله- د/ محمد البهي- مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف- صفر ١٤٣٧ هـ- نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١٥ م.

- ٢٩- الإسلام يتحدث عن نفسه- نخبة من شباب وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة- ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.
- ٣٠- الأمة الإسلامية سماتها ومقوماتها وأهدافها: دراسة موضوعية من خلال السنة النبوية: رسالة ماجستير للباحث/ عبد الوهاب عصام زيدان- الجامعة الإسلامية- غزة- كلية أصول الدين- قسم الحديث الشريف وعلومه- ٢٠١٣م.
- ٣١- الأمة والرعية في الفقه السياسي الإسلامي: دراسة تنظيرية مقارنة- أ.د/ محمد أحمد علي مفتي- شبكة الألوكة.
- ٣٢- أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي: رسالة ماجستير للباحث/ عادل إبراهيم عورتاني- جامعة النجاح الوطنية- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٣٣- الأحكام الفقهية المتعلقة بالنكاح والطلاق التي خالف فيها قانون الأحوال الشخصية السنغالي الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة- رسالة ماجستير للباحث/ نيوغو صامب- كلية العلوم الإسلامية- قسم الفقه- جامعة المدينة العالمية- دولة ماليزيا.
- ٣٤- قانون الأسرة السنغالي.
- ٣٥- المضامين التربوية في كتاب بستان العارفين للإمام النووي وتطبيقاتها في مجال الأسرة والمدرسة- ماجستير للباحث/ عبد الله بن محمد الإسماعيلي- العام الجامعي: ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ- شبكة الألوكة.
- ٣٦- الذرية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية: دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام- الدكتور عبد الرحمن بن سعيد الحازمي- شبكة الألوكة.
- ٣٧- فلسفات في التربية- د/ نادية يوسف كمال.
- ٣٨- دور التربية الإسلامية في تنمية المجتمع- د/ منى علي أحمد السالوس- دار القرآن- الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- ٣٩- دور الأسرة التربوي في ضوء التربية الإسلامية- رسالة ماجستير للباحث: قاسم محمد محمد عبد الله- تخصص: أصول التربية- جامعة اليرموك- ١٩٨٩م.
- ٤٠- تربية الأولاد في الإسلام- د/ عبد الله ناصح علوان- دار السلام- القاهرة.

- ٤١- رعاية الطفولة من منظور إسلامي- أ.د/ عبد القوي عبد الغني محمد- ط: دار الفكر العربي- الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .
- ٤٢- من البذرة إلى الثمرة تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة- الشيخ فتح الله كولن- دار النيل.
- ٤٣- العقيدة الإسلامية وأثرها في حماية الفرد والمجتمع- اللواء الدكتور/فتحي إبراهيم منصور- دار البيان.
- ٤٤- تربيتنا الروحية- د/ سعيد حوى- دار السلام- القاهرة.
- ٤٥- تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية بحافظة القنفذة- رسالة ماجستير للباحث/ علي بن مسعود بن أحمد العيسى- كلية التربية- جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية- العام الجامعي: ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.
- ٤٦- مجلة أبحاث ودراسات تربوية- العدد الأول- السنة الأولى- صيف ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م- مركز الأبحاث والدراسات التربوية- بيروت- لبنان.
- ٤٧- المعجم العصري في التربية- د/ سونيا هانم قزامل- كلية التربية بالعريش- معهد البحوث والدراسات العربية- رقم السجل: ٩٢١٠١ .
- ٤٨- لسان العرب- العلامة جمال الدين بن منظور.
- ٤٩- تاج العروس من جواهر القاموس- العلامة محمد مرتضى الزبيدي.
- ٥٠- مقاييس اللغة لابن فارس- التحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر.
- ٥١- كشف اصطلاحات الفنون- العلامة محمد أعلى بن علي اتهانوي- دار صادر- بيروت.
- ٥٢- الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية- العلامة أبو البقاء الكفوي.
- ٥٣- التعريفات- العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني.
- ٥٤- المصباح المنير- العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي.
- ٥٥- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة.
- ٥٦- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية- القاهرة.
- ٥٧- موقع الإسلام: al-islam.com

- ٥٨- المكتبة الإسلامية: library.islamweb.net
- ٥٩- موقع أهل القرآن.
- ٦٠- ملتقى أهل الحديث: ahlalhdeth.com
- ٦١- موقع جامع السنة وشروحها: hadithportal.com
- ٦٢- موقع جمعية الإيمان: jameataleman.org
- ٦٣- الموقع الإلكتروني لجمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- ٦٤- الصفحة الإلكترونية لمركز الدراسات والأبحاث في القيم- المملكة المغربية- الرابطة المحمدية للعلماء.
- ٦٥- منتديات رسالة الإسلام.
- ٦٦- منتديات الملاحم والفتن.
- ٦٧- موقع الكلم الطيب.
- ٦٨- موقع موضوع.
- ٦٩- مجلة الابتسامة الإلكترونية
- ٧٠- شبكة الألوكة: alukah.net
- ٧١- موقع نور الصوفية: sufislight.blogspot.com
- ٧٢- موقع البيضاء العلمية: albaidha.net
- ٧٣- موقع المنبر: alminbar.net
- ٧٤- الموقع الرسمي للإمام ابن باز: binbaz.org
- ٧٥- منتدى سيدي الشيخ: sidicheikh.yoo7.com
- ٧٦- مدونة باننا واغي الإلكترونية: LE BLOG DE BANTA-WAGUE
- ٧٧- <https://alkafeel.net/islamiclibrary/public/prophetwill/02.html>





**ETUDE ANALYTIQUE SUR LES ASPECTS
EDUCATIFS SOUFIS CHEZ SERIGNE MANSOUR
SY " BOROM DARA JI" : SON OUVERAGE :
« *AL-MAHAJATUL BAYAD'A FI-IN QAZIL UMMATIL
GHARRA*» EN EXEMPLE**

PAR

CHEIKH OMAR DIABY

Résumé en français par

Pr : CHEIKHOUNA MBACKE AWA KEBE

Pr : MOUHAMED MANSOUR KA

DEDICACES

A mes deux pierres chères de l'or. Les deux éclairants et illuminant jardins. Les deux disparus ce bas-monde dont la vie, passée dans la recherche du bonheur de leurs enfants, a été brimée sur le chemin de Dieu. Les perles brillantes qui ont accompli, avec succès, leur mission et dépensé force et énergie dans l'éducation et l'enseignement : Mes deux parents qui ont semé dans nos cœurs l'esprit de l'affection et de l'amour pour le savoir, les savants, les érudits et les sages afin que l'éducation et la spiritualité demeurent l'assise solide des générations. Que Le bon Généreux leur récompense du meilleur de ce que puisse donner le parent à son enfant : A mon adorable maman, la pieuse, la précieuse, l'affectueuse, la dame Al Hadja « Yassine NDIAYE ». Que le bon Dieu lui accorde une longévité et bénisse toute sa vie ainsi que la vie de toutes les mères musulmanes :

- *Tu es l'éternel paradis pour nous et par renom, dont les jardins de « Mouna » nous gratifient de ses fleurs.*
- *Tu es ce paradis dans le giron duquel se trouvent la sécurité, la richesse et le bonheur. Tu es affectueuse à notre égard et le Coran restera ton adresse.*
- *Tu décèles les qualités des vertueux ; ce qui fait que tu demeures généreuse, jours et nuits.*

A mon feu papa, l'affectueux, le généreux et le sermonneur, Cheikh Mouhamed DIABY. Qu'Allah purifie son âme et embaume sa demeure (tombeau) de même que tous les musulmans.

- *Oh toi père dont nous louons ses œuvres*
- *Dans la bonté, la vérité, son ascension est rendue publique !*
- *Et toi le généreux, le sermonneur, point d'égalité.*
- *Ses marchandises sont : la bienséance et le savoir-faire.*
- *Qu'Allah t'accorde sa satisfaction et son pardon et le meilleur voisinage au nom de la meilleure des créatures.*

A mon guide spirituel qui me seconde dans la solitude, la lumière de mes regards et de mes visions, le guide de mes déplacements et de mes promenades, les greniers des défavorisés et disciples, le sauveur des gens de la prophétie et de la « Wilaya ». L'ami du Coran et des enseignements prophétiques, le père de mouhamed et de Zeynaboun, le savant, l'érudit, Ahmad de Mouhamed Al Haafizi at-tijany, l'égyptien, le leader et l'ascète de la doctrine de la Tijaniya. Qu'il soit pour toujours sous la protection du Créateur des mondes.

- *L'érudit dont les renommées sont innombrables.*
- *Au sein de lui, tous les disciples s'abreuvent de ses lumières.*
- *L'ascète qui demeure pour nous guider par le biais de l'écriture.*
- *Oh ! il est bon, celui qui détient une renommée ascendante venant du prophète, tout en gravant tout défi.*

A son guide spirituel, mon éducateur, le bel exemple symbolique de l'éducation et de la formation, le détenteur de la pureté et de la sainteté, le promoteur du développement et de l'organisation. Cette mer qui déferle, la lune qui illumine, le cœur guilleret et éclairé, l'esprit prompt, le temps fleurissant, la grotte résistante, à qui je dois reconnaissance et gratitude pour toutes les nobles valeurs qu'il m'a incluses. A son égard j'adresse le vers d'Imam Chafihi qui dit :

**« J'aime les saints même si je ne suis pas des leurs.
Auprès de leur bénédiction, je cherche l'intercession».**

A « Sibeweyhi » (le grand grammairien arabe) de son temps, le « Hatimou » (modèle de générosité) de tous les âges, le bateau de la grâce et de la bonté, le détenteur de la puissance des sciences ésotériques et exotériques, le décanteur de la puissance d l'or de la sagesse et de la bonté,

« la Kaaba » des sciences et des disciplines. Le puits de la science et de la richesse, le grenier des affamés et de la rasade des assoiffés, le guide et protecteurs des opprimés, des pauvres et des orphelins et veuves, le père de Tidiane et de Zahra, le grand père de Bachir et de Zahza. L'éploré de la Oumma et des peuples réunis. La personnalité choisie pour cet essai. L'ami de Dieu, l'éminent professeur et savant : Mouhamadou Mansour SY Borom Daradji. (Paix à son âme).

- *Le temps est heureux de son apparition et de son savoir.*
- *Et sa générosité abondante qui comble tout vide.*
- *Si tu l'abordes avec nombreuses questions, il te donne les bonnes réponses, il est la lumière de la Charia.*
- *Et ou si tu viens avec des besoins, il te livre donation, il est le symbole de la richesse.*

A son frère et ami, sa sosie, son confident, l'ami savant du coran, le miracle de son temps, le philosophe et le héros de sa génération, le symbole de la science et de la civilisation, l'éploré de la culture et des religions révélées, le père de Moustapha et Mansour, le grand père de Oumou Khayri et Assiya, le grand savant, le professeur éminent Ahmad Tidiane SY « Al Makhtoum » (Paix à son âme).

- *Savant et éducateur, le temps se glorifie de lui et s'abreuve en lui tout éperdu.*
- *L'errant et le philosophe, ses positions sont énormes.*
- *Il est celui sans qui, les peines de tous ceux qui le fréquentent ne sauraient être épurées.*
- *Tu as rénové la religion de la vérité par la vérité tout en y appelant les personnes et les donnant de ton savoir.*

A la langue suave et instructive de la «Khadara», l'interprète de la famille, le digne de confiance et de confiance des pères et des grand pères, le garant de la « Tarikha » et de la « Charia », le puits des étudiants et des fidèles amoureux de la « Charia », la référence de la jeunesse et des opprimés, le héros des difficultés, l'errant des séances

et conférences, le père de Moustapha et de Fatima, l'exploré des familles, des concessions et des tribus, l'aimé et l'apprécié, l'Erudit Abdoul Aziz Sy Al Amine (Paix à son âme).

- *Il est le cordon adorable de la lignée de Seydi El Hadji Malick.*
- *Il lui rend pérenne et avec la Oumah, il demeure si rigoureux et défaiseur.*
- *Il a hérité le tout de ses aïeux, il en était fier et jaloux de ce legs.*
- *Cet homme dont la force détrône les guerriers. Sa verve faisait floraison.*
- *Que les grâces de Dieu te soient accordées dans chaque instant et que tes lumières nous couvrent tous.*

A ma chère grand-mère, l'éclairant de mes yeux, la mère des pauvres et des orphelins, le gîte des opprimés et des oppressés, le miracle de sa génération, l'élite de son temps, la maîtresse de sa demeure et des résidants. La rénovatrice du legs parental, la maman de Oumou Kalsom et de Safiyatou. L'érudite et l'élite, l'éducatrice, la pieuse « Al Hadjatou Fatimatou Sy Mansour » :

- *Le temps a témoigné ta bonté et ta grandeur. ton éloquence reflète tes qualités envers les gens.*
- *La piété est restée étincelante sur ton visage de la même sorte que la fidélité dans tes comportements.*
- *Le « Zikr » est la rasade et le grenier de ton cœur. Ton compagnonnage aux personnes est attesté à tes faits et gestes.*

A mon ami ; celui à qui mes soupirs se dilatent et au sein duquel je me repose. Celui sans qui je ne pourrais survivre, la grotte de la demeure et le pilier de la famille, le jardin de sa génération et la beauté de ses paires, le père de Mouhamed et Zahra, mon frère utérin, feu Aboubakre DIABY.

- *Au père de Mansour, je verse tous mes sanglots. A cet adorable je livre mes présents.*
- *Certes, il fut l'ombre et le jardin de la famille et la grotte qui la protégea. Il fut comparable au jardin par son compagnonnage.*
- *Il eut vécu généreux, et fut parti dégarni de couronne. Toute sa vie durant, il fut toujours respecté dans la piété et dans l'activité.*
- *Il fut d'une personnalité riche dont les qualités furent pareilles aux lumières douces et lumineuses.*
- *Je veux nommer Ababakre mon cœur et mon frère.*
- *Que les pluies de la bénédiction soient à lui et aux autres de mêmes que celle de son pardon et de ses grâces.*
- *A celui dont j'ai toujours puisé de la main généreuse et au sein duquel je me suis évolué, le professeur, le savant,*
- *Le pieux, le vertueux, le père de Ibrahima et Fatima, l'ami de Dieu : Monsieur Mouhamed LÔ de Taïf.*
- *Gloire à lui, ce jardin prospère, à bas âge il m'est venu de lui toutes grâces recherchées. Dieu m'a rendu grand et m'a proféré par lui.*
- *Le fait que j'eus complété le Coran et eu gloire et guidance.*
- *Seigneur accorde lui une longévité pour qu'il demeure guide, dans la religion et dans ce bas monde et qu'il demeure crésus.*

Au leader et pilier de la maison et aux gîtes des enfants et leur modèle, le guerrier et la référence, le père de Mouhamed et Yacine : Monsieur Ousmane DIABY.

- *Mon grand-frère, le guilleret, l'apprécié par ces qualités, la pluie, le sauveur, le distant des peines. L'élite, le porteur des responsabilités, l'aimé de tous, le dispensateur des donations. Le guerrier, la rigueur et le leadeur des exploits.*

- *Son but est la rénovation et l'unité de la famille et la fierté de ses parents dans toute faveur.*

A ma « Layla » ma source de vie, l'amour de ma vie, la douceur de mes yeux, le symbole de mon affinité et de mes plaisirs. A cette dame qui m'a montré une image de compréhension, de patience, d'aide et de soulagement tout au long de mon périple. Ceci en guise de reconnaissance. Mon cœur, Madame Diaby mère de Oumou Khairy Ngom. Que le bon Dieu la préserve contre les maux et les peines.

- *Mère affectueuse, épouse dont incomparable en terme de religiosité et de qualités.*
- *Elle est d'une générosité qui comble tout invité, tout demeurant. Il partage des grâces incalculables.*
- *Magnanime, tu es une abondance de savoir, toi la maman de Mansour, toi la mère des générosités.*

A mes deux parfums de cœur, mes sœurs de regards, à mes espoirs, mes ombres plafonnâtes, à mes tous, mes parties, ces deux que j'éprouve toujours dans mes peines. Peines de les voir toujours près de lui et qui me donnent force et courage de revenir entouré de résultats et de réussite pour combler leur vides et nourrir leurs appétences. Je veux parler de mes deux adorables enfants, Mouhamadou Mansour et Aboubakre. Que Dieu les garde et fasse que leurs vies prospèrent du Coran, de l'islam, du savoir et de l'éthique tout en les protégeant contre les maux et malédiction de l'homme et du Satan.

A tous ces compagnons d'étude, aux membres de ma famille, aux pères, mères, professeurs, guides, camarades.

A tous ceux-là dédie cet essai..

REMERCIEMENTS

Je rends grâce au Seigneur pour cette opportunité qu'il m'a donnée de me faciliter d'accomplir cette besogne. Je lui rends la grâce que mérite Sa majesté.

Mes remerciements vont ainsi à la prestigieuse université d'Al-Azhar, le sanctuaire de la sagesse et des cultures, le fondement par modèle et le point de rencontre des sciences et des savants. La tribune de la parole et des sermons, l'océan des étudiants et des chercheurs.

Elle détient le bonbon de la piété qu'il revêt et est illuminé par les « hadiss » et les récitations du Coran.

La mère des universités, l'islam est son assise. Le symbole de la droiture. Grâce à elle, réussissent tous ceux qui l'ont fréquentée.

Je remercie vivement mon professeur, Docteur Nadiyatou Youssoufa Kamal, la marraine de ce document. Que Dieu la gratifie et la protège tout lui accordant la longévité. Elle est telle une lueur et un énorme bateau dans les mers qui traverse les vagues. Qu'elle est détentrice du courage ! Elle montre les secrets de la philosophie de son puits. Et ses positions dans les matières montrent sa parfaite intelligence. Sa culture surpasse celle de ceux qui l'ont précédée. Les étudiants sont tellement fiers d'elle. Elle est pour eux un modèle.

A tous mes camarades, mes compagnons de faculté et tous ceux qui ont pris la peine de m'accorder leur cher temps, minime soit-il. Je salue leur compétence, leur rigueur, leur profondes connaissances, leurs pensées fécondes et promptes. Parmi eux, je citerai, à titre d'exemple, la saveur de la demeure, la lumière de la famille Monsieur Mouhamadou Habib SY Mansour :

❖ Le plus donneur de sa génération, la mer de la générosité, la lueur et la bonté ;

- ❖ Pour la religion de la famille et des orphelins ;
- ❖ Gloire à lui, ce petit fils bienheureux, le généreux ;
- ❖ Celui qui épure les nombreuses peines adorateur du guide de son père, vit en protégeant et sécurisant toujours gardant les œuvres du guide, réceptions et pensées ;
- ❖ Au confident et écrivain du guide Abdoul Aziz Sarr qui, gloire à lui, débordé et qui est chargé de culture. C'est un drapeau qui flotte de savoir, de compréhension et d'éthique.

Gloire au guide qui est plein de vertus. Celui qui épure aux paires les lourdeurs guettant.

Que tu ne cesses de nous abreuver du patrimoine que nous a légué le guide.

Au renom du Cheikh, la porte des Saints Elites.

✓ **Au Docteur Youssoupha Batiyi**

Le père de Moustapha, la lune de son temps, le savant, l'éloquent, l'errant qui suit les précieux. Celui dont on ne peut surpasser aucun brillant. Celui auprès qui on cherche les flots de la générosité et des objectifs.

- *Savant, brillant de même que chargé.*
- *Educateur et dompteur agréé de la rhétorique.*
- *Aucun reproche n'est fait à son égard, sauf sa vaste connaissance. Génie comme l'ont témoigné ses étudiants.*

✓ **Au Docteur Oumar Ndiaye**

Le père de Ahmed la fierté des élites. Grâce à son savoir, s'illuminent le cœur et les directions de ces dernières.

Le formateur, l'errant, décotiqueur des questions, le jurisconsulte qui nous épure l'ignorance.

Gloire à lui, le critique et l'intelligent.

Toute personne qui vient vers lui, retournera bourrer de réussite e d'accueil.

✓ **Monsieur le Professeur El Hadji Malick Sow, tuteur des écoles du Cheikh.**

- *Il est éloquent comme « Sahbane ». Il est tellement généreux qu'il était riche tous les pauvres seraient satisfaits.*
- *Par son éloquence, il défend le prophète (paix et salut sur lui). - Il est une lumière éblouissante pour le patrimoine.*
- *Puisse Allah le préserver afin qu'il demeure, à jamais, l'étoile de son patrimoine et la mer abondante.*
- *Je remercie également tous ceux qui ont participé dans ce travail. Je ne saurai pas citer tous les noms.*

Ainsi, je remercie toutes les chères amies, les vertueuses qui ont contribué dans la réussite de ce livre. J'en citerai entre autres :

- ✓ **Aïssatou moustapha Toumb**
- ✓ **Assiyatou Abdou Aziz Mbaye**
- ✓ **Aïssatou Ibrahima Ndiaye**
- ✓ **Aïssatou Médoune Seck**
- ✓ **Aïssatou Ahmed Gaye**
- ✓ **Dieynaba Babacar Touré**
- ✓ **Diama Macam Cissé**
- ✓ **Fatima Ismaïla Lô**
- ✓ **Anta El hadji Abdou Faye**
- ✓ **Marème Moukhtar Ndiaye**
- ✓ **Awa Koumba Sarr**
- ✓ **Adjï Oumou Kaltoum Balla Ndiaye**
- ✓ **Kadjatou Maurice Senghor**

Le commentaire de Ibrahima NIANG sur le livre :

Au nom d'Allah, L'infiniment Miséricordieux, Le très
Miséricordieux.

Louange au Maître des Univers. Salut et bénédiction soient sur le meilleur des Messagers, notre maître et Prophète ; Mouhamed le digne de confiance, sur sa famille, sur ses compagnons ainsi que sur tous ceux qui suivent leurs traces jusqu'au Jour de la Résurrection.

Je me suis retrouvé dans l'impossibilité d'exprimer le bonheur que j'ai éprouvé à la fin de la lecture de l'ouvrage : *" ETUDE ANALYTIQUE SUR LES ASPECTS EDUCATIFS SOUFIS CHEZ SERIGNE MANSOUR SY " BOROM DARA JI". SON OUVERAGE : « AL-MAHAJATUL BAYAD'A FI-IN QAZIL UMMATIL GHARRA» EN EXEMPLE "* du brillant chercheur et littéraire Cheikh Omar DIABY. La source de mon bonheur est que l'ouvrage, contenant des méthodes éducatives et des secrets divins, découvre la richesse précieuse d'une partie de notre patrimoine arabo-islamique sénégalais en général, celui de ce grand marabout en particulier. Son pseudonyme *" borom daara ji "* suffira, d'ailleurs, pour comprendre la vastitude de la mer de son savoir, son attitude, sa vertu, et son éducation.

Nous avons une grande estime pour cet intéressant travail qui contribue tant à la ranimation de notre patrimoine qu'à l'enrichissement de notre bibliothèque. Ainsi, nous exhortons les gens de lettres à donner de plus d'importance à notre riche patrimoine et à en faire des études et analyses mettant en lumière sa beauté légendaire. Et ce, en faisant abstraction des affiliations confrériques, afin de le présenter au monde entier. Que nous nous en occupions est plus primordial que quelqu'un d'autre s'en occupe à notre place.

A l'adresse de cet ouvrage, j'ai dit en poésie :

- Ce livre, dans son contenu, contient des choses émouvantes .Il est le fruit du génie, le chercheur Omar DIABY.
- Il nous a présentés dans le livre du Cheikh (Mansour SY) des connaissances nous ayant ému,
- Elles portent sur l'éducation soufie qui, guidant les élites, englobe les dimensions temporelle et spirituelle
- Il (l'auteur) s'est imprégné dans l'océan des mots afin de nous apporter des perles dorées, sans aucune imperfection.
- Il ne reste aucune pierre précieuse sans qu'il en fasse de nombreux cadeaux à ses amis lecteurs
 - Son style littéraire est élégamment sobre et passionnant, et aisément émouvant, dans la brièveté comme dans le long.
 - Ses mots, du début à la fin, se sont revêtus des vêtements du soufisme tel un manteau
- Il offre aux lecteurs des sens suscitant allégrement leur gaieté.
 - Nulle ambiguïté ne peut être relevée de ses allégations ; tous les chapitres sont bien écrits avec une limpidité mesurée.
- De mon tréfonds, je gratifie cette œuvre scientifique à laquelle j'ouvre grandement mon cœur plein d'émerveillement.
 - Voilà, comment mettre en valeur une richesse. Continue dans cette voie qui, indubitablement, t'apportera de bonnes surprises.
- Que Le Bon Dieu te multiplie les récompenses Ô Cheikh Omar DIABY de cette œuvre que tu as préservée.

Ibrahima Niang

Caire/Egypte

Le commentaire de ALHADJI MALCK SOW

Au nom d'Allah, L'infiniment Miséricordieux Le très Miséricordieux.

Gloire à Celui qui, rendant hommage aux musulmans, dit dans son Livre : « *il est, parmi les croyants, des hommes qui ont été sincères dans leur engagement envers Allah.* » Ces hommes se sont levés du pied de l'ambition et du courage pour purger l'ignorance et l'analphabétisme. Ils ont lutté pour Allah avec tout l'effort que cela mérite, conformément au verset qui dit : « *Et quant à ceux qui luttent pour Notre cause, Nous les guidons, certes, sur notre sentier. Allah est en vérité avec les bienfaisants.* »

Parmi ces hommes, je cite le guide spirituel, l'éminent professeur, l'éducateur, le soufi ascète, l'homme courageux, le prêcheur de l'esprit et de l'âme ; notre maître Serigne Mansour SY (paix à son âme) qui fait partie de l'élite dont le prophète (paix et salut sur lui) parle dans son hadith : « *Les savants sont les héritiers des Prophètes.* » Il a sacrifié toute sa vie dans la préparation d'une génération meilleure, aussi bien du côté religieux, éducatif qu'intellectuel. Tout au long de sa vie, il a promu l'enseignement et l'éducation et soutenu financièrement les démunis. Il était l'exemple parfait du poème qui dit :

Par la science, l'instruction, la dépense dans les sentiers de Dieu et la bienfaisance, vous avez surpassé vos semblables,

Il s'est toujours donné la peine de nouer des relations fraternelles avec toutes les confréries religieuses du pays. Il affirmait, à cet effet, que l'islam est une religion d'unité, de solidarité et de bienfaisance. Il remuait terre et ciel pour faire entendre la voie de Dieu et préserver notre patrimoine spirituel.

D'ailleurs, c'est dans cette perspective que notre ami et frère monsieur Omar Diaby (Qu'Allah le garde et le protège)

nous a présentés cette recherche de fin d'études à l'*Institut de recherches et d'études arabes*, sous le thème : " *ETUDE ANALYTIQUE SUR LES ASPECTS EDUCATIFS SOUFIS CHEZ SERIGNE MANSOUR SY " OBOROM DARA JI" : SON OUVERAGE : « AL-MAHAJATUL BAYAD'A FI-IN QAZIL UMMATIL GHARRA» EN EXEMPLE "*

Que le Bon Dieu le gratifie et lui accorde une longévité.

A la fin de ce mot, je dis en poésie :

- *L'éclair a manifesté dans les étendues ou la lueur de l'aube a traversé les pénombres ?*
- *Ou le zéphyr matinal a bercé la nuit ? ou encore c'est une floraison de fruits ?*
- *Ou l'or décanté a brillé, ou c'est justement un collier précieux paré autour du cou d'une jeune fille, d'une beauté de diamant ?*
- *Non ! ce n'est ni l'un ni l'autre. C'est plutôt un livre intéressant, une référence supérieure dans son sujet.*
- *un vaste océan est venu du maître, savant figurant sur la liste parmi les savants.*
- *je veux nommer Omar le brillant et courageux. Il est un résistant guerrier parmi les grands guerriers.*
- *A travers ce livre, il nous a démontrés la formation du guide, sa doctrine et ses principes.*
- *Il (Serigne Mansour) est l'érudit, le singleton, le guide, l'ascète. il a, sans aucun doute, éduqué et élevé ses disciples au rang voulu.*
- *Tu ne pouvais pas être autrement. Car, tu as grandi sous son égide. la vue des choses n'est pas comparable à leur entente.*
- *Il est le jurisconsulte, le maître, le professeur. Il a toujours éduqué les âmes qui, enfin, sont devenues sages.*
- *Du legs d'Imam Malick, le soleil des ignorants et de ses sources inépuisables à tous les venus*

- *il a toujours donné aux gens la sagesse et la générosité.
Il les a bien perfectionnés*
- *Que Dieu, ton Seigneur te gratifie au milieu des peuples
blancs et noirs et perdure ce travail remarquable*
- Que la paix et le salut de Dieu soient sur le Prophète,
sur sa famille, sur ses compagnons et ses élites.

Professeur Maodo Malick Sow,

Directeur de l'établissement Mouhamadou Mansour SY

A Tivaouane, Sénégal

29/10/2017

Le commentaire de Aliou Moustapha Lawane

Louange à Allah, Le Seigneur des Mondes. Salut et bénédiction sur celui qui a éclairé les yeux et purifié les cœurs ; Mouhamed (paix et salut sur lui), l'envoyé de Dieu qui a tracé le chemin de la droiture, sur sa famille ainsi que sur ses compagnons qui ont éduqué l'humanité sur la bonne voie.

Je me suis prolongé dans l'incapacité d'exprimer mon impression vis-à-vis de cette recherche de notre frère, le noble et gentil Cheikh Omar DIABY sous le thème : «*Les aspects éducatifs soufis chez Cheikh Mouhamed Mansour SY*». Face à elle, j'ai perdu les mots. Je me suis même demandé si je pourrais écrire un commentaire vu que je n'ai pas le niveau qu'il faut.

A dire vrai, cette recherche, dévoilant la capacité scientifique de ce génie, démontre sa personnalité nourrie du lait du savoir, de l'éducation et de l'éthique. Elle révèle, en outre, son attachement touchant au patrimoine africain sénégalais qui, incommensurable, est parfois négligé notamment à cette époque.

Aucune nation ne saurait prendre son envol pour entrer dans le monde du développement et de la civilisation si elle ne souffle pas dans les artères des individus la brise de l'éducation et du principe. En effet, l'éducation est le seul moyen qui soit en mesure de nous sortir de l'épingle du jeu : les âmes, les esprits et les cœurs ont tant bien que mal été fourrés dans le vide de l'ignorance et d'effritement des mœurs. Nombreuses sont les âmes errantes et les esprits égarés qui n'ont pas eu la chance d'avoir une bonne éducation islamique permettant au serviteur de Dieu de goûter des délices de l'adoration et de savoir la voie de Dieu.

A cette occasion, je ne pourrai pas manquer de féliciter le chercheur pour le choix porté sur le livre "AL-MAHA

JATUL BAYD'A FII INQAZI UMMATIL GHARR'A " de Serigne Mansour SY, une des plus grandes figures du Sénégal et de l'Afrique de l'ouest.

Ce livre, dans le fond comme dans la forme, est une parure de rayonnement, de principe et de valeur. J'ai dit, en poésie :

- *Je marche, le couteau pointu à la gorge, le pas empoigné
et le silence de la nuit trouble mes mots.*
- *J'examine les mots. Aucun sens ne fascine mes yeux.
Aucune lettre n'est portée à mon choix*
- *Ô Omar, tu as répandu, parmi nous, les étoiles pour que
nous en recherchions lumière.*
- *Tu as peint un essai vers lequel je marche fourvoiemment
alors que les foulées sont éteintes*
- *Le rayonnement semé par les étoiles de ton écriture a
émerveillé mes yeux. La méthode d'éducation que tu
nous as présentée a soigné mon aveuglement,*
- *Les aspects éducatifs que tu as élucidés sont tels qu'une
eau pure qui étanche ma soif*
- *Tu les as élucidés de façon à purifier les âmes de toutes
impuretés. Tu es maître pour quiconque cherche à être
guider.*
- *J'ai cueilli ce poème de l'arbre de la poésie. Quoi qu'il
soit imparfait, je resterai fidèle à toi.*

Je prie Dieu de faire profiter les générations de cette belle œuvre et qu'il la pèse au bascule de ses actes.

*Par le poète, l'étudiant et chercheur nigérien Monsieur
Aliou Moustapha Lawane le 04/03/2018 au Caire-Egypte*

PREFACE

Louange à Allah, Le Seigneur de l'Univers, un louange reflétant Sa majesté et de Sa grandeur. Nous implorons Son pardon et Sa droiture, et demandons Sa protection contre les maux, les tentatives et l'appétence de notre âme charnelle, et les pièges du Satan. A quiconque Dieu accorde la guidance sera à jamais guidé ; et à quiconque Il ne l'accorde pas sera à jamais égaré. J'atteste qu'il n'y a de Dieu que Dieu, point d'égal ou de pair. Son prophète Mouhamed (paix et salut sur lui) est le Messenger d'Allah. Il a accompli sa mission, réussi sa prophétie et enseigné la Communauté. Grâce à Allah, il nous a épuré des peines, recouvert la vue aveuglée par l'ignorance, et ouvert les oreilles sourdes et les cœurs imperméables. Ô mon Dieu, prie sur notre prophète Mohamed qui a ouvert tout ce qui était clos, complété tout ce qui a précédé, soutenu la vérité par la vérité et guidé dans le droit chemin ; ainsi qu'à sa famille, à la dimension de son grade et de sa suprême élévation auprès de Toi.

Ce document du brillant chercheur Cheikh Omar DIABY traite un thème important qui contribue à l'éducation de la famille musulmane dans cette période marquée par le débordement, à flot, des dérives et handicapes de la bonne éducation. Il aide à inculquer les bonnes valeurs chez l'enfant musulman afin qu'il demeure jaloux pour sa religion et attaché à ses enseignements qui, dans sa globalité, sa profondeur et son impartialité, se distinguent de tout organisme, de toute législation et appellent à l'unité, à faire le bien et à s'éloigner du mal.

En effet, l'auteur a développé le sujet avec un style pédagogique inspiré par la haute pensée soufie. Cette œuvre, sous le thème : " *ETUDE ANALYTIQUE SUR LES ASPECTS EDUCATIFS SOUFIS CHEZ SERIGNE MANSOUR SY " BOROM DARA JI" : SON OUVERAGE :« AL-MAHAJATUL BAYAD'A FI-IN QAZIL UMMATIL GHARRA» EN EXEMPLE " a*

été faite dans le cadre d'une bonne recherche universitaire pour l'obtention du diplôme supérieur à l'*Institut de recherches et d'études arabes, section : recherches et études pédagogiques – Caire*.

Le livre de ce marabout renferme des contenus éducatifs importants méritant toute appréciation et considération, car il porte essentiellement sur les aspects éducatifs dont les jeunes générations doivent se munir. Il examine aussi les enseignements soufis relatifs aux aspects éducatifs de la famille et de la société ainsi que ceux de l'orientation et de la formation. Il propose des voies et des moyens à l'application desquels il est très aisé de parvenir à des résultats satisfaisants. D'autant plus qu'il a suivi l'exemple de Serigne Mansour SY, une des plus grandes figures de la pensée soufie au Sénégal. En fait, ce dernier est un homme de Dieu qui purifiait les cœurs de ses disciples avant d'éduquer leurs corps. C'est d'ailleurs ce qui amène l'auteur à dire dans l'introduction : "*Il n'y rien dont ils n'ont pas une idée. Il n'y a pas d'idée dont ils ne tirent pas de leçon. Il n'y a pas de leçon dont ils ne tirent de bonne exhortation. Il n'y a pas de bonne exhortation dont ils ne tirent de leçons de sagesse. Il n'y a pas de sagesse dont ils ne tirent de savoir. Il n'y a pas de savoir dont ils ne tirent pas de leçons d'éducation. Il n'y a pas de leçons d'éducation dont ils n'apprennent la purification. Il n'y a pas de purification dont ils n'ont pas l'élévation. Enfin, il n'y a pas d'élévation sans témoignage. Et le témoignage est le summum de la voie du serviteur et de l'adoration.*"

Cette recherche, écrit par l'étincelante plume de foi, dans un style sobrement littéraire, sans sortir du contexte ou déstabiliser la beauté de la structure des phrases, dévoile aussi bien l'immensité du savoir de l'auteur, ses qualités d'éloquence requises que la pureté de son intériorité. Elle est en même temps une prose d'une haute qualité qu'une poésie puisée d'une source somptueuse.

Je prie Allah, le Haut et le Suprême de gratifier le chercheur de la science par laquelle il servira les serviteurs de Dieu et réformera le pays, de le récompenser, de compléter sa trajectoire et de faire que cette recherche soit notoirement connue. Qu'Il lui récompense de toute lettre écrite et de tout individu qui y mettra les yeux, comprendra les sens et appliquera les aspects éducatifs, les orientations rabbanites coraniques et les enseignements de la nobles Sounna.

Salut et bénédiction soient sur le prophète Mouhamed, à sa famille ainsi qu'à ses compagnons

**Mouhamad Al Hafiz fils de Ahmad Fils de
Mouhamad Al Hafiz at tijany**

Le 10 Avril 2018

PLAN DE RECHERCHE

INTRODUCTION

Dans l'introduction, nous avons parlé du thème de la recherche, les raisons de son choix, l'importance de l'éducation, la problématique de la recherche, les limites, les vocabulaires, les recherches antérieures abordant le même thème, la méthode que nous allons prendre et enfin les objectifs.

LA PREMIERE PARTIE

Elle est intitulée « Aperçus sur la vie de Cheikh Mouhamadou Mansour SY ». Elle a trois sous parties.

Première sous partie : Sa naissance et son appartenance familiale

Deuxième sous partie : Son aspect physique et intellectuel

Troisième sous partie : La place qu'il a consacrée au savoir, à l'enseignement et à la formation.

DEUXIEME PARTIE

Elle est intitulée : Etudes analytiques des aspects éducatifs du livre de Serigne Mansour SY intitulé : « **AL-Mahajatul bayd'a fi-in qazil ummatil gharra'a** ».

Première sous partie : Exposé et résumé du livre

Deuxième sous partie : Aspects éducatifs concernant la famille et la société

Troisième sous partie : Aspects éducatifs concernant la formation et l'orientation

CONCLUSION

Elle englobe les résultats de l'étude et les recommandations

INTRODUCTION

Louange à Allah Qui dit dans le Coran : « *Dans leurs récits il y a certes une leçon pour les gens dotés d'intelligence* » et : « *Il est, parmi les croyants, des hommes qui ont été sincères dans leur engagement envers Allah* ». Que Son salut et Sa bénédiction soient sur le Prophète qui a été envoyé pour enseigner et éduquer les créatures. Allah dit : « *Certes, j'ai été envoyé pour enseigner les gens* ». En s'adresse aux savants il dit : « *les avants sont les héritiers des Envoyés* ». Que le Salut et la bénédiction soient également sur sa famille, ses compagnons, ainsi que sur tous ceux qui suivent leur voie jusqu'au Jour de la Résurrection.

En effet, l'étude de la vie d'une des figures islamiques et soufies, à l'instar de l'éducateur Serigne Mansour SY, recèle une importance accrue. Elle permet aux nouvelles générations d'avoir des exemples et des modèles en éducation et en éthique afin de forger leurs personnalités, préparer leur avenir et construire leur propre civilisation. L'héritage sacré que nous a légué le prophète (paix et salut sur lui) a vu éclore l'éducation islamique qui a été profondément renforcée et portée partout dans le monde par de très grands savants ayant précieusement conservé sa valeur et l'ayant dignement transmis aux générations héritières. Ils n'ont point manqué d'en faire d'études analytiques devenues, au fil des années, des sources fastueuses de savoir et de conscience pour les fils de leur époque et de ceux de l'avenir.

Consistant à transmettre le savoir, à réformer et à développer la société, l'éducation nécessite, pour sa réussite, des sources et références pouvant éclairer la voie des éducateurs, les écarter de toutes formes de déviance mais aussi les aider à accomplir leur tâche. L'éducation islamique puise ses sources culturelles et intellectuelles dans deux sources fondamentales de l'Islam et des musulmans : Le Coran et la Sunna. Protégés par Allah qui

dit : «*En vérité, c'est Nous qui avons fait descendre le Cora, et c'est Nous qui en sommes gardien*», ces deux derniers sont la pierre angulaire et le socle granitique de l'éducation islamique qui a pour but de hausser la gloire des musulmans et d'attiser le flambeau de la civilisation islamique. Cette éducation renferme tous les domaines du savoir humain et les pensées visant à parer l'individu de nobles vertus. Ce qui fait qu'elle soit plus complète que tous les autres modèles d'éducation qu'ils soient traditionnels ou modernes. Elle se distingue d'eux, aussi bien par sa nature, ses objectifs, son contenu et ses spécificités, que par ses caractéristiques et impacts scientifiques. Etant une éducation rabbanite, nous permettant de suivre la voie de l'Islam qui englobe la vie d'ici-bas et celle de l'au-delà, elle répond à tous les besoins de l'individu et du collectif. Nous pouvons même dire, sans risque de nous tromper, que l'éducation islamique constitue la traduction en réalité des principes de l'Islam et ses impacts dans le comportement du musulman. Car elle vise à forger la personnalité du musulman et orienter ses forces vers une méthode inclusive et complémentaire lui permettant de s'exprimer librement, de servir son existence et de diversifier les civilisations humaines afin qu'elles puissent être en parfaite harmonie avec l'homme, les exigences de sa vie sur Terre et de son rôle.

Par ailleurs, l'objet de cette étude que nous voulons présenter ici, prend un aspect intéressant de la vie de l'homme au sein de la société. Il s'agit du code de la famille sénégalais sur lequel figurent le divorce et l'héritage. Ces deux font partie des questions qui, le plus, causent des dissensions et conflits dans les familles et la société. C'est certainement la raison qui a conduit Serigne Mansour Sy à publier un ouvrage intéressant intitulé : « **AL-Mahajatul bayd'a fi-in qazil ummatil gharra'a** ». Prédicateur islamique et symbole du pays, occupant une place importante et influente dans la société, ce marabout a joué

un rôle de leadership en assumant toutes ses responsabilités. Cet ouvrage est un appel fort lancé au gouvernement sénégalais pour l'inciter à prendre conscience de l'intérêt de l'application des recommandations sacrées du Coran et de la Sunna dans le code de la famille des musulmans. Il affirme aussi la flexibilité de l'éducation islamique, son équilibre et sa globalité de toutes les dimensions de la vie humaine.

A cet effet, nous avons choisi ce thème pour plusieurs raisons : Promouvoir l'héritage scientifique riche en contenus et orientations que nous a léguées le Cheikh. Vouloir orienter la société sénégalaise vers la nécessité de donner plus d'importance à l'étude du patrimoine que nous ont réservé nos guides religieux. Voir que peu de chercheurs arabophones sont intéressés par cet aspect significatif. Entre autres.

Cette étude analytique est donc d'une importance sans faille d'autant plus que les aspects éducatifs dans la vision de Serigne Mansour SY font partie des plus grands soubassements de l'éducation du soufisme islamique. En outre, ils sont plus proches de la mentalité des Sénégalais comme de la réalité de leur vie sociale. Nous allons, en fait, le voir plus loin dans l'étude de son ouvrage. Serigne Mansour SY, à vrai dire, fut un grand savant musulman, un philosophe, un pionnier du Soufisme. Il fut également un soutien pour les défavorisés et les orphelins auxquels il apportait soutien et appui. C'est pour la noblesse de ses caractères que son cousin, Serigne Abdou Aziz SY lui dédia un poème dans lequel il dit :

«Combien tu es généreux, oh toi Mansour, le bonheur des créatures de Dieu. Tu es la grotte de la famille et la source de la gnoses !»

Dans cette recherche, nous allons essayer de démontrer les éléments qui ont contribué dans la formation de la personnalité scientifique de Serigne Mansour SY. Nous

allons aussi mettre l'accent sur ses principales réalisations dans le champ du savoir en mettant, particulièrement, en lumière sa contribution dans l'éducation tout en nous insistant sur les aspects éducatifs soufis de son ouvrage précité qui, d'ailleurs, est l'objet de notre principal propos.

APERÇUS SUR LA VIE DE SERIGNE MANSOUR SY (1925/2012)

Né le 15/08/1925 à Tiwaoune, capitale de la science et de la culture islamique, Serigne Mansour SY est le fils de Serigne Ababacar SY et Sokhna Aicha SECK. Son arbre généalogique remonte jusqu'à Cheikh Yahya qalqmi. Serigne Mansour est le fils de Serigne Alhaji Malick SY (RYA), le porteur de l'étendard de la confrérie tidiane dans l'Afrique occidentale. Serigne Alhaji Malick SY, fils de Ousmane, fils de Mou'az, fils de Mouhamed, fils de Aly, petit-fils de Youssouf de Djolof, est le petit-fils de Yahya qalqami. Que la bénédiction d'Allah soit sur eux. Cette famille est notamment réputée pour leurs qualités morales et imprégnation dans la science. Serigne Ababacar SY fut une montagne de savoir et un grand ascète dont la personnalité dégageait les symptômes de la chasteté, de la dévotion et de la droiture. En homme de Dieu, il passait la journée, comme la nuit, à l'adoration de Dieu, à l'invocation, à la récitation du Coran ainsi qu'à la glorification. Très attaché à la Sunna et au Coran, il défendait avec conscience la Charia (loi islamique) et la Tidianiya.

Quant à sa mère, Sokhna Aissatou SECK, est la fille de Sokhna Bintou Demba SECK, fille de Serigne Doudj SECK, fils de Wasour un des grands fondateurs de la ville Mbaw. Leboue de souche, cette dame vaillante était d'une grande dévotion ; connue pour sa piété et sa générosité.

Sa formation personnelle et intellectuelle

Ayant atteint à l'âge d'aller à l'école, Serigne Mansour a appris le Coran à l'école de Serigne Mama LO avant d'entreprendre l'apprentissage des sciences religieuses et de la langue arabe. Il a fait le tour de plusieurs Majalis où il a appris différents livres lui assurant sa carrure intellectuelle et spirituelle.

Sa place scientifique et son métier d'éducateur et d'enseignant

Serigne Mansour, fut un savant de la trempe. Une source somptueuse de sagesse, un trésor de science et un dépôt des secrets de Dieu. Il passa la plus grande partie de sa vie à enseigner les différentes disciplines islamiques et à former des générations de modèle. Il leur enseignait toutes valeurs dignes d'un bon musulman mais surtout les incitait à aimer les savants, les vertueux et les sciences. Pédagogue, il avait un style particulier. En effet, avant d'aller donner de cours, il prenait soigneusement soin de son apparence. Il mettait de beaux vêtements et s'arrosait un bon parfum. Comprenant les différents niveaux d'intelligence de ses disciples, il donnait, à chacun d'eux, la leçon qui convenait à sa compréhension. Autrement dit, il suivait strictement l'exemple du prophète (paix et salut sur lui) dans l'enseignement et l'éducation. Cet engouement et cette détermination qu'il eut pour cette besogne lui valurent une grande réussite. Un grand nombre de savants et intellectuels très performants sont sortis de son école. A titre d'exemples, nous allons faire une liste :

Nom	Lieu	Nom	Lieu
Imam el hadji ibrahima diop	Tiwaoune	Professeur El hadji ibrahima sy	Tiwaoune
Imam el hadji moussa diop	Tiwaoune	Professeur moustapha sy	Tiwaoune
Imame el hadji assane diop	Tiwaoune	Professeur malick ba	Tiwaoune
Imam el hadji maguette diop	Tiwaoune	Professeur malick faye	Tiwaoune
Imam eh hadji ousseynou diene	Tiwaoune	Professeur malick diop	Tiwaoune
Imam el hadji omar ghirane	Tiwaoune	Professeur mansour diop assane	Tiwaoune
Imam el hadji moussa nioune	Tiwaoune	Professeur Mansour diop moussa	Tiwaoune
Imam abdou sarr	Tiwaoune	Profeseur diop gannaar	Tiwaoune
El hadji abdou aziz sarr	Tiwaoune	Professeur pape sarr	Tiwaoune
El hadji moustapha sarr	Tiwaoune	Professeur rawane fall	Tiwaoune
El hadji nouhine ba	Tiwaoune	Professeur samba fall	Tiwaoune
El hadji khalipha khoule	Tiwaoune	Professeur moustapha niange	Tiwaoune
El hadji gora Ngome	Tiwaoune	Professeur el hadji alioune ndiaye	Tiwaoune
El hadji malick diop	Tiwaoune	Professeur moustapha ndiaye	Tiwaoune
El hadji cheikh diouf	Tiwaoune	Professeur ahmadou ndiaye	Tiwaoune
Serigne Mansour diouf	Tiwaoune	Professeur omar ndiaye	Tiwaoune
El hadji mawdo malick sow/superviseur	Tiwaoune	Professeur cheikh omar diaby	Tiwaoune
El hadji pape faye/secretaire	Tiwaoune	El hadji abdoulaye ndire	This

El hadji ndiasse gueye / secretaire	Tiwaoune	El hadji ousseynou djite	This
El hadji ousmane mbaye/ secretaire	Tiwaoune	El hadji ousmane mbadj	Mbour
Pape khlipha gassama / secretaire	Tiwaoune	Professeur el hadji papa kane	Mbour
Serigne Mansour gassama	Tiwaoune	Professeur mouhamed seck	Mbour
Serigne mouhamadou mansoue ba	Tiwaoune	Professeur omar ba	Mbour
Serigne khalipha Ngome	Tiwaoune	Professeur mbaye fall	Mbour
Serigne Hassane seye	Tiwaoune	Thierno Alioune tall	Saloum
El hadji Moustapha toure / secretaire	Saloum	Oustaz Moussa loukaar	Saloum
El hadji omar ba	Saloum	Oustaz arona ndiaye	Saloum
El hadji ousmane sarr / secretaire	Saloum	Oustaz ahmadou saadj	Saloum
El hadji cheikh tidiane drame	Saloum	Oustaz Mansour thiakh	Saloum
El hadji omar diop/ secretaire	Saloum	Serigne babacar ndao	Saloum
El hadji malick thiombane	Saloum/keur alpha thiombane	Serigne ousseynou sall	Saloum
El hadji malick sall	Saloum/ ndoukou mane	Serigne lassana fafana	Saloum
El hadji baye drame	Saloum/ ndofane	Serigne babacar loum	Saloum
El hadji omar drame	Saloum/ndofane	Serigne ibrahima dieng	Saloum
El hadji toure aadj	Saloum/ keur ayib	Serigne adama dieng	Saloum
El hadji dame lo	Saloum/kafrine	Cheikh el hadji mouhamed djiaby	Saloum

Serigne ousmane gaye	Saloum/ndiobene	Serigne massamba diaby	Saloum
Serigne bamba sall	Saloum/kounguel	Serigne ousmane diaby	Saloum
Serigne ibrahima diop	Saloum/kounguel	Serigne soulaymane diaby	Saloum
Oustaze babacar diop	Saloum/kounguel	Serigne abou bacar diaby	Saloum
Oustaze moustapha diop	Saloum/kounguel	Imame el hadji alioune sakho /al khaady	Gambie
Serigne bacar diouf	Saloum/fatick	Oustaz sahiid siniane	Gambie
Oustaz hady diouf	Saloum/fatick	Oustaz abdoulaye sonko	Gambie
Oustaz djibril sene	Saloum/fatick	Oustaz malick cisse	Gambie
Oustaz habib ndao	Saloum/dianklar	Oustaz adama lo	Gambie
Oustaz alioune diop	Saloum/kafrine	Oustaz ahmadou lo	Gambie
Oustaz mor Diallo	Saloum/	Oustaz massamba lo	Gambie
Oustaz pape gueye	Saloum/	Oustaz falilou toure	Gambie
Oustaz mouhamadou lamine gueye	Saloum/	Oustaz alioune diaby	Gambie
Oustaz Mansour sy	Saloum/	Oustaz ibrahima diaby	Gambie
Oustaz ibrahima sy	Saloum	Oustaz mouhamed ndao diaby	Gambie

La liste est loin d'être exhaustive.

De l'autre côté, il faut noter que Serigne Mansour a formé personnellement ses propres fils dont Cheikh Ahmed Tidiane SY, un des plus brillants intellectuels sénégalais de cette ère. Nous allons aussi faire une liste pour montrer l'immensité du savoir de ce marabout ainsi que son engouement à l'enseignement islamique :

serigne cheikh ahmad tiadiane sy	Tiwawone	Soxna tabara sy al hafida	Tiwawon
Serigne moustapha diamil sy	Tiwawone	Soxna maman diatta	Tiwawon
Serigne mouhamadou habib sy	Tiwawone	Soxna fatou sy diouf	Tiwawon
Serigne el hadji malick sy	Tiwawone	Soxna Astou ndoye	Tiwawon
Serigne abdou aziz sy	Khombole	Soxna aichatou toumbo	Tiwawon
Serigne mouhamou bachir sy al hafiid	Tiwaonw	Soxna aida wade	Tiwawon
Soxna Fatima sy Mansour	Tiwawonw	Soxna diakha cisse	Tiwawon
Soxna mame khaar sarr	Khombole	Soxna fatimatou sy faye	Tiwawon
Soxna maty diaw	Tiwawonw	Soxna amina toumbo al oumou	Tiwawon
Soxna oumou khairy sy	Tiwawonw	Soxna oumou khairy sy ngom	Tiwawon
Soxna sofiyatou sy	Tiwawonw	Soxna Fatima ndiaye gassama	Tiwawon
Soxna assiatou sy	Khombole	Soxna oumou khairy gassama	Tiwawon
Soxna yaye aida sy	Tiwawonw	Sona aida gassama	Tiwawon
Soxna oumou kalsoum sy Amira	Tiwawonw	Soxna maty toure	Tiwawon
Soxna ndeye astou sy	Tiwawonw	Soxna fatimatou seck	Tiwawon
Soxna Fatima diagne sy	Tiwawonw	Soxna ndeye rosaly ndiaye	Ndar
Soxna astou ndoye	Tiwawonw	Soxna Fatima ba	Ndar
Soxna Fatima sy mbengue	Dakar	Soxna aida ndiaye	Ndar
Soxna dial fall	Tiwawonw	Soxna aida mbengue	Ndar
Soxna khadidiatou ndoye	Tiwawonw	Soxna code ndao	Ndar

Soxna astou doukoure	Tiwawonw	Soxna mareme ly	Ndar
Soxna arame ndiaye	Tiwawonw	Soxna diariyatou ly	Ndar
Soxna soda dieng	Cherif lo	Soxna adama diop	Ghaye
Imam el hadji mame gore top	Dakar	Serigne daouda mbengue	Diolof
Outaz el hadji khalipha gueye	Dakar/rufisque	Oustaz babacar fall	Diolof
Oustaz el hadji daouda dieng	Dakar/yoff	Serigne moustapha thiauw	Khombol
Oustaz el hadji alioune mbengue	Dakar/dieupeul	Oustaz imam thiauw	Khombol
Oustaz mouhamadou ndour	Dakar/bargni	Oustaz moussa sy	Khombol
Oustaz Mansour ndiaye	Dakar/ bargni	Oustaz mouhamadou Mansour kandji	Diourbel
Oustaz alioune dieng	Dakar/ bargni	Oustaz cheikhou omar loum	Diourbel
Serigne yankouba samb	Dakar/ bargni	Oustaz el hadji cheikh lecoor	Linguere
Oustaz mouhamadou lo	Dakar/golf	Oustaz el hadji abdou lecoor	Linguere
El hadji cheikh seck	Dakar/golf	Oustaz khalipha niange	Saint Louis
El hadji abdoulaye niange	Dakar/golf	El hadji magate dem	Saint Louis
El hadji alioune kane	Daka/pikine	Serigne Mansour mbodj	Saint Louis
El hadji cheikh fall	Daka/pikine	Imam el hadji bachirou sagna	Ziguinch ore
El hadji mouhamadou gueye Khalil	Daka/pikine	Oustaz el hadji malick toure	Dagana
El hadji khalipha diop	Dakae/yeumbeul	El hadji mbaye sy	Madina sy
El hadji ibrahima sene	Dakar/baobab	El hadji mor gueye	Niayobe
Elhadji doudou wade	Dakar	Serigne modou fall	Ghaye

Soxna ramatou laye gueye	Dakar/oacam	Soxna ndaye toumbo	Dakar/rufisque
Soxna abibatou diagne	Dakar	Soxna amina toumbo trawore	Dakar/rufisque
Soxma maimouna ba	Dakar	Soxna ndeye leemou dial	Dakar/rufisque
Soxna adji gueye	Dakar	Soxna ndeye mour dial	Dakar/rufisque
soxna kine ndiaye	Dakar	Soxna anta ndoye	Dakar/rufisque
Soxna ndaye amina niange	Dakar	Soxna awa kane	Dakar/rufisque
Soxna amina niange	Dakar	Soxna Fatima diagne	Dakar/rufisque
Soxna amina dieng	Dakar	Soxna amina mbengue	This
Soxna ndiaya mbengue	Dakar	Soxna oumoul khayry mbengu	This
Soxna ousy diaw	Dakar	Soxna aida mbengue	This
Soxna seynabou fall	Dakar	Soxna mame khar boye	This
Soxna faty sy fall	Dakar	Soxna Fatima sy ndiir	This
Soxna faty sy khouma	Dakar	Soxna kine diop	This
Soxna faty sy dabo	Dakar	Soxna daba diop	Mboro
Soxna amina kane	Dakar	Soxna oumou kalsoum diouf	Mboro
Soxna aminata ndiaye	Dakar	Soxna oumoul khairy diop	Thiowor
Soxna maimouna diagne	Dakar	Soxna yacine ndiaye	Saloum
Soxna awa seck	Dakar	Soxna Fatima diaw	Saloum
Soxna Niangna faye	Dakar	Soxna maguette gueye	Saloum
Soxna salimata diane	Dakar	Soxna ndeye dieng	Saloum

Oustaz mouhamadou mansour ndieguene	Thies	Soxna astou fall	Tivaouane
Oustaz Alioune Ba	Thies	Soxna mada ndiaye	Tivaouane
Oustaz mouhamadou Mansour ka	Tivaouane	El hadji assane diop	Cote d ivoire
Oustaz mouhamadou Mansour fall	Tivaouane	Soxna yacine diop	Cote d ivoire
Oustaz mbaye fall	Tivaouane	Soxna astou kane cisse	Cote d ivoire
Oustaz moustapha diouf	Tivaouane	Serigne el hadji fall	France
Oustaz makhtar ndiaye	Tivaouane	Soxna aminata diagne	France
Oustaz ousmane gaye	Tivaouane	Soxna Fatima fall	France
Oustaz souleymane sall	Tivaouane	Soxna aida fall	France
Oustaz Babacar BA	Tivaouane	El hadji malick mbaye	Dakar
OUSTAZ Abdoulaye Ndiaye	Tivaouane	Serigne mouhamadou Mansour mbaye	Dakar
Soxna Fatima dia	Tivaouane	Serigne samba faye	Dakar
Soxna ndeye anta sall	Tivaouane	Serigne pape ibrahima ndiaye	Dakar
Soxna astou ndiaye	Tivaouane	Imame el hadji amad camara	Dakar

El hadji beydy gaye	Dakar	Serigne pape ndiaye	Gambie/ndia yene
Oustaz Babacar sall	Dakar	Serigne mor yama ndiaye	Gambie/ndia yene
Soxna khadidiatou gaye	Dakar	Serigne ibrahima ndiaye	Gambie/ndia yene
Soxna ndeye Diallo	Dakar	Serigne mouhamed ndiaye	Gambie/ndia yene
Soxna became diagne	Dakar	oustaz madi cisse	Gambie / mbate ndar
Soxna ndeye fary diop	Dakar	Serigne mame gore lo	Gambie/ke ur bamba
Soxna arame samb	Dakar	Serigne ibrahima diabo	Ndiabo sandial /gambie
Soxna fatimatou wade	Dakar	Serigne mouhamadou lo	Ndiabo sandial /gambie
Soxna mariama baro	Dakar	Imame cherif khatab	Farafegne
Soxna Fatima iyane sy	Dakar	El hadji ousmane ndiaye	Farafegne
El hadji souleymane cisse	Gambie/ bate ndar	Oustaz alioune toure	Farafegne
El hadji madi ciss	Gambie/ bate ndar	Serigne mouhamed diagne	Farafegne
El hadji alioune cisse	Gambie/ bate ndiol	Serigne mouhamadou lamine seck	Farafegne
El hadji ndiol cisse	Gambie/ bate ndiol	Serigne Mansour cisse	Farafegne

Imame el hadji diabel toure	Farafegne	Serigne el hadji omar gaye	Poste keur ayip
Serigne el hadji Mouhamed seck	Farafegne	Serigne ghanda mbye	Gambie/di arak
Serigne dame seck	Farafegne	El hadji omar awa ndiaye imame	Gambie/nd iayene
Serigne malick toure	Farafegne	Serigne mame layene ndiaye	Gambie/nd iayene
Serigne ousmane toure	Farafegne	Serigne cheikh tidiane ndiaye	Gambie/nd iayene
Soxna ndeye kandji drame	Farafegne	Oustaz Mouhamadou bachire diallo	Saloum
Oustaz cheikh ahmed tidiane cisse	Poste keur ayip	Oustaz Babacar signane	Saloum
Oustaz abdou thiam	Poste keur ayip	Oustaz Ibrahima signane	Saloum
Serigne el hadji diama gaye	Poste keur ayip	Oustaz Bachir kante	Saloum
Serignr el hadji niang	Poste keur ayip	Soxna khoudia diaby	Saloum
Serigne el hadji moussa gaye	Poste keur ayip	Oustaz khalifa dieng	Saloum/mboss
Serigne el hadji omar gueye	Poste keur ayip	Serigne el hadji abdou toure	Keur ghatane
Serigne moustepha niang	Poste keur ayip	Serigne amar diop	Louga

A l'image de de Serigne Alhadji Malick, Serigne Mansour, a érigé plusieurs Daaras (écoles coraniques) et mosquées dans différents villes et villages du pays dans le but de promouvoir l'enseignement islamique. C'est le cas de la grande mosquée de Tiwaoune, des Almadies, de Golf-Nour à Dakar, de Ndiarde, et tant d'autres connues dans le pays.

Ce qui révèle nettement que le marabout eut une vision panoramique de l'éducation qui, pour lui, signifie toute activité pouvant faciliter la conformité de l'homme aux recommandations de Dieu. Il croyait fermement qu'autant que l'homme devrait adorer Allah autant qu'il devrait construire sa vie terrestre ; conformément aux versets : « *Je n'ai créé les djiïnes et les hommes que pour qu'ils M'adorent* ». Dans une autre sourate : « *De la terre, Il vous a créé, et Il vous l'a fait peupler (et exploiter).* » Cela explique l'intérêt qu'il accordait aussi à la construction de mosquées que d'écoles coraniques. Ainsi s'intéressait-il beaucoup aux dimensions socioculturelles du pays telles que l'agriculture et la croissance économique. Autant dire, il illustrait parfaitement bien la complémentarité de la vie d'ici-bas et de celle de l'au-delà dont Allah dit : « *Et recherche à travers ce qu'Allah t'a donné, la Demeure dernière. Et n'oublie pas ta part en cette vie. Et sois bienfaisant comme Allah a été bienfaisant avec toi. Et ne recherche pas la corruption sur terre. Car Allah n'aime point les corrupteurs.* » Partout dans le pays, il eut des champs de grands hectares où il pratiquait l'agriculture. Mboro, Diamagueune, Manko, Poute, Keur Massar en sont des exemples.

Toute sa vie ne se limita pas à cela. Par contre, Serigne Mansour eut été la bouche des pauvres auxquels il apportait, avec beaucoup d'affection, un soutien soutenable. Il subvint à leurs besoin et même les envoya à la Mecque en temps de Pèlerinage. Tout au long de leur voyage, il les prit en charge financièrement. En 2000, par exemple, il eut envoyé à la Mecque environs 100 personnes. Ce geste noble,

salué par le roi du Maroc Mouhamed IV – qu'Allah lui accorde une longue vie - a conduit celui-ci à lui envoyer 12 billets d'avion pour la Mecque, dans le but de contribuer dans ces actes de bienfaisances.

A l'évidence, il est important, dans l'analyse de sa valeur intellectuelle et de son engouement pour l'éducation et l'enseignement, de mettre un accent particulier sur ses écrits à travers lesquels il a servi la société. A l'instar des grands savants, il eut laissé une œuvre remarquablement merveilleuse qui est composée des poésies et des livres écrits sur thèmes divers et variés.

Pendant sa vie, comme après sa disparition, beaucoup de ses disciples et ses connaissances lui ont aussi adressé des poèmes extraordinaires dans lesquels ils ont admirablement chanté ses louanges et fait d'intéressants témoignages. Ce guide religieux ne fut pas un produit du hasard. Il fut une montagne de savoir, de sagesse et de piété. Ces caractéristiques, éléments constitutifs de sa personnalité, furent fondamentalement héritées de son milieu religieux et soufi et de son environnement socio-éducatif.

Ce fut un samedi du 23/01/1424 (08/12/2012) à l'hôpital du sud-américain, à Paris qu'il rendit l'âme, à l'âge de 87 ans. La dépouille a été rapatriée et accueillie aux cimetières de Tiwaoune. Le monde musulman entier a présenté à sa famille et à la confrérie ses condoléances les plus attristées. Qu'il soit couvert de miséricorde de Dieu et que la bénédiction soit sur sa famille.

LE RESUME DU LIVRE : « AL-Mahajatul bayd'a fi-in qazil ummatil gharra'a »

Le livre a été ainsi intitulé (*la voie de la lumière dans le secours de la communauté éclairée, en arabe*) pour inciter le prédicateur à prendre conscience du rôle qu'il doit jouer dans la conscientisation de sa communauté et de sa société toute entière. Il se veut que tout un chacun sache que " *la voie de la lumière* " (le Coran et la Sunna) est pour guider les gens et non les égarer. De ce fait, la pratique de la loi islamique est la véritable satisfaction éternelle et la paix dans la vie ici-bas et dans l'au-delà. Pour preuve, l'auteur a indiqué plusieurs versets et hadiths appuyant ses paroles. Ensuite, il a remercié les membres de la commission islamique qui, suivant les traces de leurs prédécesseurs, ont réformé le code de la famille sénégalais. Il leur a ainsi exhorté à demeurer unis et solidaires dans le bien et la piété. Il les a également appelés à se conformer aux droits fraternels dont Dieu ne laissera personne passer, le Jour de la Résurrection, qu'après l'en avoir réglé son compte. Il a enfin salué les efforts des chefs religieux dans la dénonciation de l'injustice du gouvernement qui a émis de citer, dans le code de la famille, les dispositions de l'héritage et du divorce. A la conclusion, il a annexé le poème de son défunt cousin, Serigne Cheikh Alhadji Abdoul Aziz SY dans lequel il recommande aux musulmans de s'attacher au Livre saint et à la Sunna du prophète (paix et salut sur lui) tout en pratiquant leurs préceptes et se jugeant à leurs dispositions. Mais aussi unir leurs rangs et s'éloigner de la diversité. Il est, par-ici, entré dans le vif du sujet d'où il a proposé ses pistes de solution pour l'intégration des dispositions des points manquant du code de la famille tout en se basant sur l'enseignement de l'Islam. A la fin de ce chapitre, il a partagé un poème qu'il a dédié à la commission islamique dont le travail remarquable lui a attiré l'attention.

A regarder le livre, nous pouvons comprendre aisément que l'objectif principal que Serigne Mansour voulait atteindre était l'unité des musulmans à laquelle Allah a appelé lorsqu'il dit : " Et cramponnez-vous tous ensemble à la " Habl " (câble) d'Allah, et ne soyez pas divisés ". Il était convaincu que les désaccords et les problèmes qu'incite le dit code sont dus au fait que l'on ne se base pas sur les dispositions de la loi islamique qui est la seule et véritable constitution impartiale et complémentaire. La non-conformité du code avec le droit musulman est à l'aune de la polémique suscitée. Car n'étant pas conforme avec leurs valeurs, leur choix et leur religion.

Les aspects éducatifs concernant la famille, la société et l'orientation

Les aspects éducatifs enseignés dans le livre sont répartis en deux catégories : la famille et la société. Ces deux englobent les modèles, les valeurs, l'éthique, la religion, la famille, la communauté et l'ascendance.

- **La société** : est un groupe d'individus unifiés par un réseau de relation, de tradition et d'institution. Ils se respectent et constituent, dans le village ou la ville où ils vivent, une partie de la vie sociale.
- **Le modèle** : c'est tout ce qui représente un peuple ou une société qu'il s'agit des traditions, des convictions, de l'éthique ou de la morale. Il est ainsi l'assemble de concepts représentant de manière simplifiée une chose réelle déjà existante.
- **Les valeurs** : font référence à notre vie, notre conviction et notre action ayant une valeur et impact positif sur notre comportement. Elles sont des normes qui donnent aux individus les moyens d'orienter leurs comportements dans la vie et de mesurer leur rapproche ou éloignement de la bonne voie. La sincérité, par exemple, est une valeur noble dans la société. L'homme doit être sincère dans ses paroles, ses actes et son comportement vis-à-vis des autres.
- **La morale** : c'est l'ensemble des règles ou préceptes, obligations ou interdictions, relatifs à la conformation de l'action humaine aux mœurs et aux usages d'une société données
- **La religion** : c'est un système de pratique et de croyance en usage dans un groupe ou une communauté. En Islam, elle consiste à accepter en attestant, en acte et en parole, qu'il n'y a pas de Dieu qu'Allah et à se soumettre à Ses prescriptions tout en évitant Ses proscriptions
- **La famille** : c'est une communauté d'individus réunis par des liens de sang existant dans toutes les sociétés

humaines. En Sociologie, elle est considérée comme le socle de la régulation sociale. Elle est dotée d'une grande capacité allant même jusqu'à pouvoir créer des liens de solidarité morale et matérielle censée garantir la pérennité de la vie et la réalisation des sentiments et émotions sociaux tels les sentiments de paternité, de maternité et de la fraternité.

- **La communauté** : elle désigne un ensemble de personnes issues de la même race, ayant la même langue et partageant les mêmes intérêts, le même environnement et la même histoire dans la même terre pendant des siècles.
- **La mère** : la femme qui a un ou plusieurs enfants
- **La progéniture** : c'est l'ensemble des êtres engendrés par un homme, mis au monde par une femme

Pour ce qui est de la ligne de conduite de ces points, il s'avère qu'une forte relation harmonise ces points. Entre la " communauté ", la " société ", la " famille ", la " mère " et la " progéniture " se trouve une grande relation. La même remarque est à faire entre les " modèles ", les " valeurs ", la " morale " et la " religion ".

Traduisant ces liaisons en réalité, Serigne Mansour SY s'investit dans une logique selon laquelle le Président Senghor aurait dû prendre en considération toutes ces valeurs. Son projet de loi, béni par son gouvernement, ne fut nullement en accord avec la vie des musulmans du Sénégal. Aucun pays ne saurait vivre durablement s'il est frappé par l'effritement des valeurs morales et religieuses. Voilà pourquoi l'éducation et les valeurs sont inséparablement liées. Chacune d'elle impacte l'autre. L'éducation a le but d'inculquer des valeurs sur la jeunesse, tandis que les valeurs impactent l'éducation dans la mesure où elles constituent des normes et règles de conduite du processus de l'éducation. Sans celle-ci, il serait difficile, voire impossible, de fructifier des valeurs sur la nation.

Autant dire, les valeurs ont pour objet de garantir à la société la cohésion et la stabilité tout en lui fixant les objectifs de la vie. Grâce à elles la société vivant dans la paix préserve ce qu'elle a de plus cher et s'éloigne de toute turpitude et perversité. Elle vit dans la concordance et l'unité d'objectif et de développement. L'instruction et la croyance religieuses demeurent aujourd'hui, la force vive de l'esprit moral de la société. La religion n'enseigne pas seulement la vertu, elle catalyse l'action morale. Beaucoup de preuves empiriques montrant la forte corrélation entre l'observance religieuse et le comportement vertueux. Les gens qui vivent leur religion tendent à être plus généreux et civique avec les autres. Poussés par la foi, ils accomplissent des actions charitables et servent de façon désintéressée. Le musulman est appelé à adopter un bon comportement avec tous les êtres vivants, y compris les animaux. Ainsi, doit-il faire tout ce qui est de son possible pour purifier son âme comme dit le Coran : « *A réussi, certes, celui qui la purifie* », d'où l'importance du Soufisme dans l'enseignement islamique.

En effet, le Soufisme est la quiescence de l'Islam. Elle n'est pas une hérésie comme prétendent certaines personnes. Il apprend l'adepte à savoir purifier son cœur de toute jalousie, d'avarice, d'égoïsme ainsi que de tous les vices afin de se les substituer avec les bonnes qualités. Les soufis interdisaient aux disciples de se pencher vers la vie mondaine. Car celle-ci attire tous les maux et mauvais comportements. La vie mondaine est caractérisée par le matériel pour lequel les gens se démentent tandis la spiritualité les tirent vers le bonheur de la vie de l'au-delà. Ce qui fait qu'elle constitue une jouissance trompeuse. Dans un long et beau poème, Cheikh Alhadji Malick SY décrit le bas monde en disant :

Certes, le bas monde est comme un mirage dans une plaine désertique que l'assoiffé prend pour de l'eau à boire

Dans le même poème, il dit aussi :

Si cette vie te rend heureux un jour, il te rendra malheureux, plus vite, un autre jour. Les plaisirs attirant le feu ne valent rien

Malgré tout cela, il faut reconnaître que tout n'est pas mauvais dans la vie temporelle. Car étant un moyen de prendre son viatique vers la vie de l'au-delà. Le prophète (psl) dit : « *la vie présente ainsi que tout ce qui y sont maudits sauf le fait d'ordonner le convenable, d'interdire le blâmable et d'invoquer Allah.* » Le hadith fait référence à tout ce qui ne pourra profiter le croyant après sa mort et à l'au-delà. Quant à les choses lui procurant les jouissances de la vie présente et n'ayant aucun fruit dans la vie de l'au-delà sont bien maudites. C'est le cas des désobéissances et des choses licites qui s'ajoutent au besoin de l'homme. Le musulman est appelé à prendre son viatique de la vie temporelle pour son grand voyage à l'au-delà. Il ne doit pas se détourner catégoriquement de la vie présente mais ne doit pas non plus la préférer à celle qui l'attend. Ce qui dit que l'Islam appelle à concilier la matière et la spiritualité. L'une ne doit prendre le dessus sur l'autre. Ce qui fait dire que l'Islam s'intéresse autant à la vie présente qu'à celle de l'au-delà.

La famille, dans l'enseignement islamique, ne se limite pas seulement aux deux parents et leurs fils. Par contre, elle englobe aussi les proches dont les frères et les sœurs, les liens du sang, les tantes, les oncles, les nièces et leurs filles et fils. Dans le dernier sermon du prophète : "*vous avez tous un unique Dieu et un unique père.*" Tous ceux-ci ont les mêmes droits et le même lien que l'Islam considère parfaitement. L'Islam met en garde quiconque coupe les

liens du sang. La famille, en effet, est le pilier le plus important de la société. La durabilité de celle-ci réside dans la vie et la permanence de la famille. C'est pourquoi l'éducation, pour qu'elle soit féconde, commence par la famille et la maison que bâtissent les deux époux. La destruction de la famille entraînant la destruction de toute une communauté. Car elle est une communauté en miniature. Celui qui parvient à bien gérer une famille et la hisser au niveau humanitaire parviendra, avec de petits efforts, à bien gérer l'institution la plus réussie.

Pour la meilleure éducation, l'Islam s'intéresse d'abord au nid. La famille a une méthode particulière par laquelle elle doit se former. Le mariage occupe une place cruciale en Islam. Tous les types de mariage ne sont pas bons selon la religion. Le choix doit être fait conformément aux critères qu'elle propose. En Islam, le mariage n'est pas un arrangement entre deux personnes réclamant amoureuses. Il s'agit d'un accord sacré considéré comme une adoration de Dieu. Tout ce qui est tromperie ou duperie y consiste une interdiction flagrante.

Ceci est un résumé du livre. Pour lire l'intégrité du texte, nous vous demandons de voir le texte arabe. Nous souhaitons que le livre soit très bientôt traduit intégralement en français afin que tout le monde puisse en profiter.